الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر

المعهد الوطني العالي لاصول الدين

الابتلاء طبيعة الدعوات الالهية

اعداد

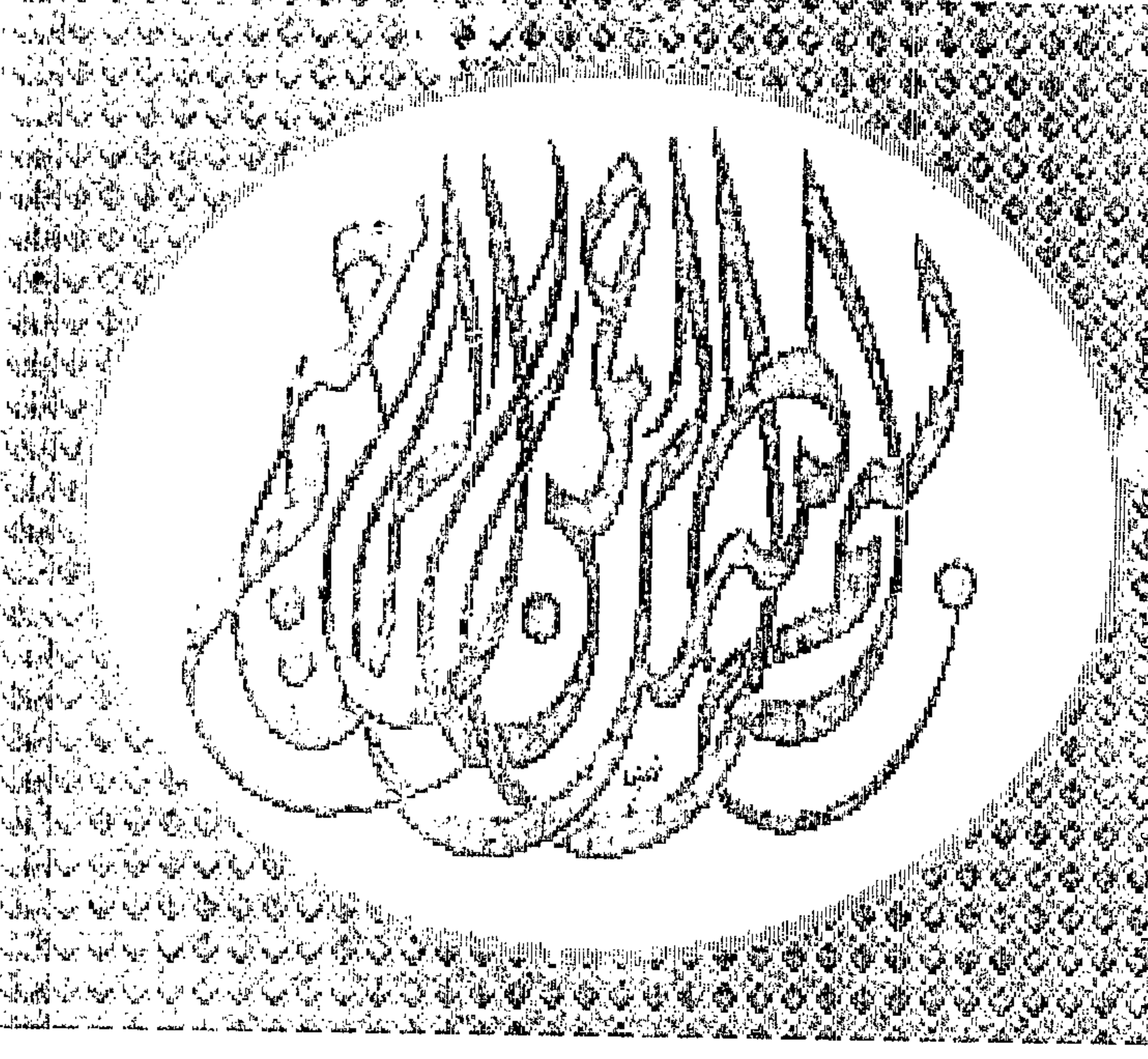
الطالبة : دليلة حساني

رسالة لنيل درجة ماجستير في العلوم الاسلامية

تحت اشراف :

د. حسين محمد مقبول

جمادي الاولى 1410 هـ ديسمبر 1989م





وأخيرا كيــف يمكــن للداعيــة أن يأخذ العبرة من الإبتلاء ويجعلــه عاملا مــن عــوامــل الثبات أمام تعدد الشدائد واختلاف المحن ، وما هو الـــزاد الذى ينبغي أن يعده ليتمكــن من اجتياز هذه المحن بنجاح ، و الفوز برضى اللـــه وجنتــــــه ؟ .

مــــبــررات البحــــث :

من الحوافــز التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع بعد أهمية وضرورة التعريف بــه مـــايلي :

عمل الجاهلية على إيقاف المد النوراني الذى جعل الإيمان منطلقه و الجهـــاد سبيلـــه والصبر وسيلتـــه و الثبات عـــدته .

تخطيط أعداء اللـــه لإبعاد الشباب الإسلامي عن جوهر الإسلام وحقيقتـــه وتحـــويله عـــن الطريق الصحيح بعد أن أخفقوا في تحويله عن دينه .

إنتفـــاش الباطل ، وارتفاع رايتـــه على الأرض لغياب راية الجهاد الإسلامـــي عـــن الساحة نتيجـــة فتور روح الجهاد في نفوس المسلمين و الشعور بالمسؤوليـــة نحــــو دينهـــم .

إقتناعي أن عودة الإسلام الى حياة المسلمين من جديد متوقف على عودة الفهم السليم إلي أذهانهم .

حالة الفشل والتخاذل واليأس والإنهزامية التي يعيشها الشباب الإسلامـــي بسبب جهلهم لحقيقـــة الإبتلاء ، والخوف من مواجهـــة مشاق الطريق لجـــهلهـــم الحكمـــة التي من ورائهـــــا .

عدم إدراك سنة الإبتلاء أدى بالشباب إلى انحرافات فكـــرية وحركيــــة جعلته لقمة سائغة في فم الأعداء ، كما أن عدم معرفته بطبيعة الطريق أدى به إلى عـــدم التأهب للتكاليف والتبعـــات والمشاق وبالتالي إلى العجز عن مواجهتها و التغلب عليهـــا ثم إلى الفتور عن العمـــل أو الإنقـــطاع عنـــه .

غيـــاب الفهـــم السليم و التصور الصحيح لمفهـــوم الإبتلاء وانتشار الأفهـــام الخاطئـــة والتصورات المنحرفة لحقيقتـــه و الحكمـــة منه .

الدوامـــة التي يعيشها الشباب وهو يرى أعداء الإسلام يطاردون دعاتـــه وينصـــبون لهم من وسائل التعذيب والإبادة ما يفوق التصور قصد إستئصـــال شـــأفتـــه من نفـــوس أتباعــــــه .

الخوف من إستدراج الجاهلية للشباب الإسلامي وهو جاهل بهذه السنـــة الربانيـــة فتتمكن من تحقيق أهدافها من خلاله .

جمع المنثور في كتب التفسيـــر و الحديث والعقيدة و السيرة والدعوة والحركـــة في مكـــــان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيد المرسلين

وبعد

من سنن الله عز وجل الماضية إلى يوم القيامة أن وضع قاعدة للبشرية قاعدة من أبرز قواعد الفلاح في الدارين ، ما اتبع قوم نهجها، واستضاءوا بنورها وساروا على وحيها إلا كانت لهم تمكينا في أرض الله وتحقيقا لنصر موعود

إنها سنة قدرية تاريخية ثابتة تقرر أن الابتلاء أعظم حقيقة تنظم مسيرة البشرية في هذا الكون وتكفل لها التوازن الفعلى لكامل طاقاتها الحيوية فتتفجر ينابيع عطائها في كل ميادين الحياة لتحقيق الرقي والإزدهار والحضارة والتمدن .

ولا تزال صفحات التاريخ تشهد كيف كانت المحنة صقلا للنفوس وشحذا للهمم كانت مخاضا ولد فجرا جديدا شق دياجير الجاهلية الكالحة ، وكانت وقودا ألهب الحماس في نفوس أتباع الحق فزادتهم إيمانا على إيمانهم وثباتا على عقيدتهم ويقينا بوعد ربهم .

إشكالية البحث :

يعتقد كثير من الناس أن الإبتلاء عامل مرضي ، وأن معناه : غضب رباني يسلطه الله على المغضوب عليهم من العباد كعقوبة إلهية على مخالفة أو خطأ ارتكبوه .

ويرى البعض الأخر أنه نسيان من الله لعباده وإبعاد لهم من رحمته

فهل الإبتلاء سنة من سنن الله عز وجل في حياة الأفراد والأمم أم أنه عقاب وغضب من الله ، أم أنه نسيان منه لعباده ؟

وهل الإبتلاء طبيعة الدعوات أم هو نتيجة أخطاء ؟

وهل هو معول هدم أم أداة بناء ؟ وهل هو مجبلة لليأس وإحباط للهمة أم أنه وقود وقوة للمبتلي ؟

وما دام يسبب الأذى للأفراد والحركات على السواء فهل يجب إعتزال أى نشاط أو مجهود يجلبه ؟ وهل يجب إعتزال الدعوة إلى الله وإهمال فريضة الجهاد لأنها سبل تعرض أصحابها للفتك والتضييق ؟

وهل يجب تفادى المواجهة مع الأعداء واستعمال الحكمة والسياسة كبديل للتفاهم ولو على حساب بعض المبادئ والقيم ؟

وإذا سلمنا بأن الأذى ظلم فهل إزالته ولو باستعمال القوة والتصادم مع الأعداء دون أخذ العدة والعدد والعتاد، وإكتمال النمو والتكوين بعين الاعتبار

واحـد حتى يسهل على القارئ الإنتفاع ويوفر عليه الوقت والجهد مما يغنيه عن البحث في عشرات الكتب الأخرى .

أهداف البحث :

خدمة الأمة الإسلامية : بشرح حقيقة تاريخية معاصرة،لأن الأمة التي تريد أن تبني نفسها لابد لها من ركائز ثابتة ،ولا بد لها من الرجوع إلى المنابع الأصلية لإرساء دعائم نهضتها وبعثها من جديد .

هذه الحقيقة أراد المغرضون النيل منها ،واستهدف المتآمرون طمسها وإزالة أبعادها من الوجود حتى ينشأ الشباب مجتث الأصول ،لا يقر له قرار ،بعيدا عن ماضيه المجيد ،متنكراً لقيم أمته التي صنعت حضارة الأجداد ،ويشب جسدا بلا روح أسيرا للذاته وعبدا لشهواته .

وغير بعيد منا ،تتجدد معاني هذه الحقيقة في أرضنا الطيبة،لتصنع من ثورتنا ملحمة عظمى ،غدت مضرب المثل ،ولا تزال نبراسا لكل أمة تريد أن تحمي تراثها وتنقذ مبادئها .

وان ينس الشباب هذه الصفحات الخالدة فإن التاريخ لن ينسَ لهذا الشعب ذى المكرمات الشامخة شموخ الجبال الراسيات ،أنه هب ليذود عن حماه وثار ليحفظ مقوماته من الإنصهار ويصون ثوابته من النيل أو المساس أو الذوبان ،لقد كان الرفض العام للعدوان ،ثم كانت الثورة المسلحة على الباطل وذيوله ،ثم كانت المحن والإبتلاءات ،صقلا لعزيمة هذا الشعب فما وهن لما أصابه وما استكان حتى رفرف علم الحرية خفاقا في سماء الجزائر الحبيبة زاهيا ألوانه ، فكان هدية لشباب المستقبل ،حتى لاينسى في يوم من الأيام أن الحرية تقتضي ضريبة غالية ،وأن النصر لابد له من تضحيات ، وأنهما لم ولن تكون أبدا ثمرة لجهود الدبلوماسيين وتفضلا من قادة ماوراء البحر أو خضوعا لقرار من هيئة الأمم إنما كان نتيجة لخطوب مرة تجرعها هذا الشعب وشاب لهولها الولدان ، حتى كان النصر المؤزر خاتمة لهذه التضحيات وتحقيقا لوعد كان مفعولا .

دعوة إلى الإستفادة من دروس التاريخ : فلن تبلغ أمة مرادها باتباع الغرب أو إستيراد قشوره الهشة ولن يكتب لها عز أو تقدم في ظل التبعية بكل أشكالها .

ويوم يفقه الشباب مقومات النصر ويستعيد ثقته في نفسه فإنه يحقق المعجزات .

تقديم التصور الصحيح لمفهوم الإبتلاء وتصويب الإنحراف الذى علق بالأذهان المريضة ومس حتى العقيدة والذى جعل من الإبتلاء مفهوما سلبيا .

تنبيه للمربين والموجهين، وهم يمارسون الدعوة إلى الله ويعودون بالشباب إلى محضن التربية وأصولها الأولى ليركزوا إهتمامهم على حلقة الإبتلاء لأنها جزء ضروري في سلسلة متكاملة حتى

- يفقهوا هذه السنة ويهضموا تبعاتها ليجنوا ثمراتها ...
- تزداد ثقتهم في الطريق الذى اقتنعوا به وهو الحق من ربهم ...
- يثبتوا على الحق الذى يحملونه وهم يطمحون إلى إعادة المجد المسلوب والخلافة الساقطة والأراضي المغتصبة ...
- يصبروا على الأذى لتصهر عزائمهم ويشتد عودهم ويقوى ساعدهم فيحملوا الأمانة وينصحوا الأمة ويجاهدوا في سبيل الله لا يخشون في الله لومة لائم ...
- يقفوا على صعوبات الطريق من البداية حتى يكون الإستعداد لمواجهتها والتغلب عليها فلا يبقى مجال للفتور أو الإنحراف أو السقوط.

تنبيه الشباب الإسلامي إلى العدة التي تمكنه من إجتياز المحن حتى يقيم دولة الإسلام من جديد .

بيان ان :

- الإبتلاء معلم من معالم سير الأنبياء والمرسلين والمؤمنين عامة والرسول صلى الله عليه وسلم خاصة، وطبيعة الدعوات الإلهية، كما أنه سنة عريقة مستمرة من سنن الله عز وجل في حياة الأفراد والأمم التي لا تمكن في الأرض إلا اذا مرت بالإبتلاء وصبرت على تكاليف الإيمان وشروط النصر.
- الإبتلاء انما جاء لحكمة هي إستكمال حقيقة الإيمان ومقتضياته من الأعمال . فمتى استكملت تلك الحقيقة بالإبتلاء والنجاح فيه جاء النصر وتحقق وعد الله .
- أن طريق الدعوة إلى الله محفوف بالمخاطر والمكاره وليس مفروشا بالشهوات والنزوات .
- أن الطريق الصحيح في الدعوات مع الصبر والمعاناة وبذل الجهد الذى لا يعرف الكلل ولا الملل ودفع الثمن الغالي من التضحيات الذى يكلل بالنصر والتمكين .

أهمية البحث :

ان الأهداف والحوافز تجعل الموضوع يكتسي أهمية خاصة بغض النظر عن كونه :

سنة من سنن الله في الدعوات مغمورة لابد من إبرازها غيرة على الإسلام المطموسة معالمه .

حاجة الأمة الإسلامية الى إدراك حقيقته في جميع أحوالها وخاصة في الظروف الحرجة .

حاجة الشباب الإسلامي إلى معرفة المفهوم السليم للإبتلاء وتقديم الصورة الصحيحة له لتصحيح تصوره لسنة المحن وبالتالي تصحيح موقفه.

ضرورة الإبتلاء لكل عمل إسلامي ولكل مشروع إسلامي حضارى لتهيئة الأفراد لتحمل التكاليف والمشاق وطول الطريق .

الصعوبات التي واجهتني :

ان بداية أى عمل ما تكون صعبة على الإنسان وعلامة ذلك تظهر في قصور النتائج ، وطالب الدراسات العليا تطبق عليه هذه السنة ،ومن بين الصعوبات التي واجهتني :

أ — قلة المراجع في الموضوع الذى وقع عليه إختيارى .

ب — طبيعة الموضوع التي تستدعي الإلمام الشامل لفقه الدعوة والحركة ودقة تحليل المعلومات وفق متطلبات العصر.

جـ — قضت حكمة الله عز وجل أن تجرى على سنته أثناء بحثي فامتحنني بعدد من الإبتلاءات كالمرض . . . وغيرها ،وكأنه سبحانه أراد أن يمدني بتجربة تساعدني على كتابة البحث بالعقل و الروح .

منهجي في البحث :

الكتابة عن الإبتلاء في الدعوات الإلهية بحث واسع ،ويتطرق إلى جوانب عديدة وعليه فقد كان عملي في هذا البحث كالاتي :

الإعتماد أولا في البحث على القرآن مع كتب التفسير و السنة النبوية اذ هما المادة الأساسية للبحث .

إن معظم مادة البحث مشتقة من مصادر العقيدة و السيرة النبوية وقصص الأنبياء والمرسلين وتراجم أصحاب الدعوات وكتب الفكر والدعوة والحركة والاستفادة منها تحتاج إلى الدراسة و التنقيب و التحليل .

الرجوع إلى أمهات الكتب لتدعيم النصوص المستمدة من الكتب قدر الإمكان

الإقتصار في الشواهد من الآيات و الآحاديث وأقوال العلماء على مكان الشاهد فقط تجنبا لتضخم الرسالة .

عدم الإكثار من النقول ،واتباع طريقة الإختصار فيها ثم الإشارة إلى المراجع لمن أراد التوسع و التوضيح .

الإقتصار على الجوانب الرئيسية في الموضوع والإحالة إلى المصادر والمراجع الخاصة بها لمن يريد التوسع .

الجمع بين الجانب العلمي ، و الجانب التربوى و الجانب الحركي في البحث لاتمكن

من تحقيق أهدافي والتركيز على الجانب الروحي والدعوى لما لهما من الأهمية إتباع المنهج القائل : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الإستدلال بالنصوص .

نظرا لطبيعة بحثي و المراجع المعتمد عليها اتبعت المنهج التاريخي والمنهج التحليلي .

تقسيم البحث :

وقد تسمت البحث إلى الآتي :

مقدمة ، وبابين ، وخاتمة ، وفهرس للموضوعات التي دار حولها البحث ثم فهرس المصادر و المراجع .

1 ـ المقدمة :

بينت فيها : اشكالية البحث، والحوافز التي دفعتني إلى اختيار الموضوع ثم أهدافه وأهميته ثم الصعوبات التي واجهتني من خلال ذلك العمل ثم منهجي في البحث ثم شكري لكل من ساعدني على اخراج البحث .

2 ـ الباب الأول : الإبتلاء عبر تاريخ الدعوات

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول ـ مفهوم الإبتلاء ، وضمنته مبحثين :

المبحث الأول ـ عرفت فيه الإبتلاء والفتنة والمحنة لغة واصطلاحا وبينت بأنها تلتقي في معني واحد هو الإختبار و الإمتحان .

المبحث الثاني ـ تحدثت فيه عن ضرورة الإبتلاء لأهل الإيمان وأصحاب الدعوات وأنه لا يتاح لأحد الإفلات منه حتى ولو كان نبيا رسولا .

الفصل الثاني ـ الإبتلاء في حياة الأنبياء و الرسل : قدمت فيه نماذج عن إبتلاء الأنبياء و المرسلين عبر أربعة مباحث :

المبحث 1 : إبتلاء نوح عليه السلام

المبحث 2 : إبتلاء إبراهيم عليه السلام

المبحث 3 : إبتلاء يوسف عليه السلام

المبحث 4 : إبتلاء موسى عليه السلام

الفصـــــل الثالـث : ركزت فيه على إبتلاء قدوتنا ومرشدنا محمد صلى اللــــه عليــه وسلـم خاتم المرسلين وسيد الخلق أجمعين وعلى موقفـه من هذه المنــة لعظـم إبتــلاءاته وتنوعهـا لأنه مثلنا الأعلى ، ونبع الهدى والسراج المنيـــــر الذى أنعم الله بـه على الإنسانية جمعاء وضمنتــه مبحثين :

المبحـــث الأول — في إبتلاء المرحلة المكيـــــــة

المبحـــث الثاني — إبتـــلاء المرحلة المدنيـــــة

الفصـــــل الرابع : الإبتـــلاء في حياة عظماء الإسلام وأصحاب العقيــــــدة وتطـرقت فيه إلى نماذج مختلفة حسب المكان والزمان للتأكيدعلى حتمية الإبتــــــلاء في الدعوات وقد جعلته 4 مباحث حسب عدد الشخصيات التي وقع إختياري عليها

المـــبحـــث 1 : إبتـــلاء أبي بكر الصديـــق

المـــبحـــث 2 : إبتـــلاء الإمام أحمد بن حنبل

المـــبحـــث 3 : إبتـــلاء الإمام الشهيد حسن البنا

المـــبحـــث 4 : إبتـــلاء الإمام عبدالحميد بن باديس

الفصـــــل الخامس : إبتـــلاء النساء المؤمنات ، لقد خصصت هذا الفصـــل لإبتـــلاء أربعـــة نساء مؤمنات مساهمــة مني في نفض الغبارعن تاريخ المرأة المسلمـــة عبرمسيرتهـــا الربانية ، وفي اجلاء حقيقة طالما بحثت عنهـــا فتاة الإسلام اليوم ، وقد ضمنتـــه أربعة مباحـــث :

المـــبحـــث 1 : إبتـــلاء آسيـــا بنت مزاحم

المـــبحـــث 2 : إبتـــلاء أسمـاء بنت أبي بكر

المـــبحـــث 3 : إبتـــلاء نسيبـة بنت كعب

المـــبحـــث 4 : إبتـــلاء زينب الغزالي الجبيلي

3 — البـــاب الثـــاني : الإبتلاء خير للدعوة والداعيــــة

وفيـــه أربعـــة فصـــول :

الفصـــــل الأول : الحكمة من الإبتلاء : تحدثت فيه عن الحكمة في الإبتــــلاء ليعلـم الطيب من الخبيث والصادق من المنافق وحاولت إبراز فوائد الإبتـــلاء والمحن وايجـــابيتـــه في حياة الأفراد والدعـــوات .

الفصـــــل الثاني : أنواع الإبتلاء : ذكرت فيه أنواع المحن وصوره أقسمتـــه الى مبحثيـــن حسب الأنـــــواع .

المـــبحـــث 1 : الإبتـــلاء الفـــردى وصوره

الخاتمة :

ختمت الرسالة بملخص لأهم ماتوصلت إليه في بحثي هذا آملة أن يغفر لي الله خطئي وتقصيرى في موضوع هام كهذا ، غير أنني والله يعلم قد بذلت جهد المقل وحسب ظروفي – وأسأل الله أن يعود هذا البحث بالنفع لي ولجميع المسلمين والمسلمات .

شكر :

أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني من بعيد أو قريب في إخراج هذا البحث سائلة الله عز وجل أن يجزيه عني وعن الإسلام خير جزاء ، إنه تعالى سميع مجيب

الباب الأول

الإملاء في تاريخ المعجمات

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول

مفهوم الإبتلاء

وفيه مبحثان

المبحث الأول : تعريف الإبتلاء والفتنة والمحنة

المبحث الثاني : الإبتلاء سنة من سنن الله

المبحث الأول

تعريف الابتلاء والفتنة والمحنة

ان المحن والإبتلاءات طبيعة الدعوات ، وسنة من سنن الله الجارية جعلها الله عز وجل لإنتقاء الصفوة المؤمنة التي تحمل على كاهلها عبء الرسالة غير مبالية بما يعترض سبيلها من أشواك وعقبات ، و الام ونكبات ....

وقبل التعرض لطبيعة هذا الطريق وبيان الحكمة من ذلك ، لعله من الضروري أن نتحدث في البداية عن ثلاثة ألفاظ تستخدم في هذا المجال وهي : الإبتلاء ، والمحنة والفتنة باعتبارها محور بحثنا ، وبالله التوفيق .

الإبتلاء :

الإبتلاء في اللغة [1] مأخوذ من الفعل إبتلى ، ومجرد ، بلى ، فتقول : بلا ، يبلوه ، بلوا ، إذا جربه واختبره . ومنه قوله تعالى ((ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة)) [2] أي نختبركم .

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب المحيط . دار لسان العرب بدون تاريخ م 1 ، ص264
- اسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح . ط 1 . دار العلم للملايين بيروت 1399 هـ — 1979 — ج 6 ، ص2285 .
- الشيخ حسنين محمد مخلوف ، كلمات القرآن . بدون ناشر وبدون تاريخ ص (11 — 17 . 19 . 29 . 44 . 45 . 47 . 48 . 67 . 70 . 87 . 97 . 99 . 100 . 105 — 120 . 125 . 145 . 173 . 199 . 211 . 234 . 255 . 277 . 313 . 320 — 322 . 372 . 376 . 396 . 421 —) . ٣٦٣ . ٤٢
- الامام ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري . دار الفكر . بدون تاريخ م 8 . ص161 .
- الامام ابي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ، تفسير البغوي ط1 . دار المعرفة . بيروت ، لبنان 1406هـ — 1986م ، م 1 ، ج 4 ، ص364
- اسماعيل بن كثير ، تفسير ابن كثير ، ط 8 . دار الاندلس . بيروت . لبنان 1406 هـ . 1986م ، ج 1 ، ص158 ، ص288
- ابن صمادح الأندلسي ، مصحف الشروق المفسر الميسر ، مختصر تفسير الامام الطبري دار الشروق 1402 هـ — 1982م ، ص472 .

(2) سورة الانبياء الاية 35

وابتلي : أختبر، ومنه قولـــه تعالى : ((وإذ ابتلي إبراهيم ربّه بكلمات)) (1)
أى اختبـــره بهـــــا .

وابتلوا : اختبروا . ومنه قوله تعالى ((وابتلوا اليتامى حتّى إذا بلغوا النّكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم)) (2) وهذا نداء للأوصياء أن يختبـــروا قدرة اليتامى عند البلوغ على اتقان التصرف المالي ، فإذا وجـــدوا ذلك فيهم دفعـــوا إليهـــم أموالهـــم التي ورثوها عن ابائهم .

وبلاه الله ، بلاء ، وابتلاه أى اختبره ، والتبالي : الاختبار ، والبـــــلاء الإختبـــار و الأمر الجلل ينزله الله سبحانه بالموحد ليتبين مدى صبـــــره ومنه قوله تعالى : ((إن هذا لهو البلاء المبين)) (3) إشارة الى تكليـــــف الله عـــز وجـــل ابراهيم عليه السلام بأن يذبح ولده وبكره اسماعيـــــل عليهمـــــا الســـلام .

والإبتلاء : التجربة والإختبار، ويكون بالخير و الشر ، يقال : أبـــــلا ه اللـــه بـــلاء حسنا

قال زهير: جزى الله بالإحسان مافعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذى يبلـــو

أى خير الصنيـــع الذى يختبر به عـــباده .

المبتلي : المختبر ، ومنه قوله تعالى ((إن اللّه مبتليكم بنهر فمن شرب منـــــه فليس منّي ، ومن لم يطعمه فإنه مني إلاّ من اغترف غرفة بيده)) (4) اى مختبركـــم ليرى طاعتكـــم .

وابتلاه الله : امتحنه ومنه قوله تعالى ((فأما الإنسان إذا ماابتلاه ربه فأكرمـــــه ونعّمـــــه)) (5) أى امتحنه واختبره بالنعـــم او النقم .

ويقال : بلى فلان وابتلى : اذ امتحن ومنه قوله تعالى : ((وليبتلي اللّـــــه مـــا في صـــدوركـــم وليمحّص ما في قلوبكم واللّه عليم بذات الصّدور)) (6)
أى وليمتحـــن الله مافي صـــدوركم .

وبالرجوع إلى كتب التفاسير نجد أن الإبتلاء يحمل نفس المعنى أى الإختيار والإمتحـــان لأفعال الإنسان لمعرفـــة الحسن من الخبيث .

فنجد أن صاحب تفسير المراغي (7) يفسر كلمة البلاء من خلال الاية 49 من سورة البقـــــرة ((وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)) بالإختبار و الإمتحـــان وهو تارة بمـــا يبصـــر ليشكـــر العبد ربـــــه .

1ـ ســــــورة البقـــرة الايـــة 124
2ـ ســــــورة النســـاء الايـــة 6
3ـ ســــــورة الصافـات الايـــة 106
4ـ ســــــورة البقـــرة الايـــة 249
5ـ ســــــورة الفجـــر الايـــة 15
6ـ ســــــورة ال عمـران الايـــة 154
7ـ أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، ط 3 بدون ناشر، 1394 هـ 1974 م ، م 2 ص 112 .

وتارة بما يضر ليصبر ، وتارة بهما ليرغب و يرهب ، و الإبتلاء : الإختبار ويقول الإمام فخر الرازي [1] اما قوله : (وفي ذالكم بلاء من ربكم عظيم) قال القفال أصل الكلمة من الإبتلاء وهو الإختبار و الإمتحان ، و البلاء ههنا هو المحنة ان اشير بلفظ ذلكم إلى صنع فرعون ، و النعمة ان أشير به إلى الإنجاء

ويقول الشيخ محمد علي الصابوني [2] (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم أى فيما ذكر من العذاب المهين من الذبح والاستحياء محنة واختبار عظيم لكم من جهته بتسليطهم عليكم ليتميز البر من الفاجر

وبنفس المعنى نجده عند الإمام الطبري [3] بلاء : إختبار وإمتحان يستعمل في الخير و الشر .

وكذلك الشيخ البغوي [4] يعطيها نفس المعنى في الاية 124 من سورة البقرة : ((واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن)) فقال معنى الإبتلاء الإختبار و الإمتحان و الأمر ، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم لأنه عالم بهم ، ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضا

(وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) : قيل : البلاء : المحنة أى في سومهم اياكم سوء العذاب محنة عظيمة ، وقيل البلاء : النعمة اى في انجائي اياكم منهم نعمة عظيمة ، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة ، فالله تعالى يختبر على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر ، قال الله تعالى في سورة الأنبياء الاية 35 :

((ونبلوكم بالشر و الخير فتنة)) .

وعندما يتحدث صاحب الظلال [5] عن هذه الآية نجده قد أعطى البلاء معنى الإمتحان والإختبار و الفتنة فيقول : قبل أن يعرض مشهد النجاة يعقب بأن ذلك التعذيب كان فيه بلاء من ربهم عظيم ليلقي في حسهم وحس كل من يصادف شدة - أن إصابة العباد بالشدة هي امتحان و بلاء واختبار و فتنة .

ويقول الشيخ علي الصابوني في مختصر ابن كثير [6] "وفي ذلكم بلاء لكم من ربكم عظيم" : قال جرير : اى نعمة عظيمة عليكم في ذلك ، وأصل البلاء الإختبار وقد يكون بالخير و الشر كما قال تعالى : ((ونبلوكم بالشر و الخير فتنة) وقال تعالى :((وبلوناهم بالحسنات و السيئات)) . (الاعراف الاية 168) وقيل المراد بقوله : (وفي ذلكم بلاء) إشارة الى ما كانوا

1- الامام فخر الرازي ، التفسير الكبير ، ط 3 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت بدون تاريخ ج 3 ، ص 70

2- الامام محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ط 4 ، دار القران الكريم ، بيروت 1402 هـ 1981 م ، م 1 ، ص 57

3- ابن صماج الاندلسي مصحف الشروق المفسر الميسر ص 9

4- الامام البغوى تفسير البغوى ج 1 ص 111 ص 76

5- الشهيد سيد قطب في ظلال القران ، ط 11 ، دار الشروق بيروت 1405 هـ 1985 م م 1 ، ص 70

6- الامام محمد علي الصابوني ، مختصر ابن كثير ، ط 7 ، دار القران الكريم بيروت 1402 هـ - 1981 م ، م 1 ، ص 64 .

فيـه من العذاب المهين من ذبح الأبناء ،واستحياء النساء ،قال القرطبي ،وهذا قـول الجمهور و البلاء هنا بالشر ،والمعنى : وفي الذبح مكروه وامتحـان

البلاء .[1]

والفتنـة تأتي بمعنى الإبتلاء و الإمتحان و الإختبار،وأصلها مأخوذ من قولك فتنـت الذهب و الفضة إذا أذبتهما بالنار لتميز الردئ من الجيد أى لتنظـر ماجـودتهمـا ، ومنه قوله تعالى ((أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهـم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم)) [2] أى وهم لا يبتلون ،وهم لا يمتحنـون ولقد اختبرنا وابتلينا وامتحنا من سبقهـم .

ويقال للصائغ الفتان لأنه يصهر الذهب بالنار لمعرفة سليمـه من مغشوشـه وكذلك الشيطـان .

ومنه قوله تعالى : ((أولا يـرون أنّهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين)) [3] قيل معناه يختبـرون بالدعاء إلى الجهاد .

وافتتن الرجل وفتن فهو مفتون ،إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقلـه وكذلك إذا اختبره ومنه قوله تعالى ((وفتناك فتونا)) [4] أى أختبرناك إختبارا

وكذلك تستعمـل الفتنة بمعنى الإحراق بالنار،ومنه قوله تعالى ((ان الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات ثم لم يتوبوا)) [5] أى أحرقوهم بالنار الموقدة في الأخدود وعـذبوهـم

1ـ ابن منظور لسان العرب المحيط م 2 ،ص (1049 ، 1050)
ـ الجوهرى الصحـاح ج 6 ،ص(2175 ، 2176)
ـ منجد في اللغة و الاعـلام ، ط 2 ،دار المشرق بيروت بدون تاريخ ،ص 568
ـ محمد فريد وجدى ،دار معارف القرن العشرين ، دار المعرفة بيروت لبنـان بدون تاريخ م 7 ، ص 124 .
ـ الامام ابن حجـر العسقلاني فتح البارى م 13 ، ص 3 .
ـ الشيخ حسنين محمد مخلوف كلمات القرآن ص ،(15 ، 23 ، 25 ، 56 ، 66 ، 68 ، 73 ، 76 ، 105 ، 112 ، 117 ، 123 ، 162 ، 169 ، 190 ، 203 ، 222 ، 234 ، 243 ، 282 ، 283 ، 290 ، 312 ، 331 ، 342 ، 355 ، 362 ، 368 ، 375 ، 388 ، 392 ، 415) .
ـ الامام الحافظ أبي عبد الله بن القيم الجوزى زاد المعاد ،دار الكتاب العربـي بيروت لبنان بدون تاريخ م 1 ، ج 2 ، ص(84 ، 85) .
2ـ سـورة العنكبـوت الايتـين 2 ، 3
3ـ سـورة التوبـة الايـة 126
4ـ سـورة طـه الايـة 40
5ـ سـورة البـروج الايـة 10

ليصدوهم عن الإيمان . وكذلك قوله تعالى : ((يوم هم على النّار يُفتنون)) (1) أى يُحرقون بالنّار .

والفتنة : الإزالة — ومنه فتن الرجل عن دينه ، وافتتن في دينه أى أزاله وغيره : فتركه ، ومال عنه ، ومنه قوله تعالى ((وإن كادوا ليَفتِنونَك عن الذى أوحينا إليك)) (2) أى يميلونك ويزيلونك ، ويوقعونك في بلية وشدة في صرفك عن العمل بما أوحي إليك .

والفتنة : الاضلال ، ومنه قوله تعالى ((فإنكم وما تعبدون، ما أنتم عليه بفاتنين)) (3) وكذلك قوله تعالى : ((يابني آدم لا يفتننكم الشيطان)) (4) أى لا يضلنكم ولا يخدعنكم .

والفتنة : الكفر ، ومنه قوله تعالى : ((والفتنة أشد من القتل)) (5) أى الكفر أشد من القتل .

والفتنة : الفضيحة ، ومنه قوله تعالى ((ومن يرد الله فتنته)) (6) قيل معناه فضيحته ، وقيل : كفره .

الفتنة : العذاب ومنه قوله تعالى : ((فما آمن لموسى إلا ذرّيّة من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم . . .)) (7) اى ان يعذبهم ويقتلهم .

ومنه قوله : ((ثم إن ربك للّذين هاجروا من بعد ما فُتنوا . . .)) (8) أى من بعد ما عذبهم الكفار ليصدوهم عن الإيمان

والفتنة : القتل . ومنه قوله سبحانه : ((فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا)) (9) أى يقتلكم الذين كفروا

والفتنة : الاثم : ومنه قوله عز وجل : ((ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا)) (10)

وكذلك كلمة الفتنة تحمل معاني أخرى كثيرة منها : المال ، الأولاد ، اختلاف الناس بالآراء ، المرض ، الجنون ، الخبرة ، الإضلال ، الصرف عن الشيء ، الفجور، الخ ونحن يهمنا في بحثنا هذا المعاني الأولى التي سلف ذكرها وهي : الاختيار الابتلاء المحنة و الامتحان ، والتي جاءت في التفاسير بنفس المعنى وسنتبين ذلك — إن شاء الله — من خلال الآية 102 من سورة البقرة ((إنّما نحن فتنة فلا تكفر))

---

1 — سورة الذّاريات الآية 13
2 — سورة الإسراء الآية 73
3 — سورة الصافات الآية 161، 162
4 — سورة الاعراف الآية 27
5 — سورة البقرة الآية 191
6 — سورة المائدة الآية 41
7 — سورة يونس الآية 83
8 — سورة النحل الآية 110
9 — سورة النساء الآية 101
10 — سورة التوبة الآية 49

يقـول الشيخ محمد علي الصابوني ،(1) عن الحسن البصرى أنه قال في تفسير هذه الآية ، نعم أنزل الملكان بالسحرليعلما الناس البلاء الذى أراد اللـه أن يبتلـي بـه الناس ، وقال قتـادة :كان أخذ عليهما أن لا يعلمـا أحـدا حتى يقولا إنما نحن فتنـة ، أى بلاء ابتلينا به فلا تكفر .. وأمـا الفتنة فهي المحنـة والاختبار .

ويقـول الشيخ الصابوني أيضا (2) أى أن الملكين لا يعلمان أحدا من النـاس حتى يبذلا له النصيحة ويقولا ان هذا الذى تصفه لك إنما هو امتحان من اللـه وابتـلاء .

ويقول الشيـخ البغوى في تفسيرها ،(3) (يقولا انما نحن فتنة) ، ابتلاء محنة وأصل الفتنة الاختبار والامتحان ، من قولهم : فتنت الذهب والفضة اذا أذ يقتهما بالنار ليتميـز الجيد من الردئ .

ويقول الإمام فخر الرازى في تفسيرها ،(4) أى ابتلاء وامتحان والمـراد ههنا بالفتنـة المحنة التي يتميز المطيع عن العاصي كقولهم فتنت الذهب بالنار إذا عرض على النار ليتميز الخالص عن المشوب .

ويقول الشيخ المراغي ،(5) أى وما يعلم الملكان أحدا حتى ينصحان ويقـولا لـه إنمـا نحن ابتلاء من اللـه عزّ اسمـه .

ويقول صاحب الظلال ،(6) ثم يبين الحقيقة ، وهي أن هذين الملكين كانـا هنـاك فتنـة وابتـلاء للناس .

ونفس المعنى يقوله الإمام الطبرى (7) إنما نحن فتنة أى بلاء واختبار .

المحنـة (8)

المحنة كلمة مأخوذة من الفعل محن ، ومحنت الفضة إذا صفيتها وخلصتها بالنـار ، ومنه قوله تعالى :((أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)) (9) أى صفاها وهذبهـا .

1ـ محمد علي الصابوني . مختصر ابن كثير م1، ص98
ـ اسماعيل بن كثير . تفسير ابن كثيـر ج 1 . ص250
2ـ محمد علي الصابوني . صفوة التفاسير . م 1 . ص83
3ـ الامام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعي .تفسير البغوى ج 1 . ص101 .
4ـ الإمـام فخر الرازى ، التفسير ، ج 3 . ص218
5ـ أحمد مصطفى المراغي . تفسير المراغي م 1 ، ج 1 . ص181
6ـ سيـد قطب في ظلال القـرآن م 1 . ص 95
7ـ ابن صمادح الاندلسي مصحف الشروق المفسر الميسر ص17
8ـ ابن منظور لسان العرب المحيط م 3 . ص448
ـ الجوهرى الصحاح ج 6 . ص2201
ـ منجد فريد وجدى دار معارف القرن العشرين ج 8 . ص460
ـ منجد في اللغة والاعلام . ص750
ـ حسنين محمد مخلوف كلمات القرآن ص(326 . 363) .
9ـ سـورة الحجـرات الآيـة 3 .

ومحنته وامتحنته أى خبرته واختبرته ، وبلوته وابتليته ، ومنه قوله تعالى : ((إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن)) (1) أى فاختبروهن لمعرفة صدق إيمانهن ، وامتحنت الذهب و الفضة إذا إذبتهما لتختبرهما حتى خلصت الذهب و الفضة . و الاسم المحنة وهي واحدة المحن أى ما يمتحن به الانسان من بلية نستجير بكرم الله منها .

وأصل المحن : الضرب بالسوط . يقال محنه عشرين سوطا أى ضربه ومحن السوط : لينه .

والمحن : العطية فيقال : وأتيت فلانا فما محنني شيئا أى ما أعطاني شيئا والمتحن و الممحص واحد .

وفي حديث الشعبي المحنة : بدعة وهي أن يأخذ السلطان الرجل فيمتحنه ويقول : فعلت كذا وفعلت كذا ، فلا يزال به حتى يقول مالم يفعله أو ما لا يجوز قوله ، يعني أن هذا القول بدعة .

وإذا تدبرنا كتاب الله وتصفحنا كتب التفاسير نجد أن العلماء فسروا هذا اللفظ بنفس المعنى الذى ذكرناه آنفا .

فيقول الشيخ محمد علي الصابوني (2) في قوله تعالى : ((أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)) أى مرنها عليها وجعلها صفة راسخة فيها

اما في قوله تعالى : ((إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن)) فقال أى اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن .

وقال ابن كثير : ((امتحن الله قلوبهم للتقوى)) أى أخلصها للتقوى وجعلها أهلا ومحلا .

ويقول ابن حجر العسقلاني : (3) امتحن : أخلص، عن قتادة قال : أخلص الله قلوبهم فيما أحب .

ويقول الأستاذ المراغي في تفسيره (4) ((أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى))

أى أن الذين ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن و التكاليف الشاقة حتى طهرت وصفت بما كابدت من الصبر على المشاق . أى طهرها ونقاها كما يمتحن الصائغ الذهب بالإذابة والتنقية من كل غش .

ويقول الإمام الطبرى : (5) ((امتحن الله قلوبهم للتقوى)) أى اخلصها للتقوى .

1- سورة الممتحنة الآية 10
2- محمد علي الصابوني صفوة التفاسير م3 ج 26 ص233
- محمد علي الصابوني مختصر ابن كثير م3 ص359 . ج 28 ص364
3- ابن حجر العسقلاني . فتح الباري ، كتاب تفسير القرآن . م8 ص589
4- أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي م 9 ج 26 ص122
5- ابن صمادح الاندلسي ، مختصر تفسير الطبرى . ص 586

أما صاحب الظلال فيقول :[1] ((أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)) فالتقوى هبة عظيمة ، يختار الله لها القلوب ، بعد امتحان و اختبار ، وبعد تخليص وتمحيص ، و الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قد اختبر الله قلوبهم وهيأها لتلقي تلك الهبة .

من التعريفات التي سبقت لكل من الابتلاء و الفتنة والمحنة و التي أكدها العلماء والمفسرون نلاحظ أنها تصب في مصب واحد وتلتقي في معنى واحد وتؤدى مفهوما واحدا لغة واصطلاحا وهو الامتحان و الاختبار وهذا رغم بعض الاختلافات البسيطة و التباينات الطفيفة الموجودة بينهم والتي سبق ذكرها .

وتجدر الاشارة إلى أن الابتلاء ذكر في القرآن بمعنى الامتحان والاختبار اثنى وثلاثين مرة (32) في الآيات التالية :

1 - سورة البقرة :

1- الآية 48 : ((وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم))

2- الآية 124 : ((وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن))

3- الآية 155 : ((ولنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع ونقص من الأموال والأنفس و الثمرات وبشر الصابرين)) .

4- الآية 249 : ((فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر))

2 - سورة آل عمران :

5- الآية 152 : ((ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ...))

6- الآية 154 : ((وليبتلي الله ما في صدوركم ......))

7- الآية 186 : ((لتبلون في أموالكم وأنفسكم .....))

3- سورة النساء :

8- الآية 6 : ((وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح ...))

4- سورة المائدة :

9- الآية 48 : ((...ولكن ليبلوكم فيما آتاكم))

10- الآية 94 : ((ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد ..))

1- سيد قطب في ظلال القرآن ج 26 ، ص3340 .

5 ـ سورة الأنعام

11 ـ الآية 165 : ((... ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم))

6 ـ سورة الأعراف :

12 ـ الآية 141 : ((إذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم))

13 ـ الآية 168 : ((... وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون

14 ـ الآية 163 : ((كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون)) .

7 ـ سورة هود :

15 ـ الآية 7 : ((... ليبلوكم أيكم أحسن عملا ...))

8 ـ سورة ابراهيم :

16 ـ الآية 6 : ((اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم))

9 ـ سورة النحل :

17 ـ الآية 92 : ((... إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ماكنتم فيه تختلفون)) .

10 ـ سورة الكهف :

18 ـ الآية 7 : ((إنا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا))

11 ـ سورة الأنبياء :

19 ـ الآية 35 : ((.... ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون))

12 ـ سورة المؤمنون :

20 ـ الآية 30 : ((إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين))

13 ـ سورة النمل :

21 ـ الآية 40 : ((قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ...))

14 ـ سورة الأحزاب :

22 ـ الآية 11 : ((هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا))

15 ـ سورة الصافات :

الآية 106 : ((إن هذا لهو البلاء المبين))

16 ـ سـورة الدخـان :

24 ـ الآيـة 33 : ((وآتينـاهم من الآيات مافيه بلاء مبين))

17 ـ سـورة محمـد :

25 ـ الآيـة 4 : ((ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعـض))

26 ـ الآيـة 31 : ((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين .))

18 ـ سـورة الملـك :

الآيـة 2 : ((الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا))

19 ـ سـورة القلـم :

28 ، 29 ـ الآيـة 17 : ((إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ...))

20 ـ سـورة الانسـان :

30 ـ الآيـة 2 : ((إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا))

21 ـ سـورة الفجـر :

31 ـ الآيـة 15 : ((فأما الانسان إذا ماابتلاه ربه فأكرمه ونعمـه))

32 ـ الآيـة 16 : ((وأما إذا ماابتلاه فقدر عليه رزقـه))

أما الفتنة فقد ذكرت في القرآن بالمعنى السابق (أى الامتحان والاختبار) خمسـة وعشـرون مرة في الآيات التاليـة :

1 ـ سـورة البقـرة :

ـ الآيـة 102 : ((... وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنـة فلا تكفر))

2 ـ سـورة المـائدة :

2 ـ الآيـة 71 : ((وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب اللـه عليهـم ...))

3 ـ سـورة الانعـام :

الآيـة 53 : ((وكذلك فتنا بعضهـم ببعض ...))

4 ـ سـورة الانفـال :

4 ـ الآيـة 28 : ((واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وان الله عنده أجر عظيـم))

5 ـ سـورة التـوبـة :

الآيـة 126 : ((أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين .))

6 — سورة الأعراف : (قبل الانفال)

7 — الآية 155 : ((إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء))

7 — سورة النحل :

الآية 110 : ((ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم))

8 — سورة طه :

9.8 — الآية 40 : ((وفتناك فتونا))

10 — الآية 85 : ((قال فانا فتنا قومك من بعدك ...))

11 — الآية 90 : ((ولقد قال لهم هارون من قبل انما فتنتم به ...))

12 — الآية 131 : ((لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقي ...))

9 — سورة الانبياء :

13 — الآية 35 : ((ونبلوكم بالشر و الخير فتنة والينا ترجعون))

14 — الآية 111 : ((وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين .))

10 — سورة الفرقان :

15 — الآية 20 : ((وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا))

11 — سورة العنكبوت :

16 — الآية 2 : ((الم أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون))

12 — سورة الصافات :

18 — الآية 63 : ((انا جعلناها فتنة للظالمين))

13 — سورة ص :

19 — الآية 25 : ((وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب))

20 — الآية 34 : ((ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب))

14 — سورة الزمر :

21 — الآية 49 : ((قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لايعلمون))

15 — سورة الدخان :

22 — الآية 17 : ((ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم))

16 — سورة القمر :

الاية 27 : ((انا مرسلوا الناقة فتنة لهم . . .))

17 — سورة التغابن :

24 الاية 15 : ((انما اموالكم وأولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم . .))

18 — سورة الجن :

25 الاية 17 : ((لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا))

اما المحنة فقد ذكرت في القرآن الكريم مرتين فقط بنفس المعنى السابق .

مرة في سورة الحجرات :

1 . الاية 3 : ((ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)) .

ومرة في سورة الممتحنة :

2 . الاية 10 : ((ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن)) .

المبحث الخامس

الابتلاء سنة من سنن الله

ان الله عز وجل خلق الانسان ليعبده فقال ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) وكلفه بخلافته في الارض، فقال ((واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة))(2) ، وحمله رسالته فقال ((انا عرضنا الامانة على السموات و الارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا))(3)

وان هذه العبادة ،والخلافة و الرسالة تحتاج الى ايمان،والايمان ليس كلمة تقال ولا دعوى يدعيها من يريد ،بل هي حقيقة ذات تكاليف لا تعرف الا بالتجارب و المواقف العملية الواقعية التي تميز المؤمن من الكافر ،والصادق من الكاذب والقوى من الضعيف ، ولهذا جعل الله عز وجل الابتلاء سنة من سننه وطبيعة لطريقه يخضع لها الانسان عموما فقال ((انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا))(4) وقال ((لقد خلقنا الانسان في كبد))(5) أى في شدة ومشقة لما يعانيه منذ مولده من شدائد الحياة المزدوجة اللذات بالالام وما يعانيه بعد بلوغه من الابتلاء بالمسؤولية ،وأمانة التكليف ، التي تنوء بحملها السموات و الارض و الجبال ،وما يعانيه من الناس من حدة اللسان وأذى اليد وحسد النفس))(6) وقال تعالى ((الذى خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا))(7) وقال ((انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا))(8) .

والمؤمن خصوصا لانه اكثر تعرضا للفتن و المحن و الابتلاءات فقال تعالى :
((أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا امنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين))(9)
وقال ((هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا))(10) .

أن المتدبر و المتمعن في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى عليه وسلم والدراس لتاريخ البشرية في كل المراحل الزمنية المتعددة والحقب المختلفة يدرك حقيقة عظمى وهي : أن الابتلاء سنة الله في الدعوات ،وفي هذا يقول البيضاوى ((و المعنى في ذلك سنة قديمة جارية في الأمم ،فلا ينبغي أن يتوقع خلافه))(11) ، وقانون للنصر و التمكين ،وفي

1- سورة الذاريات الاية 56
2- سورة البقرة الاية 30
3- سورة الاحزاب الاية 72
4- سورة الانسان الاية 2
5- سورة البلد الاية 4
6- الد : يوسف القرضاوى الصبر في القران الكريم الجزائر دار البعث قسنطينة 1988 ،ص17
7- سورة الملك الاية 2
8- سورة الكهف الاية 7
9- سورة العنكبوت الاية 2 ، 3
10- سورة الاحزاب الاية 11
11- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير م2 الجزء 20 ص 452

هذا سئل الامام الشافعي رضي الله عنه : ((أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى فقال : لا يمكن حتى يبتلى فان الله أبتلى نوحا وموسى وعيسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد يخلص من الألم)) (1) .

لهذا جعل الله في كل قرية وفي كل قوم طغاة باغين يصدون عن دين الله ويمكرون بعباده، ويعثون في الأرض فسادا ، ويحاربون الأنبياء و الرسل واتباعهم فقال تعالى : ((وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون)) (2) .

وقدر أن يكون صراع دائم بين الحق و الباطل ، بين الهدى والضلال بين النور و الظلمات ، فجعل لكل نبي عدوا يمكر به ، ويكيد له ويتربص به الدوائر ليبين دعوة الله من الدعاوى الزائفة فقال الله تعالى : ((وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا شياطين الانس و الجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا)) (3) وقال : ((وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفي بربك هاديا ونصيرا)) (4) وقال : ((ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)) (5) .

وأشار الحديث الشريف بشكل واضح أن الانبياء أشد الناس ابتلاء ثم الامثل فالامثل فعن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله عليه وسلم : أشد الناس بلاء الانبياء ثم الأمثل فالامثل : ...)) (6) .

وكذلك تجرى سنة الله على أتباع الرسل الانبياء ، والداعين الى الله على مر الزمان ، وأخص بالقول هنا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله أعدها لتقوم بدور ماكان لغيرها أن يقوم به ، ولتحمل للبشرية منهجا ودستورا وشريعة الهية عظيمة ، ولتنشئ نظاما محكما وواقعا وحيدا ، أى باختصار أن تقوم بقيادة البشرية وريادة العالم واقرار منهج الله وتحقيق عدالته على الأرض ، وأمة أناطها الله لهذه المهمة وهذا الدور لاشك أنها ستواجه جنود الشيطان مجتمعة متكاتفة لتصدها عن طريقها الذى بين الله بأن طبيعته محن و ابتلاءات ، وستلاقي اعراضا وصدودا من طواغيت الارض وجبابرتها لانها تهدد مصالحهم وتحطم اربابهم وآلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، ولكنه أرشدها الى حقيقة الجزاء

1- الطيب برغوث . معالم هادية على طريق الدعوة . باتنة . دار الشهاب 1406 هـ . 1985م . ص121

2- سورة الانعام الاية 123

3- سورة الانعام الاية 112

4- سورة الفرقان الاية 31

5- سورة الانعام الاية 34

6- الحديث أخرجه الترمذى في السنن باب : الصبر على البلاء رقم الحديث : 2509 ج 4 . ص28 وقال : هذا حديث حسن صحيح .

- سنن ابن ماجه . كتاب الفتن رقم 36 باب الصبر على البلاء رقم 23 رقم الحديث 4023 . ج2 . ص1334 .

الذى ستجزى به ان هي صبرت وثبتت ألا وهو الجنة . فقال الله تعالى : ((لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا)) (1) وقال : ((ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون)) (2) وقال : ((وهو الذى خلق السموات و الأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم احسن عملا)) (3) ، وقال : ((ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم)) (4) ، وقال : ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال و الانفس و الثمرات وبشر الصابرين)) (5) ، وقال ((ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء و الضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول و الذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب)) (6) .... والايات كثيرة .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم مبينا طبيعة الطريق : ((حفت الجنة بالمكاره)) (7) ويرد على أصحابه عليهم الرضوان عندما اشتد بهم الاذى وسألوه النصرة والدعاء : ((كان فيمن كان قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم اوعصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الاالله عز وجل أو الذئب على غنمه و لكنكم تستعجلون)) (8)
((حدث به ابوعبد الله خباب بن الارت رضي الله عنه))

وهكذا يمكننا القول بأن المحن و الابتلاءات سنة الله في الدعوات وبالتالي لايمكن أن يفلت منها انسان ، وخاصة من اتخذ الله غاية ورضاه مقصدا ومحمدا صلى الله عليه وسلم قدوة الااذا تخلى عن دعوته ، وانحرف عن طريقه وحاد عن عقيدته . وهذا ما فهمه أهل الايمان ، فكان الواحد منهم يقول : ((اذا سلك بنا طريق البلاء سلك بنا طريق الانبياء)) (9) .

وهذا ماأدركه الامام الشهيد حسن البنا رحمه الله فقال لاخوانه بعد ماذكر لهم

1- سورة ال عمران الاية 186 2- سورة الانبياء الاية 35
3- سورة هود الاية 7 4- سورة المائدة الاية 48
5- سورة البقرة الاية 155 6- سورة البقرة الاية 214
7- اخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها 8/ 142 واخرجه الترمذى في باب : ماجاء : حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات 4 ص97 ،رقم الحديث 2684 وعقب بقوله : هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه .
8- الامام محي الدين ابي زكريا بن شرف النووى رياض الصالحين ط1 بيروت دار الكتاب العربي 1395 هـ 1973 م ص32
- عبد الرحيم عنبر الطهطاوى هداية البارى ط5 بيروت : دار الرائد العربي 1402 - 1982 ، ج 2 ، ص3
اخرجه البخارى في صحيحه / فتح البارى م6 كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام ص 619 رقم الحديث 3612 .
ورواه احمد في مسنده ج 5 ص111
9- [illegible] ص 126 .

الفصل الخامس

الابتلاء في حياة الانبياء والرسل

وفيه أربعة مباحث

المبحث الاول : ابتلاء نوح

المبحث الثاني : ابتلاء ابراهيم

المبحث الثالث : ابتلاء يوسف

المبحث الرابع : ابتلاء موسى

ما سيتعرضون له من محن وابتلاءات،

((وحينئذ تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل الدعوات ،وقد يطول بكم الامتحان فهل انتم مصرون)) (1)

والشهيد سيد قطب فقال : هذا هو الطريق : ايمان وجهاد .. ومحنة وابتلاء .. وصبر وثبات .. وتوجه الى الله وحده ثم يجيء النصر ثم يجيء النعيم)) (2)

1ـ مصطفى مشهور طريق الدعوة . القاهرة : دار الطباعة والنشر الاسلامية 1396 هـ 1979م ص 69

2ـ سيد قطب في ظلال القرآن م1 ج 2 ص219 .

لقد اختار الله عز وجل صفوة خلقه من الانبياء و الرسل ليجرى عليهم سنتـــه فيربيهـم على تحمل المشاق و تبليغ الرسالة ،وأداء الامانة الملقاة على كاهلهـم ليكونوا مثلا عليا للمـؤمنين ونمـاذجا يقتدى بها ؛ فكانوا أكثر الناس ابتلاء واشدهم محنـــــة .

وفي هذا الفصل نستعرض ـ ان شاء الله ـ أربعة نماذج من هؤلاء الانبياء والرسل : نـــوح ـ ابراهيـــم ـ يوســـف ـ مـــوسى .

المبحــــث الاول

ابتـــلاء نـوح عليــه الســلام (1)

عندما استشرى الفســاد وعم الشرك بالله ،وطغى الباطل وتحكم الجبابرة الطغاة أرسل الله نوحا الى قومه بشيرا ونذيرا وداعيا الى توحيد ربه ونبذ كـــل مايعبد من دونـه قال تعالى :((ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبيــن أن لاتعبدوا الا الله ..)) (2) الا أن الكبراء من قومـه واجهوا دعـــوتـــه هذه بالصدود و الاعـراض ،وحاولوا بكل مالديهـم من قوة أن يصمتوا صـــوت الحق ويطمسوا نوره كما يفعل الجبابرة في كل عصر وأوان حفاظا على مصالحهـــم فاذاقوه عليه السلام صنوف العذاب وأنواع الاضطهاد و الوان الشدائد التـــي يمكـــن تلخيصها فيما يلي :

الضـــــرب : لقد تعرض نوح عليه السلام وهو يبلغ رسالتـــــه الى ضروب شتى من الضرب المبرح حتى ان بعض المفسرين قالوا أنه عليه الســلام ((كان ياتي قومه فيدعوهم الى الله ، فيجتمعـون عليه ويضربونه الضرب المبـرح ويخنقونـــه حتى يغشى عليه ثم يلفونه في حصير ويرمون به في الطريق ويقولـون أنه سيموت بعد هذا اليوم فيعيد الله سبحانه اليه قوته فيرجع اليهــــم ويدعـوهم الى الله فيفعـلون به مثل ذلك)) (3) .

الاستهـــزاء : لقد اتخذ قوم نوح بشريته ذريعة ومبررا للطعــــن في رسالته وتكذيـب دعوته و الصد عن دينه ؛ قال تعالى ((وقال الملأ الذيـــن كفروا من قومـه مانراك الا بشرا مثلنا ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنـــا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بـــل

1ـ وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ . وهو ادريس بن يرد بن مهلا بيـــل بن قينن بن انوش بن شيث بن ادم ابي البشــــر
الحافظ ابو الفداء ابن كثير الدمشقي ،البداية و النهاية .ط 6 ، بيـــروت .مكتبة المعارف 1405 هـ . 1985م .ج 1 . ط 100 .
2ـ ســـورة هـــود الايتين (25 ـ 26 ـ)
3ـ محمد علي الصابوني . النبوة و الانبياء .ط 1 .عالم الكتب ، 1985 ص 155 .

نظنكـــم كاذبين)) (1) وقال تعالى : ((كذبت قوم نوح المرسلين)) (2)

التهـــديد بالرجـم : ان الطاغية الجبار في كل عهد اذا أعيتـــه الحيلة واستخدم كل الوسائل لجعل الرسول او المصلح او الداعية الى اللـــه يحـيد عن نهجـــه ويتخلى عن دعوتـــه ولم يفلح لجأ الى منطق القـــوة والبطش والقتل . وهذا ماحدث لنوح عليه السلام اذ هدده قـومـه بالقتل رجما ان لم ينته اذ قال الله تعالى : ((قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين)) 3

السخـــريـــة : ان اعداء الله يعلمون بأن النفس الابيـــة تابى ان يسخر منها أو يستهزأ بها وخاصة ان كانت صاحبة حق ، ولهذا يستخدمونها كاسلوب لايذاء الرسل والدعاة ، وكان نوح اول رسول سخر منـــه ((كلما مر عليه جماعة من كبراء قومـه هـزؤا منه وضحكوا وقالوا : ((يانوح كنـــت بالا مس نبيا واصبحت اليوما نجارا)) (4) . وقد قال تعالى ((وكلما مر عليـــه مـلا من قومـه سخروا منـه قال ان تـسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون)) 5

الاتهـــامـــات : للتشكيك في عقيدة نوح عليه السلام ولتشويـــه صورتـه عند الناس وتنفيرهم منه لجا قومه الى شن حملة من الاتهامات و الاراجيف والاشاعات من بينهـــا :

تهمـــة الافتراء والجـــدل : قال الله((قالوا يانوح قد جادلتنـــا فاكثـرت جدالنا فاتنا بمـا تعدنا ان كنت من الصادقين)) (6)

تهمـــة الجنـــون : قال تعالى ((كذبت قبلهم قوم نوح نكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر)) (7) وقال : ((ان هو الا رجل به جنـــة فتربصوا به حتى حين)) (8) .

تهمـــة الضـــلال : قال عز وجل ((قال الملا من قومـــه انا لنراك في ضلال مبين)) (9)

الازدراء : ان قوم نوح يزنون الانسان بقدر مايملـــك من مال وما يبسط من نفوذ بينما عليه السلام يزن الناس بميزان الايمان لهـــذا أرادوا استمـالته اليهم بالايحاء اليه انهم لن يستطيعون الايمان بـه مادام تابعيه من الضعفاء و الفقـراء قال تعالى ((أنومن لك واتبعك الأرذلون)) (10) وفـــي وضع الطرد شرط للايمان اغراء له بطريقة غير مباشرة هذا من ناحية ومن ناحيـــة اخرى أرادوا تشكيكه في اتباعه بقولهم انهم لم يتبعوه الا طمعا في الحـــزة

1ـ سـورة هـود الاية 27 2ـ سـورة الشعراء الاية 105
3ـ سـورة الشعراء الاية 116 4ـ محمد على الصابوني وصفوة التفاسير م 2 ، ص15 .
5ـ سـورة هـود الاية 38 6ـ سورة هـود الاية 32
7ـ سـورة القمـر الاية 9 8ـ سـورة المومنون الاية 25
9ـ سـورة الاعراف الاية 60 10ـ سـورة الشعراء الاية 111

والمال حتى يشعر بالوحدة والخيبة فتهن عزيمته ، لكن هيهات أن يحدث هذا لرسول تكفل الله برعايته .

ان نوحا عليه السلام كان يدرك تمام الادراك ان طريقه هو طريق الانبياء والدعاة والمصلحين ، وهو درب صعب المسالك ، شديد المتاعب ، كثير العقبات الا ان ثقته في الحق واطمئنانه لربه اكبر من كل خوف ينتابه ، وسماحة نفسه اسمى من كل ضعف يلحق به لذا تجده لم يأبه بكل ما نسب اليه وبقي دائما قلبا عطوفا محصنا ، ولم يجزع من ايذاء قومه له ولم يتزعزع بل ظل صامدا مستمرا في دعوته ، متفننا في أساليب كسبهم مدة ألف سنة الا خمسين عاما — ((فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما)) (1) ولسانه يلهج بالاستغفار لهم ((اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون)) (2) الا ان اوحي اليه انه لن يؤمن من قومه الا من قد آمن ((واوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون)) (3) عندئذ دعا ربه ((اني مغلوب فانتصر)) (4)

وتتواصل امتحانات نوح عليه السلام واختباراته فها هو في نشوة الانتصار ولحظات الاستجابة يبتلي بابنه اذ يراه في معزل عنهم وليس معهم وانما اختار ان يكون مع الكفار .

فتتحرك عاطفة الأبوة ويصرخ اللسان والفؤاد في لهفة : ((يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين)) (5) . يجيب الابن المستهتر : ((سآوي الى جبل يعصمني من الماء)) (6) . ويواصل الاب نداءه : ((لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين)) (7) وفي هذه اللحظة يتوجه نوح عليه السلام الى ربه — كعادته — لينقذ ابنه : ((رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين)) (8) لكن الله يبين لنوح انه ليس من اهله لان الرابطة الحقيقية هي رابطة الدين لا الدم : ((قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك أن تكون من الجاهلين)) (9) . فصبر نوح واستغفر ربه وقال ((رب اني أعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين)) (10)

ان الداعية المتبصر بمراحل دعوة نوح عليه السلام يخرج منها برصيد كبير يستعين به على لأواء الطريق وثقل المسؤولية ، ويعبر توفر عليه كثيرا من الوقت والجهد ، نرد

1— سورة العنكبوت الاية 14 2— محمد علي الصابوني النبوة والانبياء ص 155
3— سورة هود الاية 36
5— سورة هود الاية 42 4— سورة القمر الاية 10
8— سورة هود الاية 45 6—7— سورة هود الاية 43
9— سورة هود الاية 46 10— سورة هود الاية 47

بعضهـــــا في هذا القســـــم :

أ ـ ان أعداء الله لايدعون أولياءه في راحة وأمن ، ولا يكفون ابدا عن مقاومتهم مستخدمين في ذلك اساليب شتى ووسائل متنوعة ، ومخططات رهيبة لتزيين الباطل وابطال الحق واقصاء المسلمين من دائرة التاريخ . وعليه وجب الالمام بها الماما تامـــــا وخاصة في عهد التحديات العصرية و الاختراعات التقنية (الساتليـــت البرابوليـــــك ...) التي اكتسحت كل العالم ووجدت صدى حتى عند بعـــض الاســــلاميين .

ب ـ لابد من وجود روح الابتكار و الابداع و التجديد في الوسائل التـــي يسعى بها الداعية الى تنحية الاوضاع الجاهلية وتحلية النفس البشرية بالقيـــم والاخـــلاق الربانية لتصبــــح نموذجا حيا مجسمـــا للاسلام ، والتدقيق في استخدامها لان نجاح الفكـرة يتوقـف على كفاءة الوسيلة ومدى فعاليتهـــــا .

ج ـ الزمن جزء من العلاج وعنصر من عناصر الدعوة يؤمن العصبة المؤمنـــة من داء اليأس الذى يؤدى الى السلبيــة و الموت ، وداء الاستعجـــال الذى يدفع الى عدم النظر في عواقب الامور ، وعدم الدقة والاحكام في وضـــع خطة التغيير واختيار الاسلوب الملائم و الوسيلة المناسبة . كما يفتح لها بـــاب الامــل والتفــاؤل الذى يحثها على استمـرارية العمل .

وعليه لابد لهذه العصبة من النفس الطويل والصبر الجميل و الفهم الدقيق و العمل الدائـــب والثقة المطلقة بانه واليقين التام بنصره حتى تتمكن من اجتـــذاب الناس واستيعـــابهم وسبر أغوارهم ومعالجــة أمراضهم وصياغتهم صياغة قرآنيــــة

د ـ على الداعية الذى يبتغي رضوان الله الا يقدم ولاء الا لله و لرسولـــه والمـؤمنين سواء كانت الوشيجة التي تربط بينه وبين الآخرين وشيجة دم أو جنس أو وطن أو لون أو مهنـــــة لان الله عز وجل لم يقر الا آصرة واحدة هـــــي آصــرة العقيــدة فاذا انقطعت فلا صلة ولا مـــودة .

قال تعالى : ((لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد اللـــــه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايـــــان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيهــــــا رضي الله عنهم ورضوا عنـــه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون)) (1)

وقال : ((انما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصـــــــلاة ويؤتون الزكاة وهـــم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب اللـــه هـــم الغالبون)) (2)

---

1 ـ ســـورة المجادلـــة الاية 22

2 ـ ســـورة المائـــــدة الايتين 55/56

المبحث 2

(1) ابتلاء ابراهيم الخليل عليه السلام

ان صراع ابراهيم عليه السلام مع قومه هو صراع كل الانبياء مع أقوامهم حول رسالة الحق ودعوة التوحيد ، فقد أرسل الله ابراهيم عليه السلام لمحاربة الوثنية والشرك بالله ، ولاثبات وحدانيته سبحانه وتعالى ووجوده فهو الخالق الرازق المدبر الحكيم ، ولاخراج قومه من الظلمات الى النور ومن عبادة العباد الى عبادة رب العباد .

وابراهيم ككل رسول ونبي وداعية الى الله لابد أن يمتحن ، ولابد ان يبتلي ليتربى ويتدرب لحمل الرسالة واداء الامانة ولاحقاق الحق وازهاق الباطل ، واقامة شرع الله .

بدأت محنة ابراهيم عليه السلام منذ ان ولد ونشأ في مجتمع جاهلي يسوده الشرك بالله ، والكفر بالقيم ، والجهل والظلم والضلال ، وحيدا بلا نصير ، غريبا بفكره وتصوره وبفطرته السليمة ، وعقله الراشد ونفسيته الحليمة ، واحساسه المرهف ، اذ ان الله اتاه رشده وهداه الى توحيده ، وبين له وجوه الخير وسبل الصلاح ، واعطاه اسلوب الاقناع وقوة الحجة : ((ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين)) (2) وهكذا بدأ عليه السلام حياته بالوحدة والغربة فلا رفيق ، ولامعين/ولاسند له الاالله ، فقد كان أمة وحده قال عز وجل : ((ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ، ولم يك من المشركين)) (3)

الاب : لم ينطو ابراهيم على نفسه ، وينعزل عن الناس ويبك قدره الذى اوجده في مثل هذا المجتمع المتعفن الجاهلي ، كما أنه لم يجارى قومه في عبادتهم لأن فطرته السليمة وعقله الراشد يابي عليه ذلك ، لكنه قرر ان يتحدى الباطل مهما كلفه الامر ، فذهب يدعو الى الله الواحد القادر العليم ، ونبذ عبادة الاوثان . وأول مابدأ بدأ بأبيه الكافر أقرب الناس إليه عسى الله ان يلهمه الصواب والهداية فبين له بكل تلطف ورفق وأدب بطلان عبادة الأصنام طريق الشيطان العاصي للرحمان بالمنطق السليم والحكمة والموعظة الحسنة ((يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا . ياأبت اني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا . ياأبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمان عصيا . ياأبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان فتكون للشيطان وليا .)) (4)

---

1 — هو ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام (ابن كثير البداية والنهاية ج 1 ص139

2 — سورة الانبياء الاية 51

3 — سورة النحل الاية 120

4 — سورة مريم الاية 42/45

الا أن الأب المتمسك بعقيدة ابائه واجداده رمى بكلامه عرض الحائط ، وقابل الرفق بالقسوة ، والحنان بالجفوة وهذا شأن الباطل مع الحق ، فلقد هدده بالرجم وتوعده بالابعاد : ((قال أراغب انت عن الهتي ياابراهيم لئن لم تنتهِ لأرجمنك واهجرني مليا)) (1) لم يعن ابراهيم الا ان قال ((سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا)) (2)

__الفتـــــــــى :__ ويتوجه ابراهيم بدعوته الى قومه عسى ان يجد من يستجيب له ، ويقيم الحجة على ضلالهم وفساد عقيدتهم بالبرهان والاستدلال ويفحمهم بالحجة والبيان ، وتبدأ محنته عليه السلام معهم بالاعراض والتكذيب محنة هذا الرجل ((هذا الفرد الأعزل من كل سلاح ، فرد يمتطي صهوة الحق وحيدا ويعلن على الملا ايمانه بالله وكفره بما يعبدون من دونه ((قال افرايتم ماكنتم تعبدون أنتم واباؤكم الاقدمون ، فانهم عدو لي الا رب العالمين)) (3)

ويشتد ابتلاؤه عندما يضيق صدره بالأصنام فيقرر الكيد لها ليبين للجميع أنها لاتستطيع صد الخطر عنها فكيف تحميهم . وخطط ونفذ كما وصف ذلك عز وجل في محكم تنزيله : ((وتا الله لأكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الاكبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون)) (4) ، فاغتاظ القوم وطار صوابهم وعرفوا ان هذه الفعلة لا يقوم بها الا ذاك الفتى ابراهيم ، فأجمعوا على حرقه ليطفئوا نارغيظهم وينتصروا لالهتهم خاصة بعد ان سفهها واستهزأ بها ((قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين)) (5) وبهذا يتم لهم اخماد صوت الحق والقضاء على دعوة الله .

ويلقى ابراهيم في النار ، ويرضى بما قدر له فلا يفزع ولا يغضب وانما يلجأ الى الله ولا يفتأ لسانه يردد : ((حسبنا الله ونعم الوكيل)) (6) ويأتي المدد .. ويجيء الفرج ويتولى الله انقاذه بنفسه فيأمر النار أن تتخلى عن وظيفتها : ((ياناركوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين)) (7)

__البــــــــطـل :__ لقد كان النمرود ملكا جبارا ادعى الالوهية وزعم انه هو الرزاق ، فكان لايطعم الا من اعترف بربوبيته ، اما من لم يعترف فانه يلاقي أنواعا شتى من العذاب والاضطهاد ، لكن ابراهيم لم يخف هذا المخلوق العاجز الجاهل المغرور ، لم يخف

---

1 — سورة مريم الاية 46   2 — سورة مريم الاية 47
3 — فتحي يكن . مشكلات الدعوة والداعية ، بيروت . موسسة الرسالة 1401 هـ ، 1981 م ص20
4 — سورة الانبياء الايتين 57 . 58
5 — سورة الانبياء الاية 68   6 — ابن كثير البداية والنهاية ج 1 ص146 الشيخ عبد اللطيف بن على السلطاني . في سبيل العقيدة الاسلامية . ط 1 قسنطينة الجزائر ، دار البعث 1402 هـ 1982 م ص62 . رواه البخارى عن ابن عباس - السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور بيروت دار المعرفة ج 4 ص322 — الحاكم النيسابوري المستدرك في الصحيحين بيروت دار الكتاب العربي كتاب التفسير ج 2 ص298
7 — سورة الانبياء الايتين 69 ، 70 .

الموت جوعـا ان هو عارضه بل وقف في وجهـه وهو أعزل لايملك قوة، ولا جاهـا ولا سلاحا الا سلاح الايمـان تناظره وأقام عليـه الحجـة الدامغـة والبرهان الساطع كما وضح ذلك القـران الكريـم: ((ألم تـر الى الذى حاج ابراهيم في ربـه ان اتيـه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيى ويميت . قال أنا احيي واميت ،قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بهـا مـن المغـرب ،فبهـت الذى كفر . . .)) (1) وهكذا اجتاز هذه المحنـة بسـلام .

ــ استقبل ابراهيم مرحلة جديدة من حياته فلقد تبرأ من أهله ((انني براء مـا تعبدون . إلا الذى فطرني فانه سيهدين)) (2) . وهاجر قومـه وغادر الديار والوطن . . وانتقل من غـربة الى غـربة ومن ابتلاء الى ابتلاء . . . من غـربة وسط الاهـل الى غربة بمفـارقة الوطن . . ومن ابتلاء الصـد والاعراض والتحـريق الى ابتلاء البعـد والوحدة . . ومحنتـه مع الملك الجبار الذى أراد الاعتداء على زوجـه سارة ،فـما كان من ابراهيم الا ان لجـأ الى خالقـه كعـادته ،يصلي له ويدعوه ان ينجي زوجتـه فما خيب اللـه خليلـه بل رد كيـد الطاغيـة في نحـره ،وانقذ سارة وجعله يهبها هاجـر الولـــــــــــد ؛ وفي غربته هذه وفي وحدته تلك دعا ابراهيم ربـه ان يهبـه خلفا صالحا وابنا بارا واستجاب الله لدعائه ورزقـه اسمـاعيل غلاما حليمـا : ((رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغـلام حليـم)) (3) . ويا للفرحـة والغبطـة التي غمرت نفس ابراهيم ولكنهـا لم تطل اذ ان الله اراد ان يبتليـه فامره بمفـارقته واخذه الى ارض بعيـدة جـرداء موحشـة لازرع فيهـا ولاأنيس ،وتنفذ ابراهيم امرربـه بكل رضـى واطمئنـان .

ولم يتوقف ابتلاء الخليل عند هذا الحد بل اشتد وزاد فها هو يرى فـي المنـام أنـه يذبح ابنه الوحيد الذى رزق به بعد طول انتظار وبعد أن اشتعل الراس شيبا وبعد آن بلغ معه السعي ، ورؤيا الأنبياء اشارة وأمر . . فأى ابتلاء أكبـر . . وأى محنـة أشد وأى فتنـة اخطر من ان يؤمر الانسان بذبح فلـذة كبـده وبكره ووحيده وخاصة ان كان هذا الانسان هو ابراهيم الحليـم الأواه . . لم يتردد الخليل لحظة واحدة ولم يضطرب لكنه سارع الى تنفيـذ امر ربـه بعد أن أخبر إبنـه الحليم الذى استسلم لامر ربه راضيا حامدا شاكرا ويصور لنا القرآن الكريم روعة المشهد : ((فلما بلغ معه السعى قال يابني انـي ارى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنـي ان شاء الله من الصابرين)) (4)

ولكن الله عز وجل لم يرد بذلك الا امتحان عبده ،وقد نجح ابراهيم وولـده في الاختبار فقد جادا بكل مايملكا في سبيل الله ،وهنا يجازيهما عز وجل ويفتـدى اسماعيـل بذبـح عظيـم :

---

27 ، 26 ... [illegible] ... 258 ... [illegible]

((وناديناه ان ياابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم)) (1)

ان هذا نموذجا لعطاء ابراهيم الذى جعل الله سبحانه وتعالى يتخذه خليلا له ، فقد قال الامام ابن القيم الجوزية في كتابه الوابل الصيب من الكلم الطيب ، سمعت الشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام أتدرى لما اتخذتك خليلا قال : لا ، قال لاني رأيت العطاء أحب اليك من الاخذ ا.هـ)) (2)

وصدق الله في أمر ابراهيم عليه السلام عندما قال : واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن)) (3) وما هذه الكلمات الا : ((فراق قومه في الله حين امر بمفارقتهم ، ومحاجة نمرود في الله ، وصبره على قذفهم اياه في النار ، والهجرة من وطنه حين امر بالخروج عنهم ، وما ابتلى به من ذبح ابنه حين امر بذبحه)) (4)

وهكذا استحق ابراهيم الخليل عليه السلام ان يكون خليلا للرحمان وابا للانبياء واماما للاتقياء وقدوة للمرسلين والعاملين الذين يمكنهم ان يستشفوا من رحلته الشاقة عدة معاني منها :

أ — ان استقرار العقيدة في قلب الداعية تخلص نفسه من كل معاني الخوف والضعف والخور والمذلة ، وتبعث فيها كل معاني العزة والكرامة والقوة والشجاعة التي تدفعه الى الجهر بالحق امام الطغاة مهما عتوا واستبدوا ، والوقوف في وجه قوى الباطل مهما انتفشت وتجبرت .

ب — ان شدة المحنة لايخفف منها الا صدق اللجوء الى الله وكمال الثقة فيه والاحتساب به ، وشدة التوكل عليه وقوة الاتصال به

ج — ان دعوة الله موجهة لكل شرائح المجتمع وطبقاته والداعية الناجح هو الذى يحسن اختيار الاسلوب المناسب وتطويره وتجديده وتغييره لعرض أفكاره ومبادئه بعد تحديد الهدف والوسيلة ، مراعيا في ذلك السن والميول والثقافة والاتجاه والمستوى والوسط ، والاسلوب المناسب هو الاسلوب المؤثر المحرك المغير الذى يقتحم النفس بطيب الكلام ويلين القلب بحسن المعاملة وينير العقل بقوة الحجة والبيان ويثير العواطف بالود والرحمة والمشاعر بالحلم والرضا ، والاحاسيس بالرعاية ومقاسمة الهموم والامال .

1— سورة الصافات الايات (104 الى 106)
2— الشيخ عبد اللطيف بن على السلطاني ، في سبيل العقيدة الاسلامية ص48
3— سورة البقرة الاية 124
4— محمد علي الصابوني — صفوة التفاسير م1 ، ج 1 ، ص95 .

قال تعالى : ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن))[1]

وقال : ((وقل لهم في انفسهم قولا بليغا))[2]

وقال : ((وقولوا للناس حسنا))[3]

د ـ ان الصعود بالمدعوين من سفح الجاهلية الى قمة الايمان وسمو العقيدة لا يتم دفعة واحدة وانما بالتدرج والمتابعة وبذل قصارى الجهد الذي يستجيش به الضمائر ويزيل به ركام الافهام الخاطئة للدين والتقاليد الجاهلية المخالفة له .

و ـ ان حب الله اذا ملك قلب الداعية وهب كله لله عز وجل ولم يبق منه شئ وضحى في سبيله بكل ما يملك من مال وولد وزوج ووقت وجهد ونفس ، وأطاعه طاعة تامة من غير تردد أو حرج أو شك . وصدق القائل :

تعصي الاله وأنت تظهر حبه — هذا محال في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته — إن المحب لمن يحب مطيع

---

1 ـ سورة النحل الاية 125

2 ـ سورة النساء الاية 63

3 ـ سورة البقرة الاية 83

المبحث الأول

ابتلاء يوسف عليه السلام (1)

ان القارئ للقرآن والمتدبر فيه يجد أن الله عز وجل تحدث عن حياة يوسف عليه السلام وما تعرض له من انواع المحن ومن ضروب الابتلاءات والفتن قلما تجتمع في حياة رجل واحد ليكون درسا وعبرة لكل من يسلك طريق الانبياء والرسل .

الاخوة : يبدا يوسف عليه السلام حياته منذ طفولته بتعرضه لحسد اخوته لابيه والتفكير بالكيد له ، والتآمر عليه لقتله أو ابعاده عن أبيه لا لشيء الا لحب والده الشديد له . وكان هذا هو أول ابتلاء في حياة يوسف عليه السلام .

الجب : ولم تتوقف محنته مع اخوته عند الحسد والكيد له بل قرروا قتله بالفعل لكن الله عز وجل أراد غير ذلك ، فاقترح احدهم حلا يريحهم من يوسف ويبعده عن أبيه وهو رميه في الجب على طريق القوافل ((قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين)) (2) .

وتنفذ المؤامرة ويلقى يوسف في ظلام الجب ووحشة الصحراء بدون معين وتنطلي الجريمة ، ويلبس الامر على يعقوب عليه السلام حتى لا يتمكن من انقاذ ابنه الحبيب الى قلبه . قال تعالى :((فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لايشعرون))(3)

ويبقى يوسف في ظلام البئر الموحش يتألم ألمين : من ظلم اخوته له ، وما اقساها على النفس البشرية ، ومن حياة الخوف والرعب في البئر .

الرق : وينتقل يوسف عليه السلام من محنة الجب والخوف الى محنة الاسترقاق عندما يلتقطه السيارة من الجب ، لا ليلتحق بأبيه الحبيب وينعم بالعيش معه ، وانما ليجد نفسه عبدا مملوكا يباع بابخس الاثمان ، وبخس الثمن يدل على رخص السلعة وهوانها ، وما اصعب هذا الامر وأشده على النفس الحرة الأبية التي اعتادت حياة الحرية والسيادة :

((وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يابشراى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون . وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)) (4)

ويباع يوسف لعزيز مصر ليدخل في ابتلاء آخر هو العيش في جو القصور الذى

---

1 ـ هو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (ابن كثير البداية والنهاية ج 1 ص 199 محمد على الصابوني النبوة والانبياء ص 270
2 ـ سورة يوسف الاية 10
3 ـ سورة يوسف الاية 15
4 ـ سورة يوسف الايتين (19 ، 20)

يسوده العبث والاستهتار و الفجور، ويتعرض فيه للغواية لكنه لايتأثر بهذه البيئة ويبقى نزيها مستقيما الى أن يبلغ اشده ويؤتى الحكمة والعلم .

الابتلاء : ويبتلى يوسف بابتلاء تزول له الجبال الراسيات ابتلاء الاغراء والشهوة والفتنة والمراودة وهو في عنفوان شبابه وقوته وشدته ، اذ تخرج عليه امرأة العزيز متزينة متعطرة ، مظهرة لكل مفاتنها متخذة كل أسباب الاغواء والاغراء وتغلق الابواب وتدعوه للفاحشة وتلح في الطلب لكنه رفض وثبت وقال ((معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لايفلح الظالمون)) (1) . ثم ولى هاربا نحو الباب لاتقاء الفتنة لكنه لا يعلم بأن ابتلاء اخر ينتظره هناك، عندما تنقلب الموازين فجأة امام العزيز فيصبح البريء متهما والمتهم بريئا وهكذا اتهم يوسف الطاهر العفيف بتهمة خلقية شنيعة تهمة الزنا والفحش والخيانة :

((قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أوعذاب أليم)) (2)

قال ابن كثير: ((اتهمته وهي المتهمة وبرأت عرضها ونزهت ساحتها)) (3)

- واشتدت محنته أكثر عندما شاع الأمر بين الناس، وازدادت فتنة الاغراء التى لم تتوقف عند امرأة العزيز فقط بل تعدت الى نساء الأعيان والأكابر ، وعندما هددته أمام هؤلاء النسوة وخيرته بين المراودة أو السجن فوجد نفسه بين محنتين ، كما قال الشيخ القرضاوي حفظه الله ((بين محنة في دينه : أن يزني ويكون من الفاسقين ، ومحنة في دنياه : أن يسجن ويكون من الصاغرين)) (4) لكنه اختار دينه عن دنياه وآثر شقاء السجن على سعادة القصر ، وقال قولته المشهورة : ((رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين)) (5)

السجن : ودخل يوسف السجن رغم الادلة الثابتة على براءته متهما محتقرا محاطا بالاراجيف والشبهات الا لدفن الفضيحة قال ابن كثير: ليكون ذلك أقل لكلام الناس في تلك القضية وأخمد لأمرها وليظهروا أنه راودها عن نفسها فسجن بسببها فسجنوه ظلما وعدوانا)) (6) . وبقي في غياهب السجون - وما أقسى السجن على البريء المظلوم - بضع سنين للمعاناة بالاضافة إلى محنة الغربة وفراق الوالدين والأهل والوطن وانقطاع أخبارهم عنه . لكن هذا لم يؤثر فيه ولم يجعله يغفل عن دعوته ويعتزل عن الناس بل انطلق يدعو إلي توحيد الله عزوجل والايمان به وباليوم الاخر بالمنطق السليم والحكمة البالغة ، بعدما كسب ثقتهم واستولى على قلوبهم فقال لهم ((ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لايؤمنون بالله ، وهم بالاخرة كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ماكان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس

1- سورة يوسف الاية 23   4- القرضاوي الصبر ص79
2- سورة يوسف الاية 25   5- سورة يوسف الاية 33
3- ابن كثير البداية والنهاية ج 1 ، ص204
6- ابن كثير البداية والنهاية ج 1 ص206

لا يشكرون . ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)) (1)

— ويقضي يوسف عليه السلام المدة التي قدرها له الله في السجن ويأتي الفرج ويبشر بخبر الافراج عنه لكنه يرفض الخروج رفض الابي العالي الهمة ويعتذر عنه حتى تعلن براءته امام الجميع فيظهر الحق ويزهق الباطل اذ قال الله : ((وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطّعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم)) (2) . وقد عظم صبر يوسف وأناته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ((ولو لبثت في السجن مالبث يوسف لأجبت الداعي)) (3) ، وفي رواية أخرى : ((لوكنت أنا لاسرعت الاجابة وما ابتغيت العذر)) (4) .

= الرخاء : وهكذا تنتهي مرحلة الابتلاء بالشدة ليدخل في مرحلة الابتلاء بالرخاء فيمتحن بالسلطان والمنصب والوزارة اذ اصبح أمينا على خزائن مصر ومسؤولا على المالية والزراعة حينما أخرجه الملك من السجن واستخلصه لنفسه ، وأكد له أنه ذو مكانة وفي أمان قال تعالى : ((وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي . فلما كلمه قال : انك اليوم لدينا مكين أمين)) (5) . لكن رغم هذا لم تحدثه نفسه لحظة واحدة بأن يتجبر ويتكبر ويتعالى على الناس بل بقي يوسف المتواضع العارف بربه العابد الخاضع له . وفي نفس الوقت لم يهن نفسه أمام الملك ولم يستعطفه بل طلب بكل ثقة وثبات أن يجعله على خزائن الأرض فقال ((اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم)) (6) وفي هذا قال صاحب الظلال : ((انه لم يسجد شكرا كما يسجد رجال الحاشية المتملقون للطواغيت ، ولم يقل له : عشت يامولاي ، وأنا عبدك الخاضع أو خادمك الأمين ، كما يقولون المتملقون للطواغيت كلا إنما طالب بما يعتقد أنه قادر على أن ينهض به من الأعباء . . .)) (7)

— وقضت حكمة الله عز وجل أن يلتقي يوسف عليه السلام بإخوته — الذين كادوا له ، ورموه في الجب حسدا وبغضا له — وهو في أعلى مقام ، ومتقلدا لاعظم مركز وحاكما لأمور الناس دينا ودنيا . ترى بماذا تحدثه نفسه : أينتقم منهم وخاصة بعد أن اتهموه بالسرقة

---

1 — سورة يوسف الآيات 37 . 40 2 — سورة يوسف الآية 50
3 و4 — احمد مصطفى المراغي تفسير المراغي م4 ج 12 ص157
أخرجه البخاري في صحيحه / فتح الباري كتاب أحاديث الانبياء باب قول الله تعالى : لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين . رقم الحديث 3387 م6 ص418 ، ومسلم في الجامع الصحيح كتاب : الايمان : باب زيادة الايمان بتظاهر الادلة ج 1 م1 ص92
5 — سورة يوسف الآية 54 6 — سورة يوسف الآية 55
7 — سيد قطب في ظلال القران م4 ج 13 ص2005

وهم له منكرون ((إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)) (1) ، أم يستطيع ضبط انفعالاته وتصرفاته فيكظم الغيظ عنهم ويستغفر لهم ؟ هذا ما قام به عليه السلام عندما رق لحالهم وعرفهم بنفسه ، وذكرهم بما فعلوه به وبأخيه فقال : ((لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو ارحم الراحمين)) (2)

= الاب : آخر ابتلاء مر بيوسف هو موت أبيه يعقوب عليه السلام فلم يجزع وصبر كعادته قال السدى : ((فصبروه وسيره الى بلاد الشام قد فنه عند أبيه اسحاق وجده الخليل عليهم السلام)) (3)

وهكذا خرج يوسف عليه السلام من محن وابتلاءات وفتن الشدة والرخاء ابتداء من كيد اخوته الى رميه في الجب الى استرقاقه الى اغراء امرأة العزيز الى السجن الى الملك والسلطان الى لقاء اخوته الى موت ابيه هذا الى جوار محنته بالغربة والوحدة كالذهب الخالص من النار نزيها مستقيما ، صابرا ثابتا ، محتسبا متجردا لله ، معترفا بفضله عليه متواضعا ، متوجها له بالدعاء : ((رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين)) 4 لانه يعلم ان الايمان جهاد وتضحية ، صبر وابتلاء ، ثقة ورجاء وهذا هو طريق الرسل والانبياء الذين اصطفاهم الله عز وجل وتكفل بتربيتهم ، كما هو قانون النصر والتمكين . قال الاستاذ المراغي : ((فما حدث من اخوة يوسف وما فعلته مسترقوه وما وصى به الذى اشتراه امرأته من اكرام مثواه ، وما وقع له مع هذه المرأة من احداث ومن دخوله السجن ، قد كان من الاسباب التي اراد الله له بها التمكين في الأرض)) (5)

لقد علم يوسف عليه السلام البشرية من بعده :

أ - ان اتسام الداعية بالصلاح والاخلاق الكريمة والسيرة الحسنة والعلم الوافر والكفاءة في التخصص والثبات على الحق والصبر على المحن هو الذى يكفل له النجاح في دعوته اذ أنه بها تلتفت اليه الأنظار ويلتف حوله الناس ، ويصبح موضع ثقة تمكنه من استقطاب الأنصار واستنفار الهمم وحشد الجهود واكتساح أكبر شريحة في المجتمع يحقق بها التغيير المنشود .

1- سورة يوسف الاية 77
2- سورة يوسف الاية 92
3- ابن كثير البداية والنهاية ج 1 ، ص220
4- سورة يوسف الاية 101
5- احمد مصطفى المراغي تفسير المراغي م4 ج 12 ، ص126

ب ــ ان الحقد والحسد اذا لما قلب انسان أنقداه زمام نفسه وصحة تقديره للاموره، وأوقعاه في حبائل الشيطان الذى يقلب له المعايير ويزين له الاعمال مهما بلغت حقارتها وجرمها ، وعليه وجب على سالك طريق الدعوة مجاهدة نفسه ومراقبتها ومحاسبتها حتى لا تصاب بمثل هذا الداء الذى يحبط العمل ويبعد عن الله عز وجل .

جـ ــ ان الداعية لايعير انتباها للاشاعات و الاباطيل التي تلصق به رغم تشويهها لسمعته و دعوته ، واهدارها لكرامته ، لكنه اذا وجد سبيلا لتفنيدها سارع الى المطالبة باجلاء الحقيقة واعلان البراءة عيلى الاشهاد ردا للاعتبار ورفعا للظلم عن عقيدته .

د ــ ان الفهم السقيم للدين و التصور المنحرف للدعوة يحملان الداعية على حصر دعوته في مكان محدد وزمان معين ، و بالتالي تضيع له فرص ثمينة لنشر عقيدته وكسب انصار لها ، بينما صاحب الفهم السليم و التصور الصحيح لايغفل عن دعوته طرفة عين ، حيثما حل وارتحل ، ومهما كانت الظروف فانه ينتهز كل فرصة لكشف الاوضاع المتردية ، وتصحيح العقائد المنحرفة وبث العقيدة الصحيحة ، وتغيير الواقع المتعفن ، لان الدعوة لايحدها مكان ولا يحددها ظرف أو زمان .

هـ ــ ان الله ــ بعد الايمان به والثقة فيه و التوكل عليه ــ هو العاصم الوحيد من الانزلاق في براثين الشيطان و السقوط في وحل الرذائل ، والانحدار الى الدرجات السفلى من عفن الانحلال الخلقي و الغواية .

المبحث 4

ابتلاء موسى عليه السلام (1)

ان المعركة بين عباد الرحمن وأولياء الشيطان، والصراع بين الحق و الباطل والتحدى بين الايمان والطغيان، يتكرر في كل زمان ومكان . فلا الحق يترقف ويهدأ له بال حتى ينتصر ويعلي كلمة الله، ولا الباطل يضعف ويلين وهو يرى نور الله يعم الارض، وهكذا يستمر العراك حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله وهذا ماسنراه — بحول الله — في حياة موسى عليه السلام وصراعه مع فرعون

إن فرعون طغى ، واستكبر، وتجبر، واستعبد واستذل العباد، وامعن في القتل والاستضعاف، وأكثر في الأرض الفساد، وخاصة منذ أن رأى تلك الرؤيا التي قال فيها المفسرون: ((سبب تقتيل الذكور أن فرعون رأى في منامه ان نارا عظيمة اقبلت من بيت المقدس وجاءت إلى أرض مصر، فأحرقت القبط دون بني اسرائيل ، فسأل عن ذلك المنجمين و الكهنة . فقالوا له : ان مولودا يولد في بني اسرائيل، يذهب ملكك على يديه، ويكون هلاكك بسببه . فأمر ان يقتل كل ذكر من أولاد بني اسرائيل)) (2)

ولخص لنا الله فعل فرعون في محكم تنزيله فقال : ((ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين)) (3) فارسل الله كليمه موسى عليه السلام ليضع حدا لهذا الاضطهاد و الفساد ، وليطهر الارض من دنس العصيان ورجس الطغيان، بعد ان هيأه وصنعه على عينه ، ووضعه على محك التجربة والابتلاء منذ ولادته ، لان الرسالة تكليف صعب شاق يحتاج صاحبه الى زاد كبير من التجارب و العلم و الحكمة و القوة .

— القتل و الخوف : بدأ موسى عليه السلام حياته بابتلاء القتل اذ ولد و الخطر محدق به، والقتل ينتظره ، والخوف يحيط به من كل مكان غير ان الله تكفل برعايته وحفظه، فألهم الى أمه إن خافت عليه أن تقذفه في اليم بالتابوت ، فليلقه اليم بالساحل :

((وأوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين)) (4)

1— هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام (ابن كثير البداية و النهاية ج 1 . ص237)
2— محمد على الصابوني صفوة التفاسير م2 ج 20 . ص427
3— سورة القصص الاية 4
4— سورة القصص الاية 7

لكن هل زال خطر القتل عن موسى الرضيع أم افترسته دواب البحر؟ ان لم يكن ذلك فمن التقطه ؟ يخبرنا القرآن أن الذين أخذوه هم آل فرعون عدو الله وعدوه فقال الله تعالى : ((فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)) [1] وما زال شبح الموت يلاحق موسى عليه السلام ، فها هو فرعون يقرر قتله مخافة أن يكون هو الطفل المنتظر لكن قرار الله امكن فقد ألقي عليه محبة منه فهتفت كل القلوب بحبه ((والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني)) [2] . وخاصة آسيا زوج فرعون التي أحبته حبا شديدا فألحت على أن يتركه لها وهي المحرومة من الولد . ((وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا او نتخذه ولدا)) [3] . وفي هذا قال الاستاذ المراغي : ((ولما أخبرت فرعون به أراد أن يذبحه إذ قال اني أخاف أن يكون من بني اسرائيل وأن يكون هلاكنا على يديه ، فلم تزل تكلمه حتى تركه لها)) [4]

ونجا موسى وأمن واجتمع بأمه ، وكبر وشب في قصر فرعون وتحت نعيمه ، وحظى باحترام الناس وتعظيمهم ، لكن هذا لم يدم طويلا ، لان الله عز وجل لن يترك موسى بدون تربية وتمحيص واعداد لمهمته وخاصة بعد ان اتاه الحكمة والعلم .

ها هي المحن تتبعه من جديد إذ ابتلاه الله بقتل قبطي خطأ فاغتم لذلك وندم واستغفره، واصبح خائفا عن نفسه يترقب الاخبار ، ويبين لنا الله ذلك في قوله :"ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفرلي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين ـ فاصبح في المدينة خائفا يترقب ...)) [5]

ويصل خبر موسى الى فرعون ، ويفتضح امره بعد ان استنصره الاسرائيلي للمرة الثانية ، فيقرر قتله لكن الله بعث له جنديا من جنود الخفاء وهو رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه ـ ليبلغه بالمؤامرة التي تحاك ضده وينصحه بالهروب ـ فانتصح موسى بنصحه وخرج من وطنه وفارق الاهل خائفا هلعا ، هاربا من القتل اذ قال الله تعالى : ((فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين)) [6]

وهكذا امتحن الله كليمه بالقتل ، والمطاردة ، والهروب من القصاص،

---

1 ـ سورة القصص الاية 8   2 ـ سورة طه الاية 39
3 ـ سورة القصص الاية 9   4 ـ احمد مصطفى المراغي تفسير المراغي م7 ج 20 ص38
5 ـ سورة القصص الايات 15 ، 18   6 ـ سورة القصص الاية 21

واختبره بمفارقة الاهل والاحباب والوطن وبعبارة أخرى ابتلاء بالغربة

ان المتمعن في قصة موسى يجد ان الله عز وجل لم يكتف بهذه الابتلاءات لاعداده بل أضاف اليها :

- ابتلاء الجوع : اذ أنه خرج من بلده بدون زاد يتزود به او دابة تعينه على مشاق الطريق الذى لايعرفه وفيه قال ابن عباس ((خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ، لم يأكل الا البقل وورق الشجر ، وكان حافيا فسقطت نعلا قدميه من الحفاء ، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقة وان بطنه لاصق بظهره من الجوع ، وان خضرة البقل من داخل جوفه ، وانه لمحتاج الى شق تمرة)) (1)

- وابتلاء الخدمة ورعي الغنم : وهو الذى اعتاد نعيم القصور ورفاهية الملوك ، اذ زوجه شعيب ابنته على أن يخدمه ويرعى غنمه لمدة ثماني سنوات وان يتم العشر ان أراد ((قال اني أريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على أن تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد أن اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين)) (2)

ان المرحلة التي مرت من حياة موسى عليه السلام بكل ماتحمله من ابتلاءات وصبر وثبات جعلته اكثر نضجا ، وأكثر استعداد لحمل انواء الرسالة ، فها هو الله عز وجل في الوقت المقدر يبعثه الى فرعون ، وهو في طريق عودته الى مصر التي اصبحت اكثر تهيأ لاستقباله لان ظلم فرعون قد بلغ أقصاه وطغيانه قد تعدى مداه . قال تعالى ((اذهب الى فرعون انه طغى ، فقل هل لك الى ان تزكى . واهديك الى ربك فتخشى)) (3)

ويقف الايمان والكفر ، الهدى والضلال ، موسى وفرعون وجها لوجه بعد ان زود الله كليمه بمعجزتي العصا واليد ، واستجاب لطلبه اذ حل عقدة من لسانه وجعل هارون وزيرا له يشد به عضده ويؤازره ، وبعد ان رسم له الطريق وامنه واكد بان الغلبة له . وحان الوقت ودقت الساعة وهاهو موسى يبلغ فرعون رسالة ربه ويخبره انه واخيه رسولا رب العالمين قال تعالى : ((فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ، انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى)) (4) ، ويتميز فرعون غيظا ويطير صوابه انه لايرى لهم ربا غيره أليس هو القائل : ((انا ربكم الاعلى)) (5)

ويرد فرعون رد كل طاغية جبار في كل زمان ومكان ، رد استهتار وتهكم واستهزاء يخفي في طياته التهديد : ((الم نربك فينا وليدا ،

1- محمد على الصابوني النبوة والانبياء ص 190
2- سورة القصص الاية 27
3- سورة النازعات الايات 17 ، 18 ، 19
4- سورة طه الايتين 47 ، 48
5- سورة النازعات الاية 24

ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين)) (1)

وهكذا تبدأ السلسلة الثانية من محن موسى عليه السلام ب :

- الاستهزاء : وخاصة بعد أن تحاور مع فرعون وبين له من يكون رب العالمين فقال الطاغية لمن حوله على سبيل التهكم و السخرية ((الا تستمعون)) (2)

- الاتهام بالجنون : عندما الجمه موسى برده البليغ لجأ فرعون الى التشكيك في كلامه وتقديره للامور ، فاتهمه بالجنون ليصد الناس عنه وقال ((ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون)) (3)

- التهديد بالسجن : لما غلب فرعون في الحوار واعدم الحجة والبرهان لم يبق امامه الا التهديد و الوعيد بالسجن . ((قال لئن اتخذت الـها غيرى لاجعلنك من المسجونين)) (4) . لم يكترث موسى بتهديده بل رد عليه بذكاء وفطنة ، رد الواثق الذى يملك الدليل ووضع بين يديه البرهان الدامغ الا وهو معجزتي العصا و اليد . ((فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين)) (5)

- الاتهام بالسحر : واذا بالاعناق تشرئب و الحداقات تتسع ويبهر الجميع بما رأواه ، ويحتار فرعون في امره ، ويحس بضعف موقفه ويتزلزل لكنه يسارع لتغطية الامر واستدراكه فيتهم موسى بالسحر ((وقال ساحر او مجنون)) (6) ((قالوا هذا سحر مبين)) (7) و ((قالوا ماهذا الا سحر مفترى)) (8)

- الاتهام بحب الملك و السلطان : لم يكتف فرعون بتهمة السحر بل اراد ان يؤلب عليه ذوى النفوس الضعيفة من اصحاب المصالح والجاه و النفوذ ، فاوهمهم بأن موسى يريد ان يكون له الملك والعظمة والسلطان ، والاستيلاء على أرضهم واخراجهم منها ان آمن به الناس واتبعوه ، فصدقوه واشاروا عليه بمواجهة السحر بالسحر ، ويصور لنا القرآن هذه الحادثة جليا : ((قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم . يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تامرون . قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين ياتوك بكل سحار عليم)) (9)

- ايذاء اتباع موسى ، واتهامه بأنه كبيرهم : جمع فرعون كيده واتى ، ولكنه لم

1- سورة الشعراء الايتين 18 ، 19 2- سورة الشعراء الاية 25
3- سورة الشعراء الاية 27 4- سورة الشعراء الاية 29
5- سورة الشعراء الايتين 32 ، 33 6- سورة الذاريات الاية 39
7- سورة النمل الاية 13 8- سورة القصص الاية 36
9- سورة الشعراء الايات 34 ، 37

يترقب ان يتهدد عرشه ، وان يتغلب عليه موسى بهذا الشكل ، وان يؤمن السحرة الكهنة هذا الايمان القوى ، فذعر وجن جنونه ، ولجا الى منطق التهديد والقمع والاتهام لتضخيم الامر وتهويله امام الجماهير ، اذ هدد السحرة المؤمنين بتقطيع أيديهم وارجلهم من خلاف وبالصلب واتهم موسى بانه كبيرهم الذى خطط معهم لهذه المؤامرة ليخرج الناس عن دينهم . قال تعالى ((قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا اشد عذابا وأبقى)) (1)

وما اقسى على الداعية المصلح ان يرى اتباعه يؤذون هذا الايذاء وهو لا يملك لهم شيئا الا النصح والدعاء لهم بالصبر والثبات .

- اتهام موسى بالفساد للقلعة : ويتكرر الموقف على اختلاف المكان والاوان ، وتنقلب الاية فيصبح الحق باطلا ، والباطل حقا ، موقف الطاغية الظالم وهو يعلن ان صاحب الحق انما جاء ليفسد العباد والبلاد ، موقف فرعون المتجبر وهو يتهم موسى بالفساد ليجد مبررا للتخلص منه بالقتل والقضاء على دعوته التي اصبحت تشكل خطرا على عرشه . قال تعالى :
((وقال فرعون ذروني اقتل موسى ، وليدع ربه ، اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد)) (2) .

- التكذيب : رغم كل الوسائل التي اتبعها موسى وكل الجهود التي بذلها ، والحجج التي اقامها في اقناع آل فرعون بدعوته لم يؤمنوا به وكذبوه حتى عند تعذيب الله لهم بالايات التسع ((القحط والجدب ، النقص من الثمرات ، الطوفان ، الجراد ، القمل ، الضفادع ، الدم العصا واليد)) التي وعدوا فيها موسى بالايمان ان كشف عنهم الرجز لكنهم نكثوا وعصوا . قال الله عز وجل ((ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وأبى)) (3)

- طلب السوار من الايمان : لم ينته فرعون ولكنه زاد في طغيانه وعصيانه وتحدى موسى بقوله ان كان صادقا ونبيا فعلا ، لم لم تلق اليه مقاليد الملك فيطوق بسوار من ذهب او تأتي معه الملائكة لمساعدته وتأييده ، حتى يشكك الناس في دعوة الرسول فيكذبونه . قال تعالى :
((فلولا القي عليه اساورة من ذهب اوجاء معه الملائكة مقترنين)) (4)

- التعيير : انقضت كل حيل فرعون ووسائله ولم يبق امامه الا تعيير موسى بفقره وبأصله وبالحبسة التي كانت في لسانه قبل ان يفرها ربا من مصر بالرغم من ان الله عز وجل

---

1 — سورة طه الاية 71   4 — سورة الزخرف الاية 53
2 — سورة غافر الاية 26
3 — سورة طه الاية 56

قد حلها عند دعاء كليمه اياه ـ كما ذكرنا سالفا ـ وهذا هو أسلوب الضعفاء امـام الاقوياء لتغطية عجزهم وتد قال تعالى ((ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين)) (1)

ـ ايذاء قارون له : ((لكم حاول قارون ان يفتن الناس بما لـه ويصرفهم عن موسى ودعوته ، لكم حاول شراء الضمائر ورمي موسى بشتى التهم والاراجيف .. ولكن الله كان يكشف مايضمرونه ويخرج موسى من هذه التجارب أصلب عودا واشد صمودا)) (2)

ـ الصبر : وتستوقفنا حياة موسى مرة اخرى هذا الرسول الذى قاسى ماقاسى ، وعانى ما عانى ، ولاقي من فرعون وقومه صنوف الاذى والعذاب في سبيل نشر دعوته صابرا ثابتا ، هل ستتوقف محنته هنا عند غرق آل فرعون ونجاته وبني اسرائيل ؟ كلا . فلقد اوذى اشد مايؤذى رسول في قومه لدرجة انه صاح فيهم : ((ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله إليكم)) (3) . وقد شهد خاتم الانبياء والمرسلين محمد الامين صلى عليه وسلم له بذلك عند قوله ((يرحم الله موسى فقد اوذى باكثر من هذا فصبر)) 4 ويمكن تلخيص ايذاء بني اسرائيل الانذال الخونة لموسى عليه السلام فيما يلي:

بمجرد ان جاوزوا البحر ورأوا المعجزة العظمى والاية الكبرى التي أغرق الله فيها فرعون واله ، ومرورهم بقوم يعكفون على عبادة الاصنام طلبوا من موسى ان يجعل لهم وثنا يعبدونه كما للاخرين . قال تعالى : ((فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون)) (5)

ـ بعد ان توجه موسى عليه السلام الى الطور ليتلقى من ربه الشريعة التي يقيم عليها حياة بني اسرائيل ، اتخذوا العجل الذى صنعه السامرى من حليهم الها لهم من دون الله . قال تعالى ((وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده ، وأنتم ظالمون)) (6) وقال ((واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين)) (7)

وتتجلى الخيانة الثالثة عندما يصحب موسى الصابر سبعين من قومه ليعتذروا لله عز وجل على عبادة العجل ، فاذا بهم بعدما سمعوا حواره مع موسى طلبوا رؤيته وقالوا : ((لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)) (8)

1ـ سورة الزخرف الايتين 51 ، 52 2ـ فتحي يكن ، مشكلات الدعوة والداعية ص ، 22

3ـ سورة الصف الاية 5

4ـ ابن كثير البداية والنهاية ج 1 ، ص 313

الامام ابي حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، دار الكتاب العربي م 4 ، ج 12

5 ـ الحديث اخرجه البخاري في الصحيح ، فتح البارى كتاب الادب الصبر على الاذى رقم الحديث 6100 م 10 ص 511

و[illegible] ... لم في الجامع الصحيح كتاب الزكاة باب : اعطاء المؤلفة قلوبهم على ... وتصبر من قوى ايمانه ج 3 م 1 ص 109

5ـ ... أف الاية 138 ، 6 ... ة البقرة الاية 50 ... الاية 148 ... ة البقرة ...

— ومرة اخرى يقل بنوا اسرائيل أدبهم مع رسول الله وكليمه ومع الله نفســـه اذ انهم لما أمروا بالدخول الى الارض المقدسة مجاهدين مقاتلين ، و الا يرتــدوا على اعقــابهم فيكونوا من الخاسرين ، خافوا ، وجبنوا ، فعصوا ، وقالوا لموسى بعد أخذ ورد : ((ياموسى إنّا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربّك فقاتلا إنّا ههنا قاعــدون)) (1)

— لقد انعم الله على اسرائيل في التيــه بالمـاء عند العطش ، وظلل عليهم بالغمــام ليقيهــم حر الشمس ، وأنزل عليهم المن والسلوى بدون جهد ولا عنـاء لكنهــم قابلوا النعمــة بالكفران ، والاحسان بالجحــود فقالوا لموسى بكل وقاحـــة ((ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض مـــن بقلها وقثائها وفومهـــا وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خيـــر اهبطوا مصرا فإن لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة و المسكنة وباءوا بغضـــب مـــن اللـــه ...)) (2)

ماينبغي لنا ان ننسى موقف بني اسرائيل من رسولهم وجوابهم الوقح المتبجح له عندما قتل رجل منهم وطلبوا منه ان يسأل ربه عن القاتل فامرهـــم بأن يذبحوا بقــرة قائلين باستخفاف : ((اتتخذنا هزوا ياموسى قال أعوذ باللـــه ان اكون من الجـــاهلين)) (3)

ان سلسلة الامتحانات و التجارب التي مرت بموسى لم تنل من ايمـــانـــه ولم تفتر مـــن عـــزيمتـــه بل زادته قوة وايمانا فضرب لنا أروع مثال في الصبـــر والثبات و اللجوء الى الله ، واعطى لنا أعظم نموذج للابتلاء . كما انها زودت الدعاة الى الله ببعض الدروس في فقه الدعوة منها :

أ — ان الداعية يحتاج في رحلته الصحبة دائما الى من يؤازره ويشد عضــــده ويساعده على تحمل اعباء الدعوة وارساء قواعدها ومقــاومة الظلم و الطغيان .

ب — ان الفصاحة و البلاغة وسلامة النطق تعين سالك طريق اللـــــــه على تبليغ رسالتـــه ، وشرح عقيــدته ، وتوضيح معالم دينــه ، ورد الشبهـــــات ومجادلة الكفار ، ودحض أباطيلهـــم ، لذا وجب عليه اتقان اللغة العربيـــــة والاكثار من ترتيل آيات القرآن التي تمكنـــه من ذلك .

جـ — ان التوقف عن متابعة الافراد او التقليل منها قبل انصهارهم فـــي العقيدة والتحـــامهم بهـــا ، وقبل اكتمـــال نضجهم واستواء شخصيتهم واتمـــام تربيتهـــم يؤدى الى تصدع وانهيار البناء العقـــائدى ، ويساعد على تساقـــط الأفراد من الحـــركـــة . ومـــن هنا فعلى الداعية المربى تعهد اتباعـــــه ومتابعتهـــــم مهما كانت الاحوال .

---

1 — ســـورة المـــائـــدة الاية 24
2 — ســـورة البقـــرة الاية 61
3 — ســـورة البقـــرة الاية 67

د ـ ان كتمان الانتماء قد يخدم الدعوة في مرحلة أكثر مما يخدمها الاعلان عنه خاصة في بلاط الملك ، لانه يكفل لصاحبه الحماية ويوفر له حرية الحركة والعمل لكن سرعان ما يستغني عنه رغم فوائده اذا تعلق الأمر بحماية قائد الدعوة من الايذاء أو القتل .
اذ ان ايذاء الجندية عند كشف الهوية أهون على الحركة من ايذاء القيادة

وأخيرا على الداعية الاسلامي اذا أراد تحقيق النصر ان يستوعب حياة الانبياء والرسل ليقف على سر قدرتهم التغييرية الخارقة التي أذهلت العالم ، وسر ثباتهم الشامخ على الحق وسر انتصارهم الباهر على الباطل ، كما يقف على قواعد الدعوة الى الله ومعالم الطريق التي تضمن له الرشد في العمل وتيسر له السير الصحيح في الحركة ، وتعينه على الاستمرار والصمود حتى يفوز باحدى الحسنيين اما النصر أو الشهادة

الفصل الثالث

الابتلاء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

وفيه مبحثان

المبحث الاول : ابتلاء المرحلة المكية

المبحث الثاني : ابتلاء المرحلة المدنية

الابتلاء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم (1)

بعدما تعرضنا في الفصل السابق للابتلاءات والمحن التي مر بها رسل الله نوح، ابراهيم، يوسف، موسى - صلوات الله عليهم وسلامه - سنتعرض في هذا الفصل ان شاء الله الى ابتلاء أعظم وأشرف شخصية عرفها التاريخ والى محنة أنبل وأزكى انسان وصل الى ذروة الكمال البشري، وذروة العبودية لله، اصطفاه الله ليكون خير أسوة يقتدى بها البشر في طريقهم الى الله، وارتضاه لهم إماما يسيرون من ورائه لتحقيق غايتهم واهدافهم فقال: ((لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) (2)

وليكون مواساة لمن سلك طريقه صلى الله عليه وسلم ملاقي مالاقي، وعاني ماعاني في سبيل دعوته، وبلسما لقلب كل مضطهد ومظلوم.

فما أحوج العالم الاسلامي اليوم وهو في أشد محنته، وهو يتخبط في أدران الالحاد والفساد والضلال والمادة، وهو فاقد لسيادته، مستضعف من غيره إلى اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة له، وترك كل الزعامات التي لاتسير على نهجه حتى يتسنى له استرجاع ريادته ومجده وعزته، وتطبيق شرع الله باعادة الخلافة الاسلامية وتحرير أراضيه.

ان ابتلاء صاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم لم يكن أقل من ابتلاء الرسل من قبل بل كان أشد ضراوة وأعظم محنة، فقد كانت حياته حافلة بالابتلاءات والفتن، مشحونة بالالام قبل البعثة وبعدها حتى يربى على تحمل المشاق وتوطن نفسه على الصبر على تكاليف الرسالة، والبذل والتضحية لاحقاق الحق، وحتى يكون على مستوى المهمة العظيمة التي يتصدى لها، وعلى قدر العبء الذى ينتظره. ويمكن تلخيص ابتلاءات هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم في مبحثين:

1- هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ... الى أن ينتهي نسبه الشريف الى سيدنا اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام. محمد على الصابوني، النبوة والانبياء، ص232
- الشيخ محمد أحمد عساف، خلاصة الاثر في سيرة سيد البشر، ط4، بيروت: دار أحياء العلوم. 1406 هـ 1986 م. ص10
- الامام الحافظ ابي عبد الله بن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد. بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي بدون ذكر التاريخ ج 1 ص15
- ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤف سعد. بيروت، دار الجيل، بدون ذكر التاريخ ج 1 ص(3، 6)
- الد. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة. باتنة، الجزائر، دار الشهاب بدون ذكر التاريخ ص. 59.

2- سورة الاحزاب الاية 21.

المبحث الاول

ابتلاء المرحلة المكية

وتتضمن اشد الابتلاءات التي مرّ بها الرسول صلى الله عليه وسلم :-

اليتم : أرادت مشيئة الله أن يعاني الرسول صلى الله عليه وسلم من ألام اليتم ، ويذوق من مرارة الحرمان من العطف والحنان في صغره فقد والده وهو في بطن امه وماتت أمه وهو ابن ست سنوات ، وتوفي جده الذى كفله بعد موت والدته فكان الأب والام — وله من العمر ثماني سنوات . وهكذا توالت المحن عليه صلى الله عليه وسلم بتضاعف يتمه الذى أشار اليه الله عز وجل في محكم تنزيله بقوله : ((آلم يجدك يتيما فآوى)) (1) كما أشارت اليه كتب السيرة :

((ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هلك وام رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به)) (2)

((ولا خلاف أن أمه ماتت بين مكة و المدينة بالأبواء منصرفها من المدينة من زيارة أخواله ولم يستكمل اذ ذاك سبع سنين وكفله جده عبد المطلب وتوفي ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين)) (3)

الفقر : تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم بعد محنة اليتم الى ابتلاء الفقر ، فقد كفله عمه أبو طالب بن عبد المطلب وهو كثير العيال قليل الحال ، فلما شب صلى الله عليه وسلم اعتمد في معيشته على جهده ، وكسبه الشخصي لأ نه يأبى أن يكون عالة على غيره ، فاشتغل برعي الغنم لاهل مكة وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ((مامن نبي إلا قد رعى الغنم ، فقال له أصحابه : وانت يارسول الله ؟ فأجاب : وأنا رعيتها لاهل مكة على قراريط)) (4) وقال الله تعالى مخاطبا رسوله : ((ووجدك عائلا فأغنى)) (5) .

إن تربية الله للرسول صلى الله عليه وسلم باليتم والفقر و الحرمان علمته البذل والعطاء ،

1— 5 : سورة الضحى الايتين 6 ، 8

2— ابن هشام ، المرجع السالف الذكر ج 1 . ص146

— ابو الحسن علي الحسني الندوى ، السيرة النبوية . الجزائر . ديوان المطبوعات الجامعية ، بدون ذكر التاريخ ص86

— ابن القيم الجوزى ، المرجع السالف الذكر . ص17

3— ابن هشام ، المرجع السالف الذكر ج 1 . ص(155 . 156) — الندوى ، المرجع السالف الذكر ص89

— الد / مصطفى السباعي ، السيرة النبوية . ط 5 ، دمشق ، المكتب الاسلامي 1400 هـ — 1980م . ص 32

الشيخ عساف ، المرجع السالف الذكر ص23 — الشيخ الصابوني ، النبوة والأنبياء ص241 — 242 .

4— الشيخ البوطي . المرجع السالف الذكر ص65 . الد / السباعي ، المرجع السالف الذكر ص33 — الشيخ الندوى ، المرجع السالف الذكر ص96

الحديث أخرجه ابن ماجة في السنن ، كتاب التجارات باب : الصناعات رقم الحديث 2149 ج 2 ص727 .

وأنشأت في نفسه شعورا مرهفا ،واحساسا نبيلا ،وعاطفة رحيمة ، يحتاج اليها كل رسول ومصلح ، وداعية الى الله حتى يحس بمعاناة الضعفاء والام المعذبين فينصفهم ،وهكذا تربى الرسول صلى الله عليه وسلم فكان رؤوفا رحيما كما وصفه الله عز إسمه :((لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم ،حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)) (1)

ويؤكد هذا الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله :((إن في تحمل الداعية آلام اليتم أو العيش ،وهو في صغره مايجعله أكثر احساسا بالمعاني الانسانية النبيلة ،وامتلاء بالعواطف الرحيمة نحو اليتامى أو الفقراء أو المعذبين وأكثر عملا لانصاف هذه الفئات والبر بها والرحمة لها ،وكل داعية يحتاج إلى أن يكون لديه رصيد كبير من العواطف الانسانية النبيلة التي تجعله يشعر بآلام الضعفاء والبائسين ،ولا يوفر له هذا الرصيد شيء ،مثل أن يعاني في حياته بعض مايعانيه أولئك الضعفاء المستضعفون كاليتامى والفقراء والمساكين)) (2)

<u>الغربة:</u> ان محنة الغربة ووحشتها صعبة على النفس البشرية وهي أقسى مايمكن ان يعانيه انسان ، وخاصة اذا كانت بين الأهل وفي الوطن وهذا ماعاني منه الرسول صلى الله عليه وسلم اذ أنه وجد نفسه غريبا بين أهله ،وحيدا في عشيرته ،فريدا بين قومه يعاف أصنامهم ، وينفر من عقائدهم الباطلة ،ويكره أعمالهم السيئة واخلاقهم الفاسدة ويجتنب مظاهر اللهو والعبث ، الفحش والبذاءة .

قال صلى الله عليه وسلم :((ماهممت بشيء مما كانوا في الجاهلية يعملونه غير مرتين ،كل ذلك يحول الله بيني وبينه ،ثم ماهممت به حتى أكرمني الله بالرسالة)) (3)

وما كان هذا الا اعدادا له من الله لتحمل الرسالة ،وتوطين نفسه على النزاهة والاستقامة ،والطهر والصفاء.

اذا أتى داعية ما أو مصلح ما بفكرة أوعقيدة جديدة لم يألفها قومه ،استنكروا دعوته ، وعارضوه أشد الاعتراض ،واذا استمسك بها ،وعمل على ازاحة العقبات من طريقه ،وتغليب منهجه قاوموه بالجحود والعناد ،والكيد والسخرية ،والقوا به الاباطيل والتهم ،وانزلوا به وباتباعه أنواع العذاب والاذى والاضطهاد والمحن ،واستخدموا كل الوسائل للقضاء عليه قضاء مبرما قبل أن تقضي عليهم .

1- سورة التوبة الاية 129
2- الد/ السباعي ، المرجع السالف الذكر ص37
3- الشيخ البوطي ،المرجع السالف الذكر ص65 ،الشيخ محمد الغزالي ،فقه السيرة ،ط7 ،القاهرة، مصر : دار الكتب الحديثة 1976، ص72
- اخرجه الحاكم النيسابوري في مستدركه على الصحيحين ج 4،ص245 . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه
- ورواه البزار ورجاله ثقات في مجمع الزوائد للهيثمي، ج 8، ص229 .

وهكذا امتزجت المحنة والابتلاء بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ أن انعم الله عليه بالنبوة واكرمه بالرسالة ، وأمره بأن يصدع بما جاءه من الحق : ((فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين)) (1) . فدعا الى عبادة الله وتوحيده ، ونبذ الاصنام وتزكية الانفس ، وتطهير العقول من رجز الشرك والوثنية ؛ عندها أحس المبطلون بالخطر على سلطانهم ونفوذهم وعقائدهم الباطلة ، فقرروا القضاء على هذه الدعوة قبل أن تنتشر ، واستئصال هذه النبتة الجديدة قبل أن تتعمق جذورها فتثبت ، ونصبوا العداء للرسول صلى الله عليه وسلم ، وألحقوا به الشيء الكثير من العذاب والاضطهاد والظلم ، وتفننوا في تنويع الاذى والفتن لكنه صلى الله عليه وسلم لم يهن أمام الباطل المنتفش ولم يضعف أمام المساومات والتهديد ، ولم يضطرب أمام القتل والمطاردة ولم يتزعزع أمام العناد والتكذيب ، ولم يجزع أمام الجفوة السخرية والتعذيب بل ظل الامل يملأ قلبه ، والثقة بالله تغمره ، والايمان والصبر يقويه ، واللجوء الى الله يثبته لأنه كان مدركا لصعوبة الطريق الذى سلكه وخطورتها وعارفا بأن دعوته باهضة التكاليف ، غالية الثمن ، وتحتاج الى تضحيات جسام وعمل دائب ، وبذل مستمر منذ أن حدد له ورقة بن نوفل معالم الطريق وأكد له ضرورة الابتلاء والمحن بقوله : ((هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ياليتني فيها جذعا ، ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال الرسول : ((أو مخرجي هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا)) (2)

لقد واجه أهل الباطل الرسول صلى الله عليه وسلم بصنوف كثيرة من الاذى ، وتعرضوه بأنواع شتى من العذاب يمكن أن نجملها فيما يلي :

الشتم والسب : اذا هبطت النفس البشرية ، ونقص العقل وذهب الدين ، وساء الخلق ، وغاب الحياء ، وفقدت المروءة كثر سقط اللسان وازداد لغطه ، وعظم غلطه ، وسهل على صاحبه أن يكل الشتائم ويلمز ويهمز من هو اعلى مكانة وأكرم منزلة منه ليؤذيه في نفسه وكرامته ، وهذا هو شأن المبطلين مع الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دعاهم للاسلام وأنذرهم عذاب الله سبحانه وتعالى ، فإذا بعمه أبي لهب يفحش معه بقوله : ((تبا لك سائر اليوم .. ألهذا جمعتنا ، فنزل قوله تعالى : ((تبت يدا أبي لهب)) (1)

1— سورة الحجر الاية 94
2— الشيخ عساف . خلاصة الاثر في مسيرة سيد البشر ص34
— الشيخ البوطي . فقه السيرة ، ص83
— الشيخ الغزالي . فقه السيرة . ص92
— الشيخ الندوي . السيرة النبوية . ص104
— الد / السباعي . السيرة النبوية . ص44
والحديث أخرجه البخارى في صحيحه / فتح البارى . كتاب . كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول الله جل ذكره (إنا أوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) رقم الحديث 3 . م 1 / ص23
واخرجه مسلم في الجامع الصحيح . كتاب الايمان باب : بدء الوحي ج 1 . م 1 ص 97 .

وصدق شوقي في وصفه له : وكان من أفحشهم ابو لهب، عم ولكن مذهب السوء ذهب، واذا بأمية بن خلف كلما مر به الرسول صلى الله عليه وسلم لمزه وهمزه حتى أنزل الله فيه سورة الهمـــــزة .

كما أن اشرافهم كانوا ((مجتمعين يوما في الحجر اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول ، وعادوا بذلـــك ثلاث مرات ، فوقف ثم قال : أتسمعون يامعشر قريش ؟ أما والذى نفسي بيده لقـــد جئتكم بالذبح فسكت القوم ، فلا حراك بهم ، وصاروا يلاطفونه بالقول)) (2)

الاستهـــزاء والسخـــرية : لقد نالت قريش من رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ولم تخف فيه لومة لائم ، وتعرضت له بكل ما أتيت من قوة وحيل حتى تجعله موضعا للتندر والاستهزاء وسخرية الجميع فتصل بذلك الى مآربها بإثارة أعصابه وتحطيم معنوياته وتخويف من تحدثه نفسه بالانتماء إليه من التعرض لذلك فكانوا كلما مر بهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه استهزؤا بهم وضحكوا عليهم . قال الله تعالى ((إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون)) (3)

كما قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم : ((واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون)) (4)

وواساه بقـوله ((ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهـــم ماكانوا به يستهزئـون)) (5)

قال ابن اسحاق : ومر رسـول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنـــي بالوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، وبأبي جهل بن هشام ، فهمـــزوه واستهزؤا به فغاظه ذلك)) (6)

فلما اكثروا كفاه الله أمرهم ((إناكفيناك المستهزئين الذين يجعلون مـــع الله إلهـــا آخـر فسوف يعلمون)) (7)

1- الشيخ البوطي . فقه السيرة. ص99 - الشيخ الغزالي . فقه السيرة . ص101
- الشيخ الندوى . السيرة النبوية. ص107
- د . عماد الدين خليل. دراسة في السيرة . ط 6. بيروت : دار النفائس 1402 هـ 1982 م . ص 66 / والحديث أخرجه البخارى في صحيحه فتح البارى. كتاب التفسير. باب : وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب. رقم الحديث 4972 . م 8 . ص737/- والترمذى في سننه ج 5. رقم 3422. ص121 وقـال حديث حسن صحيح . 2 - الشيخ الندوى . المرجع السالف الذكر. ص101 .
- الشيخ سعيد حوى. الرسول صلى الله عليه وسلم . ط 3. بدون ذكر الناشر . 1394 1974 م . ج 1 . ص89
3- سورة المطففين الاية 29 4- سورة الانبياء الاية 36
5- سورة الانبياء الاية 41 6- سيرة ابن هشام . ج 2 . ص31
7- سورة النحل الايتين 95 . 96

حرب الاشاعات والاتهامات : ان ثبات النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه على عقيدتهم ، واستمرارهم في دعوتهم جعل المبطلين يعمدون الى استخدام سلاح الاشاعات والاتهامات والمفتريات لتكون حربا نفسية تدمر أعصاب الرسول صلى الله عليه وسلم وتحطم نفسه ، وتشكك في هدفه وغايته ودعوته فتضعف الثقة به ، وتفرق عنه جماعته ، وتصد عنه الوافدين وبذلك تفل من عزيمته وتضعف من إرادته فينتهي . وكان مما أطلقت حوله صلى الله عليه وسلم من مفتريات واتهامات مايلي :

تهمة الجنون : ان الحقد أعمى قريش وأفقدها صوابها والا فكيف تتهم الرسول صلى الله عليه وسلم المعروف برجاحة عقله وسلامته ، والذى احتكمت اليه في رفع الحجر الاسود بالجنون . قال الله مبينا ذلك : ((وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون)) (1) ، وتكفل بالرد عليهم ، فقال تعالى : ((مابصاحبكم من جنة إن هو إلاّ نذير لكم)) (2) ، وقوله ((وما صاحبكم بمجنون)) (3)

واظهر حقيقة المشركين فقال ((أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون)) (4)

وبينت لنا كتب السيرة بأن قريشا في مساومتها للرسول صلى الله عليه وسلم عرضت عليه أن تعالجه إن كان به مس : ((وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه ، لاتستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له)) 5

وقال ابن اسحاق : ((ثم إن قريشا اشتد أمرهم ، للشقاء الذى أصابهم في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغروا به سفهاءهم فكذبوه وأذوه ، ورموه بالشعر و السحر والكهانة و الجنون)) (6)

تهمة الكذب والافتراء : من التهم التي أراد أهل الباطل الصد بها عن سبيل الله وتشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم حتى تحقق هدفها في القضاء عليه وعلى دعوته تهمة الكذب ، وهي تعلم علم اليقين بانه الصادق الامين الذى لم تعرف له البشرية مثيلا .

---

1 — سورة القلم الاية 51
2 — سورة سبأ الاية 46
3 — سورة التكوير الاية 22
4 — سورة المومنون الاية 71
5 — ابن هشام ،المرجع السالف الذكر ج 1 . ص 261 — الشيخ حوى ،المرجع السالف الذكر ج 1 . ص 93
6 — الشيخ عساف ، الخلاصة الاثر ص 43 — الشيخ حوى ،المرجع السالف الذكر ، ص 99 .

أليست هي التي اطلقت عليه ((الأمين)) ، والتي شهد فرد من أفرادها بصدقه عند هرقل عندما سأله : هل جربتم عليه الكذب ، قال : لا ، فقال هرقل ماكان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله .

عجيب أمر هذه الجاهلية تشهد له بالصدق ثم تشيع عليه الكذب .

ويشير القرآن إلى هذه الاشاعة فيقول ((افترى على الله كذبا أم به جنة)) (1) . ((أم يقولون افتراه ، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات)) (2) ((أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعليّ إجرامي)) (3)

وأخرج أحمد بن ربيعة بن عباد من بني الديل وكان جاهليا فأسلم ، قال : رأيت رسول الله في الجاهلية في سوق ذى المجاز وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ، والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضيء أحول ذو غديرتين يقول : انه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب)) (3)

- ان حادثة الاسراء والمعراج نعمة من نعم الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومواساة له عما اصابه من اذى المشركين وطردهم إياه ، وترويحا وتسلية له عما عاناه من شدة ، ومسحا لدموعه التي ذرفها وهو يشتكي الى الله هوانه على الناس ويرجو رضاه ، ومعجزة من معجزات النبوة قابلها المشركون باتهام الحبيب صلى الله عليه وسلم بالكذب والافتراء ، وواجهوها بالسخرية والاستهزاء والتكذيب .

---

1 - سورة سبأ الآية 8
2 - 3 - سورة هود الايتين 13/ 35
4 - الشيخ حوى ، الرسول ، ج 1 ، ص108

تهمة السحر : لم يتوقف المشركون عند الاتهامات السابقة بل أضافوا اليها تهمة يلجأ اليها دائما المبطلون عند فشلهم وهزيمتهم وهي تهمة السحر وأشاعوها في القوم زاعمين بأنه صلى الله عليه وسلم يفرق بين المرء وأهله وقومه بسحره ، بالرغم من عدم اقتناعهم بها وترددهم وطعنهم فيها ،وفي هذا قال سبحانه وتعالى :((وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب)) (1) ،((وقال الظالمون إن تتبعون الا رجلا مسحورا)) (2)

أثبتت كتب السيرة ان أعداء الله و الرسول صلى الله عليه وسلم فيفي تخطيطهم لحملات الاشاعات و التهم اختلط عليهم الأمر واضطربوا وترددوا في المفتريات التي يمكن الصاقها بالرسول صلى الله عليه وسلم ،فانتقلوا من تهمة الى أخرى ، من تهمة الكهانة ، الى الشعر الى السحر،الى الكذب والافتراء . .

((ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم : يامعشر قريش ،إنه قد حضر هذا الموسم ،وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا لاتختلفوا فيه فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا . فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيا نقول به ، قال : بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا : نقول كاهن ،قال : لا والله ماهو بكاهن ، ولقد رأينا الكهان،فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه . قالوا : فنقول مجنون . قال: ما هو بمجنون . ولقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه ،فما هو بالشعر. قالوا : فنقول ساحر . قال : ماهو بساحر ،لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولاعقدهم،قالوا:فما تقول أنت يا أبا عبد الشمس؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وان أصله لعذق ، وان فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف انه باطل . وان أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر ،جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته ،فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا لايمر بهم أحد إلا حذروه اياه ،وذكروا لهم أمره . . .)) (3)

1ـ سورة ص الاية 4

2ـ سور الفرقان الاية 8

3ـ ابن هشام ،السيرة النبوية ،ج 1، ص(243 ـ 244)

ـ الشيخ حوى الرسول ،ج 1 ص 99 .

ـ الشيخ الندوى،السيرة النبوية ، ص(112 ـ 113)

ـ الشيخ الغزالي، فقه السيرة ، ص(110 ـ 111) بتصرف

ـ الد/ عماد الدين خليل ، دراسة في السيرة، ص70

ويوضح الله ترددهم في كتابه الكريم : ((بل قالوا اضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر)) (1) ، ((وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا : ماهذا إلا إفك مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين)) (2) .

اشاعة التخلي : كم شق على رسول الله صلى عليه وسلم لما فترعليه الوحي وأشاع اعداء الله بأن ربه قد قلاه وتخلى عنه حتى كاد يصدقهم وتخور قواه ، إلا أن الله رد كيدهم في نحورهم ، وهدأ من روعه صلى الله عليه وسلم وبين له بأنه لم يتخلى عنه فأنزل سورة الضحى عندها تأكد الرسول صلى الله عليه وسلم بأن فتور الوحى ابتلاء وامتحان ، ودرس تربوى له من طرف الله سبحانه وتعالى .

اشاعة أن القرآن أساطير الاولين والصد عنه :

لم تفلح حملة الاشاعات في الحد من انتشار الاسلام فعمدوا — بالاضافة الى الأول - الى اسلوب خسيس لا يلجأ اليه الا ضعيف عاجز بلغ ذروة الفشل والهزيمة ، وهو افتعال ضجة وصياح عندما تتلى الآيات ، وعرض أساطير الاولين كلما قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن حتى يمحي الثاني الآول ، واشاعة أن القرآن أساطير الاولين وبأن الذى علمه اياه هو رجل أعجمي وذلك للصد عن الاسلام ..

قال الله عز وجل : ((وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)) (3) ، وقال : ((وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)) (4) ، وقال : ((ولقد نعلم إنهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)) (5)

---

1 — سورة الانبياء الاية 5
2 — سورة سبأ الاية 43
3 — سورة الصافات الاية 25
4 — سورة الفرقان الاية 5
5 — سورة النمل الاية 103

ايـذاء أصحـاب النبي صلى الله عليه وسلم :

من الوسائل التي استخدمتها الجاهلية لاثناء النبي صلى اللـه عليه وسلم عن دعوتـه تعذيب أصحابه والتشديد في ايذائهم لعلـه يرق لحالهم ويشق عليه ماهم فيه فيتوقف ويؤثـر العافيـة ((فجعلوا يعذبونهم بالضرب حينا ، وبالماء حينا ، وبالموت حينا آخـر ولكنهم لم يبلغوا بذلك منه ولا من أصحابه شيئا)) (1) بالرغم من تأثـره صلى الله عليه وسـلم بمصابهم وعدم قدرته على حمـايتهم

الضغـط العائلي : ان أبا طالب هو الحصن الذى يمنـع وصول المتربصين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واليد التي تحمي الدعوة من كيد الكائدين ، واللسان الذى يرد افتـراء الكاذبين لذا حظـي بمكـانة عنـد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ماجعل قريش تفكـر في استخدامـه كأداة ضغـط على رسول الله صلى الله عليـه وسلم ليتخلي عن دعوتـه أو يسلمـه لهم ، فطلبوا منه عدة مرات أن يكفـه عنهم فبعث الى رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأخبره بمقـولـة القوم ورجاه أن يبقي على نفسه وعليه ولا يحمله مالا يطيق ، فظن الرسـول صلى الله عليـه وسلم أن عمـه قد تخلى عنه . فقال قولته المشهـورة : ((ياعم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمـر حتى يظهره الله أو هلك دونه ماتركته)) (2) . ثم بكي وقـام فطمـأنه عمه بقوله ((اذهب يابن أخي فقل ماأحببت فوالله لا أسلمـك لشـيء ابدا)) (3)

---

1 ـ الشيخ عساف ، المرجع خـلاصة الاثر ص43
2 ـ 3 ـ الشيخ الندوى ، السيرة النبوية ص108
ـ الد/ السباعي ، السيـرة النبوية ص47
ـ ابن هشام ، السيـرة النبوية ج 1 ص240
ـ الشيخ عسـاف ، المرجع السالف الذكر ص42
ـ الشيخ حـوى ، الرسول ج 1 ص98
ـ الد/ عماد الدين خليل ، دراسة في سيرة ص68

الاغــــراء والمـــــاومـــة : لما رأت قريش أن وسائل الترهيب والقــوة لم تنجح مع الرسول صلى الله عليه وسلم ،ولم تصد الناس عن الدخول في الاســلام سلكت طريق الاغراء والمساومــة لعلها تؤثر فيــه هذه المرة لأن الانسان بامكانــه التصدى والثبات على الأذى والعذاب لكنه لا يستطيع الصمود،ولا يقدر على المقاومة طويلا أمام الاغراء والترغيب،فعرضت عليه صلى الله عليه وسلم من الدنيا ما أراد عدة مرات.لكن هيهات أن يحدث هذا لرسول زهد في الدنيا ومغرياتهـــا، واقبل على الله وتبليغ رســالتــه بصدق، واخلاص لانه أدرك منذ البدايـــــة بان الدعوة الى الله ليست وسيلة لكسب المال والشرف ، ولا سبيلا الى الملـــك والسلطان بل هي بذل وتضحية وابتلاء وجلد ، وهذا شهادة على انــــه صاحب رسالة حقا .

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن زياد ، عـن محمد بن كعب القرظــي قال : حُدثت أن عتبة بن ربيعة ،وكان سيدا ،قال يوما وهو جالس في نــادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش الا أقوم الى محمد فأكلمــه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيــــه أيها شاء ،ويكف عنا ؟ ... فقام إليه عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى اللــه عليه وسلم ، فقال يابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السّطة (الشرف) في العشيرة والمكان في النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ... فاسمــع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال لــــه رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا ابا الوليد أسمع ،قال : يابن أخــــي إن كنت إنمــا تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتــي تكــون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمـــرا دونك،وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى ياتيك رئيـــا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ،طلبنا لك الطب ،وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئــك منـــه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أوكما قال لــــه حتى اذا فرغ .. فقال ((صلى الله عليه وسلم)) :((بسم الله الرحمن الرحيـــم حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعــرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه)) .ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه .. ،ثم انتهى رســـول اللـه صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال : قد سمعت يا ابـــا الوليد ماسمعت ، فأنت وذاك))[1] . تخير رسول الله هذه الايات ليعــرف محدثه حقيقة الرسالة والرسول . وعاد عتبة الى قريش يقترح عليها ان

1ـ ابن هشام ، المرجع السالف الذكر ، ج 1 ص261
ـ الشيخ حوى ، المرجع السالف الذكر ج 1 ص92 ، 93 ، 94 .
ـ الشيخ الندوى، المرجع السالف الذكر ص114 ، 115
ـ الشيخ البوطي، فقه السيرة ص110 ، 111
ـ الشيخ الغزالي، فقه السيرة ص112 ، 133 ، 114

تدع محمدا وشانه .لكنهم كرروا طلبهم هذا عدة مرات ولم يستجب لهم فطلبوا منه بعد أخذ ورد الخوارق لهم ثم لنفسه فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك حزنا شديدا فانزل الله قوله ((ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبي اكثر الناس إلا كفورا ، وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ،أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله و الملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقي في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الابشرا رسولا))،(1)

كما اقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم أن يعبد مايعبدون ويعبدون مايعبد فانزل الله سورة ((الكافرون)) ردا على اقتراحهم وحذر رسوله صلى الله عليه وسلم من كذبهم وخداعهم بقوله ((فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيد هنون))(2)

المقاطعة والحصار: اجتمعت قوى الكفر والشرك بعد فشلهم الذريع أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرروا مقاطعته ومن ناصره فلا يتزوجوا منهم ولا يزوجوهم ،ولا يشتروا منهم ولا يبيعوهم فيقضوا بذلك عليه وعلى أتباعه ومحبيه ،والتزمت قريش باللائحة التي كتبتها وعلقتها في جوف الكعبة ، وشددت الحصار عليهم طيلة ثلاث سنوات بلا رحمة ولا شفقة؛ لايحركها الا الحقد والغيظ ،فاشتد الامر على المصطفي صلى الله عليه وسلم ومن معه وباتوا يجمعون بين ثلاثة محن : محنة الظلم والقهر ومحنة الجوع والحرمان ، ومحنة التهديد بالقتل (الخوف) .أي قوة يمكن أن تثبت أمام هذه المحن ؟ وأي نفس تتحمل مثل هذه الابتلاءات وأي اعصاب لاتنهار في مثل هذه المواقف ؟ إنها قوة محمد صلى الله عليه وسلم ورجاله الذين باعوا أنفسهم لله بيعة خالصة صادقة ، قوة ايمانهم بالله والثقة به وبوعده ، واستمساكهم به فلا مداهنة ولا تنازل بل عطاء وصبر واحتساب . لايمكن أن نتصور معاناة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه إلا اذا عدنا الى كتب السيرة :

((فجهد النبي صلى الله عليه وسلم جهدا شديدا في هذه الأعوام الثلاثة واشتد عليهم البلاء ، وفي الصحيح انهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وذكر السهيلي انهم كانوا اذا قدمت العير مكة ، يأتي أحد أصحاب رسول الله الى السوق ليشترى شيئا من الطعام يقتاته لاهله ،فيقوم ابو لهب فيقول : يامعشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لايدركوا شيئا معكم ، فيزيدون في السلعة قيمتها أضعافا ، حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به))(3)

1— سورة الاسراء الايات 89 . 93
2— سورة القلم الايتين 8 . 9
3— الشيخ الغزالي ، المرجع السالف الذكر ص 124
— الشيخ البوطي ، المرجع السالف الذكر ص 118

وروى يونس عن سعد بن أبي وقاص قال : ((خرجت ذات ليلة لابول فسمعت قعقعة تحت البول ، فاذا قطعة من جلد بعير يابسة ، فأخذتها وغسلتها ثم احرقتها ورضضتها بالماء ، فتقويت بها ثلاثا)) (1) .

الأذى الجسدي : لم تتوقف محاولات الطغاة لتوهين عزيمة الرسول صلى الله عليه وسلم وخذله عند الاعراض والشتم والتكذيب والتحقير والسخرية والافتراء ورمي التهم الزائفة والأراجيف الباطلة، بل تعدت شأنها شأن كل الطغاة والمبطلين في كل زمان ومكان — الى الاذى الحسي بأن عشوا على رأسه التراب ، وتفلوا على وجهه ، ورجموه بالحجارة حتى تدمى قدماه الطاهرتين ، ووضعوا القذورات على كتفيه وهو ساجد . . الخ . . .

أخرج الطبراني عن منبت الازدى قال : ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لااله الا الله تفلحوا فمنهم من تفل في وجهه ، ومنهم من حثا عليه التراب ومنهم من سبه حتى انتصف النهار . فأقبلت جارية بعس من ماء فغسل وجهه ويديه وقال : يابنية لاتخشى على أبيك غيلة ولا ذلة . فقلت من هذه قالوا : زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي جارية وضيئة)) (2)

واخرج البزار والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سجد أطال السجود . فقال أبو جهل : أيكم يأتي جزور بني فلان فيأتينا بفرثها فنكفئه على محمد صلى الله عليه وسلم فانطلق أشقاهم عقبة بن أبي معيط فأتي بها فألقاه على كتفيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجدا . . إذ سمعت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلت حتى ألقت عن عاتقه .... فلما قضى صلاته قال : اللهم عليك بقريش ثلاثا ، عليك بعتبة وعقبة وأبي جهل وشيبة . .)) (3)

((واجتمعوا (أهل الطائف) يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدوا له على صفين على طريقه ، فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لايرفع رجله ولايضعها الا رضخوها بالحجارة وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون فلما خلص من صفيهم وقدماه تسيلان الدماء عمد إلى حائط من كرومهم . . .)) (4)

---

1 — الشيخ الغزالي ، فقه السيرة ص124
— الشيخ حوى ، الرسول ج 1 ص102
2 — نفس المرجع السابق ص88
3 — نفس المرجع السابق ص89 — 90
الشيخ البوطي ، فقه السيرة ص105
الحديث أخرجه البخاري في الصحيح / فتح الباري : كتاب الوضوء : باب اذا القي على ظهر المصلي قذر او جيفة لم تفسد عليه صلاته ج 1 ص348 رقم الحديث 240 — وأخرجه مسلم في الجامع الصحيح ، كتاب الجهاد باب : مالقي النبي صلى الله عليه وسلم من اذى المشركين والمنافقين ج 5 — ص179
4 — الشيخ حوى ، المرجع السالف الذكر ج 1 ص (90 ، 91)
— ابن القيم ، زاد المعاد ج 1 ص24 — الشيخ عساف ، خلاصة الأثر ص64
الشيخ الندوي ، السيرة النبوية ص199

ما أوذي احد مثل ما أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال
((لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، واخفت في الله ومايخاف أحد)) (1)

القتـــل و الاغتيـــال : لم يجد الجبابرة والطغاة من الرسول صلى الله عليه وسلم الا الصبر والجلد و الاحتمال رغم شدة ايذائهم واضطهادهم لـه وتاكدوا من تصميمه صلى الله عليه وسلم على الاستمرار في دعوته مهما واجهته الصعاب ، وقاومته الجهات ، تآمروا على قتله ظانين أنهم بالتخلص منه سيتم لهم القضاء على دعوته ، وهذا تفكير أهل الباطل في كل عصر ، وآخر سلاح يسعوا اليه للقضاء على الدعوات ،

لقد تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم اثني عشر مرة للقتل ثلاث مرات من من طرف قريش جماعة ، مرة من أبي جهل ، عمر بن الخطاب — قبل اسلامه ، عمير بن وهب — ابي بن خلف — شيبة بن عثمان ، فضالة بن عمير ، مرتين من اليهود ، مرة من المنافقين . لا أذكر في هذا المقام إلا خمس محاولات

— روى ابن اسحاق : قال أبو جهل : ((.. إني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر لااطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه .. رجع منهزما ورمى الحجر من يده ، قال : قمت اليه لأفعل ماقلت لكم ، فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل ، والله ما رأيت مثله قط . هم بي أن يأكلني)) (2)

— اجتمعت قريش في دار الندوة لتخطيط تخطيطا محكما لاغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لاتفشل كالمحاولات السابقة فاتفقت على رأى أخير :
((على أن يأخذوا من كل قبيلة فتي شابا جلدا ثم يعطى كل منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه)) (3)

---

1 — فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، م 7 ص 166
والحديث اخرجه الترمذي في السنن ابواب : صفة القيامة . رقم الحديث 2590 ج 4 ص 59 وقال هذا حديث حسن صحيح .
2 — ابن هشام ، المرجع السالف الذكر ج 1 ص 264
الشيخ عساف ، المرجع السالف الذكر ص 44
الشيخ حوى ، المرجع السالف الذكر ج 1 ص 104
منير محمد الغضبان ، المنهج الحركي للسيرة النبوية . ط 8 . الاردن ، الزرقاء : مكتبة المنار 1406 هـ — 1985 م ج 1 ص 106
3 - ابن هشام ، السيرة النبوية ج 2 ص 90 . الشيخ عساف خلاصة الأثر ص 98 .
- الشيخ سعيد حوى ، الرسول ج 1 ص 106 - الشيخ الندوي السيرة النبوية ص 144
- الد/ السابع . السيرة النبوية ص 63 - الشيخ البوطي - فقه السيرة ص 179 .
- الشيخ محمد الغزالي فقه السيرة ص 167 - محمد بن عبد الوهاب ، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، القاهرة : دار الفكر بدون ذكر السنة ، ص 92 .

لكن الله كشف المؤامرة لحبيبه صلى الله عليه وسلم ((وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) (1)

حاولوا قتله في غزوة أحد لكن الله لم يمكنهم منه ، وانما اصابوه ؛ قال ابن اسحاق ((وانكشف المسلمون فاصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص اكرم الله فيه من أكرم بالشهادة ، حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدث بالحجارة حتى وقع لشقه ، فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلت شفته . . فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعو الى ربهم)) (2)

حاول اليهود قتله بالسم في غزوة خيبر؛ ((اهدت له زينب بنت الحدث اليهودية ، امرأة سلام بن مشكم ، شاة مشوية قد سمتها ، وسألت : أى اللحم أحب اليه ، فقالوا الذراع ، فأكثرت السم في الذراع ، فلما انتهش من ذراعها أخبره الذراع بأنه مسموم فلفظ الأكلة)) (3)

كما حاول المنافقون اغتياله ؛ ((قال ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير قال : لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك — بعدما اقام بها بضع عشر ليلة لم يلق فيها حربا — هم جماعة من المنافقين بالفتك به ، وأن يطرحوه من رأس عقبة في الطريق فأخبر خبرهم)) (4)

وهكذا اخفق الله عمل المبطلين وخيب امالهم وأبى إلا أن ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم ويظهر دينه ولو كره الكافرون ؛ ((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويابي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)) (5)

1— سورة الانفال الاية 30/ 2— ابن هشام المرجع السالف الذكر ج 3 ص28 — الشيخ حوى المرجع السالف الذكر ج 1 ص138
— الشيخ عساف المرجع السالف ذكر ص 169
— ابن القيم الجوزى زاد المعاد ج 2 ص96 — الد/ السباعي المرجع السالف الذكر ص89 — ابن حجر العسقلاني فتح الباري م 7 ص365 ، 366
3— ابن هشام المرجع السالف الذكر ج 3 ص218 — الشيخ الندوى المرجع السالف الذكر ص272 — ابن قيم الجوزية المرجع السالف الذكر ج 2 ص139
4— جمال ماضي غزوة تبوك ط 2 الجزائر: مكتبة رحاب 1408 هـ — 1988م ص31
5— سورة التوبة الايتين (32 ، 33)

الهجرة والمطاردة :

اشتدت محنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبلغ تنكر وتآمر قريش ذروته وضاقت عليه وعلى دعوته الأرض بما رحبت ، وأذن الله له بالهجرة ، فترك الوطن وفارق الاهل والسكن حزينا مهموما مخاطبا مكة : ((ما أطيبك من بلد واحبك الي ولولا أن قومي اخرجوني منك ما سكنت غيرك)) (1) ولم تنته محنته بخروجه فقريش تطارده وتقتفي اثره في كل شعب مكة وجبالها لعلها تعثر عليه فتقتله ، لكنها لم تجده فأهدرت دمه وجعلت مائة بعير لمن يأتي به حيا أو ميتا أو يرشد على مكانه :

قال ابن اسحاق : . . . عن سراقة بن جعشم قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا الى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم)) (2)

أخرج الله حبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم من شدة الخوف والمطاردة والقتل منتصرا عملا بوعده : ((انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد)) (3)

المبحث الثاني

ابتلاء المرحلة المدنية

مافتئ المجتمع الاسلامي الجديد في المدينة يضع الأساس ويعلي البناء حتى ابتلى الله الرسول صلى الله عليه وسلم بفئتين حاقدتين متآمرتين على الاسلام :

المنافقون :

وهي أخطر ظاهرة عرفها التاريخ الاسلامي ، وواجهها الرسول صلى الله عليه وسلم انها فئة من مرضى القلوب ضاقت ذرعا بالاسلام الذى هدم آمالها ، وهز عرشها وحطم سلطانها ، فاندست في الصف الاسلامي باسم الاسلام وأخذت تكيد له وتنفث في عضده من الداخل ، وتثير البلبلة بين أفراده ، وتعمل على نشر الفتنة في أوساطه بالتآمر على الرسول صلى الله عليه وسلم والوقيعة والتفرقة والتخلف عن الجهاد والانسحاب من القتال وبث الأراجيف ، ولنا أمثلة

---

1 ــ الشيخ الندوى السيرة النبوية ص146
رواه الترمذى وأخرجه في سننه في أبواب المناقب . فضل مكة . ج 5 . ص370 رقم 4018 ، وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

2 ــ الشيخ الندوى ، المرجع السالف الذكر ص148 ــ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج2 ص 96 ــ الشيخ عساف ، خلاصة الاثير . ص 97
ــ الشيخ البوطى ، فقه السيرة . ص180 ــ الشيخ الغزالي ، فقه السيرة . ص174 .
ــ ابن حجر العسقلاني فتح الباري م7 ص 228

3 ــ سورة غافر الاية 51

1 - اشاعة مقتل الرسول صلى الله عليه وسلم

يجب أن لا ننسى اشاعة مقتل الرسول صلى الله عليه وسلم في ميدان الحرب أثناء معركتي أحد والأحزاب لكن الاشاعة لم تجد الى نفوس المؤمنة مدخلا ولا الى الصف الاسلامي طريقا لأن الكيان الاسلامي محكم البنيان قوى الاركان مؤيد من الرحمن.

ب - في غزوة أحد

انخذال المنافق عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش واشاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم انما أخذ برأى المراهقين ولم يأخذ برأى أولي الألباب ((عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له، و ما ندرى علام نقتل أنفسنا)).[1]

ج - حادثة الافك

ان شخصية الداعية و سمعته مصدر من مصادر قوته، ووسيلة من وسائل التجميع، لذا يستهدف المبطلون عرضه و شرفه حتى يثيروا الشك حوله فيفقد تأثيره و يتفرق الناس من حوله و بالتالي يتم التخلص منه.

ان هذه الخطة الشيطانية والوسيلة الرخيصة اتبعتها الجاهلية مع كل رسول وداعية و مصلح عبر التاريخ، وهذا ما تفرد به المنافقون في ايذاء المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ أنهم نشروا قالة سوء حول البيت النبوي المتشكيك في عرض الرسول و أهله، فكان أخطر تحد واجهه المعصوم صلى الله عليه وسلم، وأقسى محنة مر بها، وأشد فتنة أصطلى بنارها.

المجتمع الاسلامي الذي أصبح أفراده بين مصدق و مكذب ومتردد حتى تدخل الوحي واطفأ نار الفتنة باعلان براءة عائشة رضي الله عنها: ((ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)).[2]

وكان الغرض من هذا الافتراء ومن هذه الاشاعة هو القضاء على وحدة المسلمين و تثبيط عزائمهم أي استئصال الرسول صلى الله عليه وسلم والاسلام.

1- الشيخ البوطي، فقه السيرة ص.237.

2- سورة النور الآية .11.

د - حـــرب الاحـــزاب :

شكـكـوا فيهـا بوعـد الله بالنصـر :((كان محـمد يعدنـا أن نـأكل كنـوز كسـرى وقيـصـر، وأحـدنا اليـوم لا يأمن علـى نفسـه أن يذهـب الى الغـائـط))[1] وتحـالفهم مع اليهـود والمشـركيـن في هذه الغـزوة العصيبـة التي كـانت ابتـلاء شديدا للـرسـول صلـى اللـه عليـه وسلـم والمؤمنيـن كمـا صـورهـا اللـه فـي محكـم تنـزيـلـه :((اذ جـاءوكـم من فوقـكـم ومـن أسفـل منكـم واذ زاغت الابـصـار و بلـغت القـلوب الحنـاجر..هنـالك ابتـلـي المؤمنـون وزلزلـوا زلـزالا شـديـدا))[2]

ه - مـسـجـد الضـرار:

آخـر حيـلـة تـوسل لهـا أعداء الله هي بناء مسجـد ليكون مقـرا لاجتمـاعـاتهـم التي يـكيـدون فيهـا للاسـلام تحـت سـتـار العبـادة و تقـديم طلب الى النبي صلـى الله عليه وسلـم ليصلي فيه فتكـون صلاته مصـادقة عليـه وحجة لهم الا أن اللـه كشـف خبـاياهم و فضح نواياهم :((الذيـن اتخـذوا مسجداضرارا وكـفرا و تفـريقا بين المؤمنيـن وارصـادا لمن حـارب اللـه ورسـوله من قبـل ، وليـحلـفـن ان أردنـا الا الحسـنى واللـه يشـهـد انهـم لكـاذبـون))[3]

وهكـذا سقط قنـاع المنافقين وظـهرت حقيقتهـم .

اليـهـود .

ان من طبيعة اليهود الغـدر والخيـانة ، المكـر والخـداع، الحسـد والحقـد ، اللـؤم والخسـة ، الكيـد والأذى - النذالـة ، والجبـن حب الزعـامة والسيطرة ، فهم والشيطـان و جـهـان لعملة واحـدة . تأبـى عليـهم أنفسهم أن يـروا غيـرهم أقويـاء منتصـريـن بيـدهم السلطـة والحكم.لذا كـانـوا حـربـا خفيـة علـى الاسـلام والمسلميـن، يحـرضـون عليـه الاعـداء ، ويتربصـون به الدوائر ويتحينون الفـرص لاستئصـاله بالرغـم من مسـالمة الرسـول صلى الله عليـه وسلم لهم وتحالفه معهم . لا يسعنا المقام لذكر كل نذالاتهم معه صلى الله عليه وسلم ولذا نكتفي بالاشارة الى بعض مواقفهم :.

1.لم يسعد نصر الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود فأخذوا يهونون من شأنه بقولهم :((لايغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم .أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس))[4]

1- الشيخ البوطي ، المرجع السالف الذكر ص 293 * 2- سورة الأحزاب الآيتين 10 و11
3- سورة التوبة الآية 107 * 4- الشيخ الغزالي، فقه السيرة .ص 258.

ب — وجدوا الفرصة سانحة لهم عند تحويل القبلة للتشكيك في الرسول والرسالة فروجوا القالة : ((خالف قبلة الانبياء قبلهُ لو كان نبيا لكان يصلي إلى قبلـــة الانبيـــاء)) (1)

ج — غدر يهود بني قينقـاع وبني قريظة وبني النضيـر ونقضوا العهـد بكشفهم لعورة امـرأة مسلمة والسخرية منها وقتل مسلم ومحاولة اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم مرتين مرة برمي الحجر عليه من أعلى البيت وأخرى بشاة مسمومـة ، وتحالفهم مع المشركين مما استوجب على الرسول صلى اللـه عليه وسلم مقاتلتهم واجـلاءهم .

الحــــــــزن :

تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لصنف آخر من الابتلاء كان له وقع شديـد في نفسه إذ أنـه فقد الحبيب الذى يخفف عنه همومـه ، واليد الحانية التي تربت على كتفه عند الشدة وتمسح له دموع الحزن والأسى والألم ، والمعين على مشـاق الطريق وتبليغ الدعوة ، فقد زوجتـه خديجة — رضي الله عنها — التي صدقتـه اذ كذبه الناس وآزرته اذ تخلى عنه الغير فكانت نسمة رحمة تهب عليـه في ليل شديد الحر ، وفقد عمـه الذى دافع عنه وحماه من أذى قريش فحـزن لذ لك حزنا شديدا ، وازدادت محنته مع الأيام بفقد صديق طفولته ورفيق شبابـه وصاحبه في دعوته عمه حمزة رضي الله عنه ، وثلة من أصحابه ، وكل ابنائـه الواحد تلو الآخـر .

ماعدا فاطمة الزهراء رضي الله عنها — لكنه لم يجزع ولم يشتك إنما صبـر ورضي بقضاء الله وقدره ، ويتجلى لنا هذا في موقفه عند موت ابنه ابراهيم .

اخرج ابن سعد عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : رأيت ابراهيم وهو يكيـد بنفسـه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((تدمع العين ويحـزن القلب ولا نقول الا مايرضي ربنا والله ياابراهيم انا بك لمحزنون)) (2)

إن صاحب الدعوة خليق به أن يقف طويلا أمام سيرة الرسول صلى اللـه عليه وسلم ليدرك :

1 — أن الجاهلية تسعى إلى الضغط على أعصاب الداعية واستفزازه ودفعـه الى استعجال خطوات العمل الاسلامي وتجاوز البناء العقائدى ، ونسيـان تدراته وطاقاتـه ، وادخاله في المواجهة قبل اتمام النمو والتكوين ، وقبل اعداد العدة والعتاد ، وبالتالي يسهل عليها صرف الداعية عن منهجه الرباني ثم اجهاض الحركة قبل اكتمـالها . هذا مـا تفطن له الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك ربى أصحابهُ على الصبر وضبط الأعصاب والطاعـة وعدم حرق الاشواط والمراحل مرسخا بذلك التصور الصحيح للعمل الاسلامي ومبينا لهم

---

1 — ابن قيم الجوزية.زاد المعاد . م1 ج 1 ص 57.

2 — الشيخ حوى ، الرسول ج 1 ص 139 — ابن قيم الجوزية المرجع السالف الذكر م1 ج 1 ص 46 — الحديث إخرجهُ ابن ماجه في السنن . كتاب الجنائز رقم الحديث 1589

ولكل الدعاة من بعدهم : أن أي انحراف عن المنهج سيعطي للأعداء فرصة لمحو الجماعة المسلمة وبالتالي لن يقوم للاسلام نظام في الأرض ، لذا وجب على الداعية الاستعلاء على هذه الاستفزازات وعدم الاستجابة لها والعمل على كشفها ، ورفض الظهور المبكر وكل ماهو دخيل عن الدين والالتزام بمراحل المنهج الاسلامي .

2 ـ أن الله لم يوجه الرسول لقبول مساومة الجاهلية (الملك ، السلطان ، والمال) ومهادنتها حتى إذا هيمن أقر دين الله وانما أمره بالجهر بالدعوة والاستمساك بالرسالة وتحمل العناء ، وذلك توضيحا لمعالم الطريق وارشادا للتصور الصحيح للمنهج فلتتأمل القيادة الاسلامية هذا الأمر مليا حتى لاتنحرف عن الطريق السوي فتحتويها الجاهلية في غفلة منها .

3 ـ أن الإشاعة وترويج الأخبار يؤدي إلى إثارة الفتن وتمزيق شمل الأمة ومن هنا وجب على العنصر الاسلامي :

أ ـ التبين والتروي في نقل الأخبار ، قال تعالى ((ياأيها الذين امنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين)) (1)

ب ـ تضييق مجالها ومسارعة الصعود بها الى أضيق الدوائر (القيادة) واجتناب انزالها الى أوسع الدوائر : القاعدة ، حتى لا يحدث اضطرابا في أفراد الجماعة ويشغلهم بصراعات هامشية تلهيهم عن أهدافهم الجادة قال تعالى : ((واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ، ولو ردّوه إلى الرّسول وأولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته لاتّبعتم الشّيطان إلاّ قليلا)) (2)

4 ـ إنّ من خصائص الركائز الصلبة التي يعتمد عليها في بناء الكيان الاسلامي : العمل على كسب الرزق حتى لاتكون حملا على غيرها وبالتالي تفقد وزنها عند الناس فتفقد بذلك الثقة والمحبة ثم التأثير وأخيرا الدعوة ، وصدق لقمان عندما قال لابنه : ((يابني استعن بالكسب الحلال فانه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال : رقة في دينه ، وضعف في عقله ، وذهاب مروّته وأعظم من هذه الخصال : استخفاف الناس به)) (3). فلابد اذن للجماعة المؤمنة أن تتمثل هذه الخاصية وتربي رجالها عليها حتى تتمكن من تحقيق هدفها المنشود .

5 ـ إن الداعية الذي يريد تغيير المجتمع الفاسد مطالب بألا ينعزل عنه مهما أضناه العمل لأن عملية التغيير تقتضي منه معايشة هذا المجتمع ومعرفة مشاكله وحلولها ، والتفاعل معه والاحتكاك بشرائحه لتعريفهم بالدين واحتلال قلوبهم بالتودد اليهم .

---

1 ـ سورة الحجرات الاية 6

2 ـ سورة النساء الاية 83

3 ـ عبد الرحمن المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ط 4 ، بيروت : المكتب

واشعارهم بحبه لهم وتبني قضاياهم وبالتالي استقطاب عناصر واكتشاف كفاءات يستعين بها في تبليغ رسالته . قال صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)) (1)

6 – ان القنوط من التغيير و الاستسلام للواقع والرضا به الذى يؤدى بالداعية إلى الذوبان فيه وبالتالي القعود عن عمليه التغييرى انحراف في التصور للعمل الاسلامي وفهم سقيم للاسلام . لذا ينبغي على الداعية الاسلامي أن لا يقنط من روح الله وأن لا ييأس، أبداً من هداية الناس وتغيير الاوضاع مهما بعدت الشقة وطال الزمن وتأخر النصر ، إيمانا بالله وثقة بوعده وقدرته على التغيير . قال تعالى ((انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)) (2) وقال : ((ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون)) (3)

7 – ان الرسول صلى الله عليه وسلم رسم للقيادات الاسلامية طريقها ووضح لها منهجها وبين لها معادن الناس وخبايا النفس البشرية لهذا لزم عليها دراسة حياته دراسة عميقة متبصرة حتى تمتلك فنيات القيادة و الجندية ومقتضياتها فتقدر بذلك على تربية القاعدة الصلبة التي تنزل بها الى الساحة للقيام بعملية الاكتساح والهيمنة على أكبر مساحة بشرية ممكنة وبالتالي العودة الى استئناف الحياة الإسلامية من جديد .

وأخيرا يمكن القول أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ضرب أروع مثل في الصبر والثبات ، ففي صبره على الأذى ومحاولة قتله لخير عزاء للدعاة المصلحين السائرين على دربه فيما يلاقونه من اضطهاد واعتقالات وقتل واغتيال ، وفي احتسابه عند فقد الأحبة خير قوة تدفعهم للجوء الى الله عند الابتلاء ، وفي ثباته يوم أحد و الأحزاب وحنين خير حافز لهم على استمرار الدعوة عند امتحانهم بالشدة والزلزلة ، وفي رفضه لكل اغراءات قريش خير رادع لمن ساوموهم في عقيدتهم وأغروهم بالمناصب و الشهادات والمال . وفي صموده عند الجوع والفقر – الذى بلغ قمته كما وصف عمر رضي الله عنه ((لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي مايجد من الدقل مايملأ بطنه)) (4) ، وهو الذى عرض عليه ربه جبل أحد ذهبا فآثر الزهد على الغنى – خير بلسم للذين صودرت أموالهم ونهبت ممتلكاتهم فما بقي لهم شيئا ، وفي تصميمه وتمسكه بدعوته عند إخراجه من أرضه ومرتع صباه وفي أمله ويقينه بالرجوع اليها ممكنا منتصرا خير دواء للمبعدين عن أوطانهم المشردين عن ديارهم المسلوبة

---

1 – رواه الترمذى في السنن بأبواب صفة القيامة ج 4 ص 73 رقم الحديث 2625 وابن ماجة في السنن .كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج 2 ص 1338 رقم الحديث 4032 – 2 – سورة يوسف الاية 87

3 – سورة الحجر الاية 56 4 – الشيخ سعيد حوى ، الرسول ج 1 ص 141 . الحديث أخرجه مسلم في الجامع الصحيح .كتاب : الزهد والرقاق ج 8 ص 220. وابن ماجة في السنن كتاب الزهد ، باب معيشة آل محمد صلى الله عليه وسلم ج 2 ص 1389 رقم الحديث 4146 .

أراضيهم ،وأكبر أمل لهم للرجوع والنصر ، وفي خبرته بكل وسائل الاعداء ،وافشاله لكل مخططاتهم بتأييد من الله عز وجل خير دافع للشباب الاسلامي اليوم الذى سلك طريقه لمعرفة هذه الرسائل والأساليب المبتكرة والمتطورة للتصدى لها وابطال مفعولها .

الفصل الرابع

الابتلاء في حياة عظماء الاسلام واصحاب العقيدة

وفيه أربعة مباحث

في هذا الفصل سنتحدث ـ ان شاء الله عن ابتلاء عظماء الاسلام وأصحاب العقيدة الذين قال فيهم الله عز وجل : ((من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا)) (1)

انهم رجال آمنوا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، فآثروا الاخرة على الدنيا والهداية على الضلال ، وهذبوا النفوس وطهروا القلوب فأصبح لاهمّ لهم إلارضا الله والتطلع الى لقائه و الفوز بجنته

انهم ابطال بواسل رخصت أرواحهم في سبيل عقيدتهم وتلهفوا الى الشهادة ليكونوا في جوار النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقا فكتبوا التاريخ بدمائهم الزكية الطاهرة ...

انهم رجال حملوا على كواهلهم أعباء الدعوة واثقال الأمانة فهانت عليهم أنفسهم وأموالهم ، وتركوا الراحة والدعة وغادروا الأوطان و الأهل وحرصوا على نشر دعوة الله ، واستعذبوا من أجلها العذاب و التضحية ، وتحملوا في سبيلها الشدائد و المحن ..

فما أحوج أبناء الاسلام اليوم أن يعرفوا ماتحمل هؤلاء الرجال السالكين طريق الله الشائك الصعب ، وهم في مواجهة أكبر قوى الشر المتربصة بالاسلام وأهله ليكونوا على بينة وهم يشقون طريقهم لاقامة دولة الاسلام العالمية وعلى رأسها الخلافة الاسلامية ...

ونحن في بحثنا هذا لايمكننا الالمام بمحن الجميع لأن جند الله وعظماء الاسلام أكثر من يحصوا لذا يكفي أن نختار منهم أربع شخصيات باختلاف الزمان والمكان وهم :

الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ...

الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ...

الامام الشهيد حسن البنا رحمه الله ...

الامام عبد الحميد بن باديس رحمه الله ...

---

1 ـ سورة الاحزاب الاية 23

المبحث الأول

ابتلاء الصحابي الجليل أبي بكر [1] الصديق رضي الله عنه

أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عظيم من عظماء الاسلام وخليفة من الخلفاء الراشدين بادر الى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليه ، قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين التميمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مادعوت أحدا الى الاسلام الا كانت له كبوة وتردد ونظر، الا أبا بكر ماعتم عنه حين ذكرته وما تردد فيه)) [2] عتم : أى تلبث .

لازم النبي صلى الله عليه وسلم في مسيرته نحو الله ، وصاحبه في هجرته فكان ثاني اثنين ، قال الله تعالى : ((إلّا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إنّ الله معنا)) [3] . وشهد معه صلى الله عليه وسلم كل المشاهد والغزوات ، وحمـا ه من كيد الكائدين وغدر الغادرين ، تحمل الأذى والمحن من أجل اعلاء كلمة الله فلم يكن هناك أثبت ولا أرسخ ولا أقوى من ايمان أبي بكر، أبو بكر صفوة الصفوة التي تربت على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقامت على اكتافها الدولة الاسلامية الاولى ، وطهرت الأرض وطمست معالم الوثنية وفتحت الامصار ونشرت الاسلام فصنعت من الفرقة وحدة ، ومن الضعف قوة فدانت البشرية بدين الحق . . أبو بكر الذى تجسدت فيه العظمة و الايمان فما كان يصده عن دعوته الأذى و الاضطهاد ، وما كان يرده عن تبليغ رسالته الفتن والابتلاءات ، التي يجدر بنا أن نتطرق الى ابرزها ـ في بحثنا هذا ـ لعلنا نعتبر وندرك أن لكل نصر ثمن ولكل تمكين ضريبة ولكل ولادة مخاض :

---

1 ـ هو عبد الله بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب القرشى ، التيمي ، يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة . . . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج 1 ص 231 .
ـ حسن ابراهيم حسن ، زعماء الاسلام ، ط 2 ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية 1966 ص 9 ـ الرحالة الكبير و المؤرخ الجليل ابي الحسن بن علي المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط 2 ، بيروت ، دار الاندلس 1404 هـ . 1984 م ص 298 ـ ابو بكر الجزائري ، العلم و العلماء ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، بدون ذكر التاريخ ، ص 144 .
2 ـ الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابي بكر السيوطي ، تاريخ الخلفاء بيروت ، دار الثقافة ، بدون ذكر التاريخ ص 40 .
ـ العلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى ، حياة الصحابة . ط 2 ، دمشق 1403 هـ . 1983 م ـ ج 1 ـ ص 68
ـ الد / مصطفى السباعي ، عظماؤنا في التاريخ ، بيروت ، دمشق ، المكتب الاسلامي بدون ذكر التاريخ ، ص 112
ـ خالد محمد خالد ، خلفاء الرسول . ط 3 ، بيروت ، لبنان : دار الكتاب العربي 1405 هـ ـ 1985 م ـ ص 66
ابن كثير ، السيرة النبوية ، بيروت لبنان ، دار المعرفة بدون ذكر التاريخ ص 433
3 ـ سورة التوبة الآية 40 .

الأذى :

قال ابن اسحاق : ((رجع ابو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جذبوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر)) (1)

((اخرج الحافظ ابو الحسن الاطرابلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت : . وثار المشركون على أبي بكر الصديق وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا ، ووطئ أبو بكر وضرب ضربا شديدا ، ودنا منه الفاسق عقبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن ابي بكر حتى ما يعرف وجهه من انفه — وجاء بنو تيم يتعادون فاجبت المشركين عن ابي بكر ، وحملت بنو تيم ابا بكر في ثوب حتى ادخلوه منزله ولا يشكون في موته فتكلم آخر النهار فقال : مافعل رسول الله . . فان لله علي أن لا أذوق طعاما ولا شرابا أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم)) (2)

((أخرج ابن اسحاق أيضا عن القاسم قال : لقيه — يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه حين خرج من جوار ابن الدغنة سفيه من سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة ، فحثا على رأسه ترابا ، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة — أو العاص ابن وائل . فقال له أبو بكر رضى الله عنه : الا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال : انت فعلت ذلك بنفسك ، وهو يقول : اى رب ما احلمك إاى رب ما احلمك ! اى رب ما أحلمك !)) (3)

((واخرج ابو يعلي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : فأتى الصريخ إلى أبي بكره فقالوا : أدرك صاحبك ، فخرج من عندنا وان له لغدائر أربع ، وهو يقول : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكره قالت : فرجع الينا لا يمس شيئا من غدائره الا جاء معه وهو يقول : تباركت ياذا الجلال و الاكرام)) (4)

إن ابتلاء ابي بكر درسا عمليا لسنة الله الثابتة المستمرة على مر العصور وعبرة لكل سائر على طريق الله ، وان ثباته دليلا على قوة ايمان كل رباني لا يعرف الوهن والضعف ولا يخاف الجبابرة ، ولا يخشي الطغاة مهما اشتد جبروتهم وعظم طغيانهم مادام على الحق وعلى نهج الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولنقف قليلا امام عبارتي :

---

1 — حسين بن محسن بن علي جابر ، الطريق الى جماعة المسلمين ، ط1 ، الكويت : دار الدعوة ، 1405 هـ — 1984 م — ص 257

2 — الشيخ الكاندهلوي ، المرجع السالف الذكر ج 1 ، ص (280 — 281)

3 — نفس المرجع السابق ص (284 — 285)

4 — نفس المرجع السابق ص (269 — 285)

— ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، م 7 ، ص 169 .

1 — ((ما فعل رسول الله)) لنستشف مدى هوان النفس في الله لاعلاء كلمته ومدى تمسك الجندي بقيادته .

2 — ((ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم))

لنتاكد ان السبب الحقيقي والاصلي للحرب الطاحنة التي يشنها المبطلون على اصحاب الحق ليس اقتصاديا ، أو اجتماعيا أو ثقافيا أو سياسيا كما يصوره اعداء الاسلام وعملاؤهم وانما عقائديا لان عقيدة التوحيد هي العقيدة الوحيدة التي تهدد كيانهم وتستأصل باطلهم وتقضي على مصالحهم وتزلزل عروشهم ، والا فما هي الجريمة التي ارتكبها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن اهتدى بهديه حتى يستحقوا كل هذا العذاب والاذى؟ وما هو الذنب العظيم الذى يستوجب كل هذا الاضطهاد والجزاء . ان ذنبهم الوحيد انهم ((قالوا ربنا الله)) فتجسد الايمان في حياتهم ودعوتهم وثباتهم . قال الله تعالى : ((وما نقموا منهم إلاّ ان يؤمنوا باللّه العزيز الحميد)) (1)

الهجرة :

إن ابا بكر يعلم أن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن رحلة للترفيه عن النفس ، ولا نزهة للتمتع بروائع الطبيعة ، انما مخاطرة مروعة ومطاردة رهيبة ، وفرارا بالدين لكنه بكى فرحا وتهلل وجهه لصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكيف لا ؟ ، وقد اختار طريق التضحية والعطاء ، وسبيل الفتن والابتلاء .

لقد ضمت له هذه الهجرة بين طياتها محنة الفراق اذ أنه ترك الاهل والاوطان والعشيرة على كبر سنه ، ومحنة الخوف والمطاردة والتهديد بالقتل اذ أنه رضي الله عنه — ادرك خطورة الموقف فقريشا ستحشد قواها لرصد الطريق والقبض على النبي صلى الله عليه وسلم للقضاء عليه وعلى دعوته ، لذا جند نفسه وثروته وابناءه لحماية الدعوة والداعية مهما كانت العواقب والصعوبات . اى موقف أخطر من صحبه انسان مطارد مهدر الدم ؟ وأية مسؤولية أعظم من حماية القيادة والدفاع عنها ؟ وأية عوامل تجعل المبتلي يصمد أمام هذا الأمر؟

إنها : كمال الايمان ، وروعة العقيدة وعظمة الدين ، وفوارق الحب ، حب القائد الذى أصبح كثيرا من شبابنا اليوم يهون من شأنه ويعتبره انحراف في العقيدة أو عدم التجرد للفكرة وصدق الدكتور منير محمد الغضبان عندما قال : ((اننا كثيرا ما نندفع في التقليل من شأن القائد بحجة أننا أصحاب فكرة ونغالي في هذا الأمر حتى كأن القائد للجماعة لا يعدو أن يكون جنديا عاديا . ونرى حب القائد والتفاني في سبيله والتعلق به وثنية فنكرر الجملة المعهودة : اذغابت الفكرة برز الصنم)) (2)

---

1 — سورة البروج الاية 8

2 - الشيخ منير الغضبان ، المرجع السالف الذكر ج 2 ، ص 320

والحقيقـــة هي ماقرر الامام الغزالي في قوله: ((أما عشاق المبادئ المجردة فما أن يجدوا رجلها المنشود حتى يحيطوا به ، وتلمع عيونهم حبا له أي حبا للمبادئ التي حييت فيه وانتصرت به)) (1)

ولنرجع الى كتب السيرة النبوية لتجسد لنا هذا:

((وهم النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول (الى الغار) فسبقه أبو بكر قائلا لاتدخل حتى أدخله قبلك ، ودخله ودار على جوانبه يمسحها فوجد فيه ثقوبا فشق ازاره رضي الله عنه وسد به واحدا وبقي ثقبان متجاوران فوضع فيهما قدميه وأقفلهما بهما خشية أن تكون بهما حشرة ضارة تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لاذاها ، ثم نادى على رسول الله ، فدخل وكان مجهدا فوضع رأسه في حجر أبي بكر ونام ويظهر أن مخاوف سيدنا أبي بكر كانت صادقة فقد كانت في أحد الثقبتين حية لدغته فلم يحرك قدمه حتى لاتخرج الحية من مكمنها ، وحتى لا يستيقظ رسول الله . ولكن الألم زاد على أبي بكر فسقطت دموعه على الرغم منه وابتل وجه الرسول صلى الله عليه وسلم فتنبه واستيقظ وقال: ((مالك يا أبا بكر ؟)) قال: ((لدغت فداك أبي وامي)) .. فرفع النبي يده الى الله قائلا: ((اللهم اجعل ابا بكر في درجتي يوم القيامة)) (2)

((وقد روى انه لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار ومعه ابو بكر كان يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه ،حتى فطن رسول الله فقال: يا ابا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي ؟ فقال يارسول الله اذكر الطلب فأمشي خلفك ، واذكر الرصد فأمشي بين يديك)) (3)

هذا شأن التجرد والحب الصادق المبتغي من ورائه مرضاة الله ،وشأن الجندي المخلص مع قائده الحبيب الذي كان سببا في هدايته . وشان الداعية الذي ارتبط بعقيدته ودعوته ارتباط الجسد والروح ،والحياة والموت . ألا فليعتبر الدعاة الى الله وليعوا وليتعظوا وليربوا الاجيال على مثل هذه المعاني .

وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم :

((ايها الناس انه من كان يعبد محمد فان محمد قد مات، ومن كان يعبد الله

1- الشيخ الغزالي ، المرجع السالف الذكر ص314
2- الشيخ عساف ، المرجع السالف الذكر ص94/ 95
3- الحافظ ابو الفداء ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية .ط 6،بيروت :مكتبة المعارف 1405 هـ - 1985 م،ج 3 ،ص 180 . نقلا عن البيهقي برواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- الشيخ الكاند هلوى ،المرجع السالف الذكر،ج 1 ،ص 339 .

ان الله حي لا يموت .((وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفئن مات و قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه ، فلن يضر الله شيئا وسيجزي الشاكرين)) (1)

كلمات قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه — أحق الناس بالحزن أليس الرسول صلى الله عليه وسلم هو صاحبه وصديقه وقائده وحبيبه — ووقفة حكيمة وقفها ليفصل المبدأ الثابت والقائد الفاني ، والعبد والمعبود ، وليذكر بالغاية والهدف ، وليحسم الموقف ويرد المسلمين الى رشدهم . فقد ذهب هول المصيبة الفاجعة بعقولهم اذ أنهم لم يصدقوا أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات . وكأنهم نسوا بأنه بشر كغيره حتى عمر القوي الشديد — رضي الله عنه — زلزل فشهر سيفه في الناس صارخا : ((ان رجالا من المنافقين زعموا أن رسول الله مات ، وانه والله ما مات ، ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران .. والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال زعموا أنه مات .. ألا ، لا أسمع أحدا يقول أن رسول الله مات ، الا فلقت هامته بسيفي هذا)) (2)

ان رجل الاسلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه أراد أن يلفت انتباه أبناء الحركة الاسلامية الى أمر هام وهو : أن الامة الاسلامية لا يمكن ان تذهب بذهاب قادتها وعظمائها اذا تمسكت بكتابها وحافظت على دينها بالفهم السليم والتصور الصحيح ، واذا وعت أن التبعية ليست للأشخاص وانما للمبادئ ((كثيرا من الأمم تنهار بانهيار رجالاتها وابطالها لكننا نحن الامة المسلمة بالذات ، حين نكون على مستوى هذا الدين ، ومستوى هذه العقيدة لا يجوز أن يهز كياننا سقوط أية قيادة باستشهاد أو اعتزال أو عزل لأن العاصم لنا من الفتنة هو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)) (3)

المسيرة (4)

ماكادت الدولة الاسلامية تبدأ مسيرتها بخليفتها الأول أبي بكر الصديق حتى ابتليت بحركة تمرد وعصيان ممن كانوا يتربصون بها الدوائر فهم بين مرتد ومانع زكاة . فما كان موقف رجلها الأول — أبو بكر الصديق ومسؤولية الدين والامة في عنقه ؟ إن المحنة لم

1— الد/ السباعي ، السيرة النبوية . ص187 — الشيخ البوطي ، فقه السيرة ، ص459
— ابن كثير ، البداية والنهاية ج 5 ص242
— الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، مختصر سيرة الرسول . ص179 . أخرجه ابن ماجه في السنن . باب ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم . رقم الحديث 1627 . م1 . ص520 .
2— خالد محمد خالد ، المرجع السالف الذكر ص(81 ، 82)
— القاضي أبي بكر بن العربي ، العواصم من القواصم ، حققه وعلق عليه محمد الدين خطيب . ، بيروت لبنان : المكتبة العلمية . 1403 هـ — 1983 م . ص39
3— الشيخ الغضبان ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ج 3 ، ص205 .
4— ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 5 . ص 279 ، ج 6 . ص (311 ، 332)
— الشيخ محمد المصري بك ، اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء — ط 1 . بيروت : دار [illegible]

ترده الا صلابة وعزما وصرامة وايمانا، فقد قرر حرب الثائرين والمرتدين بالرغم من كثرة العدو وقلة المسلمين، والقضاء على حركتهم قضاء مبرما قبل أن يستفحل الامر فيظن المبطلون أن الاسلام مات بموت الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالرغم من أن الصحابة رأوا عدم قتال مانعي الزكاة والاستعانة بهم على حرب أهل الردة، وقال قولته الصارمة في غير تردد: ((والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه .. والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فان الزكاة حق الله وقد قال: إلا بحقها .. لقد تم الدين وانقطع الوحي أفينقص وأنا حي ؟)) (1)

((إن في موقف أبي بكر عمق في فهم الفكرة الاسلامية وتقديم الفكرة على الرجال فلو أنه قبل اسلامهم ناقصا دون زكاة لاحدث صدعا في صميم مبادىء الاسلام ولجعله موضع مساومة، ولترك للاجيال من بعده سابقة خطيرة تحطم أركانه وتأتي على مبادئه)) (2)

وهكذا هزم ابو بكر الصديق رضي الله عنه الاعداء بالجيوش الاسلامية شر هزيمة ونقذ الكيان الاسلامي من التصدع، والمسلمين من التشتت، والدين من الضعف وخرج من المحنة كالذهب الخالص المتوهج مثبتا بذلك وعد الله في قوله ((إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم)) (3)

ومن هذا ((يفهم المسلمون الذين يريدون الاقتداء بسلفهم الصالح أن المؤمن لا ينبغي أن يهن مهما كثر أعداؤه — خاصة اذا كان حاكما أو قائدا أو مرشدا — لأن المسلمين لا يغلبون من قلة ولا يخذلون إلا من اتباعهم الهوى وحيادهم عن الصراط السوى)) (4)

المال :

المال نعمة من نعم الله عز وجل وابتلاء، في ابتلائه انقسم الناس حوله الى فئات: فئة اتخذته غاية فسخرت طاقاتها للحصول عليه وضحت بالقيم والمبادىء من أجله، وثانية اعتبرته وسيلة لاعتلاء المناصب والجلوس على الكراسي للتحكم في رقاب الخلق واستعبادهم وثالثة استخدمته وسيلة لارضاء الله أولا ثم لاقامة العدل وتحقيق التكافل والتلاحم الاجتماعي ثانيا حتى يصبح أفراد المجتمع أسرة واحدة إذا اشتكى منها عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى لانهم أدركوا قول الله عز وجل ((إنّما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)) (5)

1— خالد محمد خالد، خلفاء الرسول، ص95.
— ابن كثير، البداية والنهاية، ج 6 ، ص311.
— محمد شديد، منهج القرآن في التربية، بيروت: مؤسسة الرسالة 1399 هـ 1983م ص(22 ، 23) — الحديث أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الايمان باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله، ج 1 ، م 1، ص38.
— سنن الترمذي: باب ماجاء ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله، رقم الحديث 2734، ج 4، ص117: وهو حديث حسن صحيح
2— نفس المرجع السالف الذكر ص24 —3— سورة محمد الاية 7
4— الشيخ محمد المصري بك، المرجع السالف الذكر، ص37.
5— سورة التغابن الاية 15.

وأبو بكر — رضي الله عنه — من الفئة الاخيرة فقد آل على نفسه أن ينفق كل ماله ابتغاء مرضاة ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فوضع كل ثروته بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل عبء انقاذ المستضعفين فكانت له اليد الطولى في شرائهم وعتقهم وفي القضاء على الفوارق الاجتماعية وحسبنا شاهدا على جوده وكرمه وتجرده قول الله عز وجل وثنائه عليه : ((وسيجنبها الأتقى، الذى يوتي ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى)) (1)

واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((اخرج الترمذى عن ابي هريرة قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : ما لاحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ، الا ابا بكر ، فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال ابي بكر)) (2)

((واخرج احمد عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مانفعني مال قط مانفعني مال ابو بكر ، فبكي ابو بكر وقال : هل انا ومالي الا لك يارسول الله ؟)) (3)

واخرج ابو داود والترمذى عن عمر بن خطاب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك مالا عندى ، قلت : اليوم أسبق ابا بكر — ان سبقته يوما فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما ابقيت لاهلك ؟ قلت : مثله ، واتى أبو بكر بكل ماعنده ، فقال : يا ابا بكر ما أبقيت لاهلك ؟ قال : ابقيت لهم الله ورسوله فقلت : لاأسبقه في شئ ابدا)) (4) قال الترمذى حسن صحيح ، وحق له رضى الله عنه أن يرتفع مقامه عند الله ورسوله والمؤمنين فيقول صلى الله عليه وسلم : ((... أن أمن الناس علي في صحبته وما له أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن اخوة الاسلام ومودته ، لا يبقين باب الا سد الا باب ابي بكر)) (5) اخرجه الشيخان عن ابي سعيد الخدرى .

1— سورة الليل الايات (17 ـ 21) 2— الشيخ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص45 . — الشيخ ابو بكر جابر الجزائرى، العلم والعلماء، ص152 — حسن ابراهيم حسن، زعماء الاسلام، ص13 . الحديث أخرجه الترمذى في السنن، ابواب المناقب باب : مناقب ابى بكر الصديق ج 5 ، ص(270 ، 271) . رقم الحديث 3741 وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه

3— السيوطي ، المرجع السالف الذكر، ص43 — الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى، المرجع السالف الذكر، ص152 . أخرجه ابن ماجه في سننه رقم الحديث 94 ، م1 ، ص36 .
— الحديث اخرجه الامام احمد في مسنده .

4— السيوطي ، المرجع السالف الذكر، ص45 — أبو بكر الجزائرى، نفس المرجع، ص152 ، حسن ابراهيم ، حسن المرجع السالف الذكر، ص11 ،
الحديث اخرجه الترمذى في السنن في ابواب المناقب باب : مناقب أبى بكر الصديق ج 5 ، ص 277 ، رقم 3757 وقال هذا حديث حسن صحيح .

5— السيوطي ، المرجع السالف الذكر، ص33 ، ط 1974 ، أبو بكر الجزائرى، المرجع السابق ص144 ، أخرجه البخارى في صحيحه ، فتح البارى، كتاب فضائل الصحابة ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم سدوا الابواب الا باب ابى بكر، ج 7 ، ص12 ، رقم الحديث 3654 ومسلم في الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، م 2 ج 7 ، ص108 مع اختلاف بسيط في اللفظ .

وقال عمر: ((لوودت أني شعرة في صدر ابي بكر)) [1] اخرجه مسدد في مسنده .

واخيرا نود لشباب الدعوة الاسلامية ان يستوعب عدة معاني من ابتلاء الصحابي الجليل ابى بكر الصديق رضي الله عنه ومواقفه الثابتة في الشدة والرخاء ليترجمها في حياته الدعوية أن اراد الفوز برضا الله وجنته . منها :

الصدق — العطاء — التجرد — المحبة — التضحية الفطنة — الفعالية — العمق — الذوبان في المنهج — طول النفس بعد النظر — الشعور بالمسؤولية .... الخ ....

---

1 — السيوطي ، المرجع السالف الذكر ص54 ، طبعة 1974 .

المبحث الثاني

ابتلاء الامام احمد بن حنبل (1) رحمه الله

تيقننا مما سبق أن لله في كل عصر عبادا تجردوا للاسلام وصاغوا حياتهم على أساسه وسخروا انفسهم لخدمته والدفاع عنه ونفض الغبار عليه والجهاد من أجله ، وهم يدركون حق الادراك ان سبيلهم وعر، وأن نهايتهم إما السجن أو التعذيب أو الاعدام ، وكان الامام احمد ابن حنبل رضي الله عنه واحدا من هؤلاء الذين باعوا انفسهم لله اذ انه عرف الحق فاتبعه وعاهد نفسه أن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول للمحسن احسنت وللمسيء أسأت وأن لايخاف في الله لومة لائم ، ويشاء الله عز وجل أن يضع الامام الجليل والعالم الرباني على محك الاختبار فكان امام الصابرين وقدوة المبتلين بالرغم من تنوع محنه .

شدة العيش :

لم تؤثر شدة العيش في امامنا الصالح ولم تجعله يمديده لاحد أو يتقرب الى حاكم بل امتنع حتى عن قبول مساعدة الاخرين ورد على أحدهم قائلا : ((نحن في كفاية جزاك الله عن تصدك خيرا)) (2)، ووجه سؤاله الى صاحب الاجابة والعون : ((اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك صنه عن المسألة لغيرك)) (3)، حتى صار مضرب المثل في الزهد والورع ، قال قتيبة ابن سعيد رحمه الله : ((لولا أحمد لمات الورع)) (4)

طلب القضاء :

ان المنصب العالي محنة في شكل منحة لايدركها الا صاحب الفطرة السليمة والعقل الواعي والقلب اليقض والبصيرة الثاقبة لأن بريقه يعمي العيون ويعطل العقول لكن الامام رحمه الله لم ينبهر بالمنصب عندما عرض عليه وقال للامام الشافعي رحمه الله : ((انما اختلف إليك لطلب العلم المزهد في الدنيا فتأمرني أن آتي القضاء ؟ ولولا العلم ماكلمتك بعد اليوم)) (5)

1ـ هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني من بني شيبان بن ذهل ابن ثعلبة المروزي ثم البغدادي الحافظ الحجة صاحب المذهب الصابر على المحنة، الناصر للسنة (الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين)، الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، ط ١، بيروت : دار النفائس، 1405 هـ ـ 1983م . ص 271 . ـ الشيخ أبو بكر الجزائري ، المرجع السالف الذكر، ص329.

2 ـ 3 ـ الشيخ أبو بكر الجزائري، السلم والعلماء، ص335.

4ـ نفس المرجع السابق ص 338

5ـ نفس المرجع السابق ص 336

وأبو بكر — رضي الله عنه — من الفئة الاخيرة فلقد آل على نفسه أن ينفق كل ماله ابتغاء مرضاة ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فوضع كل ثروته بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل عبء انقاذ المستضعفين فكانت له اليد الطولى في شرائهم وعتقهم وفي القضاء على الفوارق الاجتماعية وحسبنا شاهدا على جوده وكرمه وتجرده قول الله عز وجل وثنائه عليه : ((وسيجنبها الأتقى، الذى يوتي ماله يتركى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى)) (1)

واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((اخرج الترمذى عن ابي هريرة قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : ما لاحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ، الا ابا بكر ، فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال ابي بكر)) (2)

((واخرج احمد عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مانفعني مال قط مانفعني مال ابو بكر ، فبكي ابو بكر وقال : هل انا ومالي الا لك يارسول الله ؟)) (3)

واخرج ابو داود والترمذى عن عمر بن خطاب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك مالا عندى ، قلت : اليوم أسبق ابا بكر — ان سبقته يوما فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما ابقيت لاهلك ؟ قلت : مثله ، واتى أبو بكر بكل ماعنده ، فقال : يا ابا بكر ما أبقيت لاهلك ؟ قال : ابقيت لهم الله ورسوله فقلت : لاأسبقه في شئ ابدا)) (4) قال الترمذى حسن صحيح ،

وحق له رضى الله عنه أن يرتفع مقامه عند الله ورسوله والمؤمنين فيقول صلى الله عليه وسلم : ((... أن أمن الناس علي في صحبته وما له أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن اخوة الاسلام ومودته ، لا يبقين باب الا سد الا باب ابي بكر)) (5) اخرجه الشيخان عن ابي سعيد الخدرى ،

---

1 — سورة الليل الايات (17 .. 21) 2 — الشيخ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 45 .
— الشيخ ابو بكر جابر الجزائرى، العلم والعلماء، ص 152 — حسن ابراهيم حسن، زعماء الاسلام، ص 13 . الحديث أخرجه الترمذى في السنن، ابواب المناقب باب : مناقب ابي بكر الصديق ج 5 . ص (270 . 271) . رقم الحديث 3741 وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه
3 — السيوطي ، المرجع السالف الذكر، ص 43 — الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى، المرجع السالف الذكر، ص 152 . اخرجه ابن ماجه في سننه رقم الحديث 94 . م 1 . ص 36 .
— الحديث اخرجه الامام احمد في مسنده .
4 — السيوطي، المرجع السالف الذكر، ص 45 — أبو بكر الجزائرى، نفس المرجع، ص 152 ، حسن ابراهيم، حسن المرجع السالف الذكر، ص 11 ،
الحديث اخرجه الترمذى في السنن في ابواب المناقب باب : مناقب أبى بكر الصديق ج 5 . ص 277 . رقم 3757 وقال هذا حديث حسن صحيح .
5 — السيوطي ، المرجع السالف الذكر، ص 33 . ط 1974 . أبو بكر الجزائرى، المرجع السابق ص 144 . أخرجه البخارى في صحيحه . فتح البارى، كتاب فضائل الصحابة . باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم سدوا الابواب الا باب ابي بكر ج 7 ، ص 12 . رقم الحديث 3654 . ومسلم في الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة . باب : من فضائل أبى بكر الصديق رضي الله عنه . م 2 ج 7 . ص 108 مع اختلاف بسيط في اللفظ .

المبحث الثاني

ابتلاء الامام احمد بن حنبل[1] رحمه الله

تيقنا مما سبق أن لله في كل عصر عبادا تجردوا للاسلام وصاغوا حياتهم على أساسه وسخروا انفسهم لخدمته والدفاع عنه ونفض الغبار عليه والجهاد من اجله ،وهم يدركون حق الادراك ان سبيلهم وعر،وأن نهايتهم إما السجن أو التعذيب أو الاعدام ، وكان الامام احمد ابن حنبل رضي الله عنه واحدا من هؤلاء الذين باعوا انفسهم لله اذ انه عرف الحق فاتبعه وعاهد نفسه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول للمحسن احسنت وللمسيء أسأت وأن لايخاف في الله لومة لائم ، ويشاء الله عز وجل أن يضع الامام الجليل والعالم الرباني على محك الاختبار فكان امام الصابرين وقدوة المبتلين بالرغم من تنوع محنه .

شدة العيش :

لم تؤثر شدة العيش في امامنا الصالح ولم تجعله يديده لاحد أو يتقرب الى حاكم بل امتنع حتى عن قبول مساعدة الاخرين ورد على أحدهم قائلا : ((نحن في كفاية جزاك الله عن تفقدك خيرا))[2]، ووجه سؤاله الى صاحب الاجابة والعون : ((اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك صنه عن المسألة لغيرك))[3]، حتى صار مضرب المثل في الزهد والورع ،فقال قتيبة ابن سعيد رحمه الله : ((لولا أحمد لمات الورع))[4]

منصب القضاء :

ان المنصب العالي محنة في شكل منحة لايدركها الا صاحب الفطرة السليمة والعقل الواعي والقلب اليقظ و البصيرة الثاقبة لأن بريقه يعمي العيون ويعطل العقول لكن الامام رحمه الله لم ينبهر بالمنصب عندما عرض عليه وقال للامام الشافعي رحمه الله :" انما اختلف إليك لطلب العلم المزهد في الدنيا فتأمرني أن آتي القضاء ؟ ولولا العلم ماكلمتك بعد اليوم))[5]

1- هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني من بني شيبان بن ذهل ابن ثعلبة المروزى ثم البغدادى الحافظ الحجة صاحب المذهب الصابر على المحنة ،الناصر للسنة (الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين، الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، ط ٢ ، بيروت : دار النفائس، 1403 هـ - 1983 م . ص 271. - الشيخ أبو بكر الجزائرى ،المرجع السالف الذكر، ص 329. - 2 ، 3 - الشيخ أبو بكر الجزائرى، العلم والعلماء ،ص 335.
4- نفس المرجع السابق ص 338
5- نفس المرجع السابق ص 336

لا يمكن ان يثبت امام محنتي الشدة والرخاء الامن تحرر من عبـــود يـــــة الدنيا ونزواتها وشهواتها ، والزم قلبه التقوى ، ونصب امامه الاخرة ، واتصـــل بربه واجتهد في عبادتـــه فاصبح لا يجد السعادة الا في جنب الله وفي طاعتـــه

طــــــــل الـقــــــرآن :

ان النظام الظـالم العاجز عن اقناع الشعب وكسب ثقته يسعى دائما الـــى استعمـــال القوة والسلطان لاخضاع هذا الشعب لارادته ، ويخاف من أصحـــاب العقيدة ان يصدعوا بالحق فيحاول بقدر الامكان شراء ضمائرهم واسكاتهـــم بالاغراء تارة وبالترهيب اخـرى ليـسحق الاصوات ويكم الافواه ويغمض العيون ويكبل الايادى ويشل الحركـــة فلا يقول له أحد أحسنت أو أسأت وهكذا لا يسمع للحـــق صوت . وخير مثال لنا في نظام المأمون والمعتصم (خلفاء العباسيين في عصـــره) عندما ما تبنى فكرة المعتزلة القائلة بخلق القرآن وحمل الناس على اعتنـــاقهـــا بكل وسائل القوة ، والبطش اذ أنه استعمـــل اربعة اساليب [1] لاكـراه الشعب وخاصة العلماء على تبنى الفكرة :

1 ـ حرمان العلماء والفقهاء والمحدثين المعارضين من وظائف الدولـــــة وعدم قبول شهادتهم في القضـــــاء .

2 ـ حرمان المخالفين من أعطيات الدولة من الذين يتولون التعليم والارشـاد ويتصدون للفتـــوى .

3 ـ جعـــل عقاب المخالفين والمعارضين : الضرب بالسياط ، والاسار بالاغلال والطرح بزنزانات السجون .

4 ـ الاعدام بقطع الرؤوس عن الهـــامات .

لم يثبت أمام أساليب التنكيل هذه إلا إثنين من العلماء الاجلاء هما : العالـم الشهيد : محمد بن نوح وامامنا الصابر أحمد بن حنبل اللذين لم ياخـذا بالرخصة وانما بالعـزيمة وأعلنا كلمة الحق عند سلطان جائر وتحملا في سبيلها كل مشقـــة واخص بالذكر هنا جـزء من محنة الامام أحمد بن حنبل رحمه الله بفكـــــــرة خلق القـــرآن باختصـــاره

لقد احتمل في سبيلها من صنوف العذاب والوان التنكيل مالا يستطيعـــــه احد ، ضرب بالسياط حتى تمزق جسده وسال دمه وحتى اغمي عليـــه من قســـوة الضرب ، واضمـر ضاربوه والمحـرضون عليه يعنفوا عليه حتى يموت بين يـــــدى الجلادين)) [2]

((اسند عن ابنه صالح قال : كان ابي يصلي باهل السجن وهو مقيـــد ثم دعـاه المعتصم بقيوده وعنـــده رؤساء الفتنـة الاعتزالية ، فحاور الامـــام فاجابهم ، ولما أيسوا من أن يجيبهـــم

---

1 ـ عبد العزيز البدري . الاسلام بين العلماء والحكام . المدينة المنورة : منشورات المكتبـــة العلمية لصاحبها محمد نمنكاني 1911 ص (161 . 162) بتصرف .

2 ـ ابي اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي . المنهج الاحمد في تراجم اصحـــاب الامام . بيروت : عالم الكتب 1404 هـ ـ 1984 م . ج 1 . ص (23 . 24) بتصـــرف .

في خلق القرآن اغروا المعتصم به وقالوا : إن تركتــه قيل : أنك تركت مذهــب المأمون وسخطت قوله ، فهاجـه ذلك على ضربه ، ثم دعا بالعقابين والسياط ضرب حتى اغمي عليه . قال : صالح : ثم خلي عنـه فصار الى منزله . وكان مكثـه في السجن منذ أخذ وحمل وخلي عنـه ثمانية وعشرين شهرا !! (1)

جهر الامام أحمد رحمه الله بكلمة الحق وخالف بذلك النظام وادمغ الباطل بحججه وبراهينه الساطعة وأعلى كلمة الله ولقنهم درسا في الثبات والصمود انه لم يبدل رايه ولم يغير موقفه وظل يردد : ((يا أمير المؤمنين اعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسول الله أقول به ما أراده)) (2)

وهكذا لم يلن أمام تهديد وتعذيب وبطش الحاكم الذي يريد إقامة سلطانـه على الجماجم والأشلاء ، وكيف يلين ويضعف وهو قدوة زمانه إن زل ، زل الناس وظلوا معتقدين أن ذلك هو الصواب ، أليس هو القائل : اذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل متى يتبين الحق ؟ وكيف يلين وقد ذكر في بداية ابتلائه : يا هذا أنت اليوم على رأس الناس يقتدون بك فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله ، وإن انت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك ميت ، ولا بد من الموت فاتق الله ولا تجبهم الى شيء ، فجعل أحمد يبكي ويقول ماشاء الله ماشاء الله)) (3)

لذا ((يتعين أحيانا طريق العزيمة حين يكون الداعية ذا مركز خطير في مجتمعه أو بمثابة القدوة يعرف الاسلام من خلاله . لان تراجعه يضعف ثقة الناس بهذه العقيدة ويزلزل الضعفاء فيتراجعون خوفا وخورا ، ولا شيء أشد أثرا في يقين الناس وفي نفوسهم من ثبات الرجال على عقائدهم)) (4)

لذلك حق على العالم والقائد والقدوة أن يثبت عند الشدائد والملمات وأن يصرح بالحق ويظهره لتكون محنته وابتلاءه طريقا لنشر الدين والتمسك بـه وقودا يتزود بـه من اهتدى بهديه وتطلع الى التأسي به وحذو حذوه .

ان علم الامام ومعرفته بطبيعة الطريق ، وايمانه بأن الابتلاء سنة من سنن الله أعانه على الصمود والتحدي ، ومكنه من مجاوزة كل الصعاب والعقبات بنجاح وجعله يرد على من ذكره بأحاديث التقية : ((وكيف تصنعون بحديث خباب : إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم

1- الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي ، المرجع السالف الذكر ، ص276 .
2- عبد العزيز البدري ، المرجع السالف الذكر ، ص 168 .
3- الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي ، المرجع السالف الذكر ، ص276 .
- عبد العزيز البدري ، المرجع السالف الذكر ، ص164 .
- ابن اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي ، المرجع السالف الذكر ص82
4- الشيخ منير محمد الغضبان ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ، ج 1 ، ص61 .

بالمنشار لا يصده ذلك عن دينه)) (1) ((إني عرضت نفسي على السوط فصبرت وعرضت نفسي على السيف فصبرت ، وعرضت نفسي على النار فلم أصبر)) (2)
ويقول لمن ساله عن صبره لما ضرب في الامتحان : ((لما قدمت تهيبته ثم ذكرت بلية أيوب عليه السلام ، فسهل علي ولم أجد له ماكنت أتخوفه والحمد لله)) (3)

كما أعانه على التحمل ساعات الشدة والضيق : الصلاة والصوم ومناجاة ربه مطبقا بذلك قول الله : ((يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر و الصلاة إنّ اللّه مع الصّابرين)) (4)

وان صبر الامام على الطاعة ، وعن المعصية ، وعلى المحن و الابتلاءات ، ورباطة جأشه وحسن يقينه وثقته بربه ثمرة من ثمار التربية الربانية ، ونتيجة من نتائج الاعداد السليم المستمد من هدى الكتاب والسنة ، ويجدر بكل داعية ومصلح ان يقف عندها مليا ويستشعر عظمة شخصية الامام الصابر ، وقوة الايمان الذى غمر قلبه ليدرك سر عظمة الاسلام وسر القرآن و الاتصال بالرحمن وكيف تتجسد مبادئ الاسلام في حياة الفرد .

1- الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي : الفضل المبين ص277 .
- عبد العزيز البدري ، الاسلام بين العلماء و الحكام ، ص 166 .
2- ابو العرب محمد بن احمد تميم التميمي ، كتاب المحن ، تحقيق يحي وهيب الجبوري ط 1 ، بيروت لبنان : دار الغرب الاسلامي ، 1403 هـ - 1983م .
ص441
3- نفس المرجع السابق ص440
4- سورة البقرة الاية 153

المبحث الثاني

ابتلاء الامام الشهيد حسن البنا (1) رحمه الله

سقطت الخلافة الاسلامية على أيدى الصليبية العالمية المتحالفة مع أعداء الاسلام وعملائهم وتحطمت القلعة التي تجمع المسلمين تحت راية ((لااله الا الله محمدا رسول الله)) وتمزق العالم الاسلامي إلى دويلات ضعيفة متفرقة ، ووقع تحت نير الاستعمار ، وسادت فيه تيارات الالحاد والفساد والهدم ، وعمه الانحطاط والفوضى والذل واليأس ، وهكذا أصبح مطمعا لكل ظالم أو طامع ، في هذا الظلام الحالك والليل البهيم ظهر سراج مشرق لينير للمسلمين سبيلهم وينقذهم مما هم فيه . ظهر عظيم من عظماء الاسلام هيأته القدرة الالهية ليغير مجرى الأحداث ببعث الروح في الأمة الاسلامية ذلكم هو الامام الشهيد حسن البنا مصلح ومجدد القرن الرابع عشر .

ان الامام الشهيد حسن البنا لم يرض بالواقع المر والوضع المتردى للأمة الاسلامية ورفض تسلط الاحتلال ووحشيته فأخذ يشخص الداء ليعرف الدواء ليالي طويلة لعله يصل إلى مراده وها هو يصف حاله : ((يعلم الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة ، وما وصلت اليه في مختلف مظاهر حياتها ونحلل العلل والأدواء . ونفكر في العلاج وحسم الداء ويفيض بنا التأثر لما وصلنا اليه إلى حد البكاء))[2] . واخيرا وضع يده على مكمن العلة التي هي ابتعاد المسلمين عن منهج الله ، والدواء الذى هو العودة الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فدعا الناس الى الاسلام الصحيح — الذى آمن به دعوة وحركة ونظاما — وتطبيق شرع الله في كل نواحي الحياة ، وحثهم على تحرير الوطن الاسلامي من سلطان كل أجنبي ، وملأ قلوبهم بالأمل ونفوسهم بالعزة والكرامة فالتف حوله المسلمون واستطاع بذلك ايجاد جيل مؤمن بأن ((الاسلام دين شامل يتناول مظاهر الحياة جميعها فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة أو كسب

---

1 — هو حسن أحمد عبد الرحمن البنا ، لمعرفة نبذة عن حياته ودعوته انظر :
— الامام الشهيد حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية . ط4 بيروت : المكتب الاسلامي للطباعة والنشر 1399 هـ — 1979م .
— فتحي يكن الموسوعة الحركية ، اعداد وجمع وتحقيق مؤسسة البحوث والمشاريع الاسلامية . ط 2 . عمان : دار البشير 1403 هـ — 1983 م . ج 1 . ص (59 — 63)
— الاخوان المسلمون في سطور ، بدون ذكر الكاتب والناشر 1398 هـ — 1978م ص (59 . 63) — ريتشارد ب . ميشل ، الاخوان المسلمون ، ترجمة عبد السلام رضوان تقديم : صلاح عيسى . ط 1 . بيروت ، لبنان : دار القلم 1978 . ص (81 — 125)
— أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله ، الفكر التربوى وتطبيقاته لدى جماعة الاخوان المسلمين . ط 1 . جامعة الازهر : مكتبة وهبة ، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي 1404 هـ — 1984 م ص (59 - 72) .

2 — فتحي يكن المرجع السالف الذكر . ص 660 — ريتشارد ب . ميشل . المرجع السالف الذكر ص 86 — أحمد ربيع المرجع السالف الذكر ص 60 .

وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء)) [1] وهكذا أنشأ كبرى الحركات الاسلامية الحديثة وحدد أهدافها [2] ، وجعل شعارها ((الله غايتنا)) ، "الرسول قدوتنا"، "القرآن دستورنا"، "والجهاد سبيلنا" و"الموت في سبيل الله أسمى أمانينا" — وكون جماعة الاخوان المسلمين التي هزت تاريخ العالم الاسلامي ولا زال صداها وتأثيرها الى اليوم .

ومع هذا كان الامام الشهيد دائم الترقب لما تخبئه الأيام من فتن ومحن لأنه على يقين بأن الطريق الذى سلكه هو طريق الأنبياء والرسل وأصحاب الدعوات ولا بد له من ابتلاء . لذا نجده دائم التذكير لأصحابه بسنة الله في الدعوات ، وبما ستتعرض له الجماعة من الابتلاءات تهيأة لهم لقبول المحن والصبر والثبات فقال : ((أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لازالت مجهولة عند كثير من الناس ، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقي منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية وستجدون أمامكم كثيرا من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات ، وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل الدعوات . أما الآن فلا زلتم مجهولين ولازلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد ، سيقف جهل الشعب بحقيقة الاسلام عقبة في طريقكم وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للاسلام وينكر عليكم جهادكم في سبيله ، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان ، وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء ، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم .

وسيتذرع الغاضبون بكل طريق لمناهضتكم واطفاء نور دعوتكم ، وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة والاخلاق الضعيفة والايدى الممتدة اليهم بالسؤال واليكم بالاساءة والعدوان .

وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات ، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة ، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة ، معتمدين على قوتهم وسلطانهم ، ومعتمدين بأموالهم ونفوذهم : ((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)) التوبة . وستدخلون بذلك ولا شك في دور التجربة ، فتسجنون وتعتقلون ، وتنقلون وتشردون ، وتصادر مصالحكم وتعطل اعمالكم وتفتش بيوتكم ، وقد يطول بكم مدى الامتحان ((أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)) العنكبوت ، ولكن الله وعدكم من بعد ذلك نصرة المجاهدين ومثابة العاملين المحسنين : يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . . فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين))

1- مصطفى العدوى ، عمر التلمساني بين حماس الشباب وحكمة الشيوخ : ط 1 كرداسة : دار الاقصى 1407 هـ — 1987 م .

2- لمعرفة الاهداف وشرحها انظر : شرح عبد المنعم احمد تعليب : شرح رسالة التعليم للامام الشهيد حسن البنا . باتنة ، الجزائر : دار الشهاب للطباعة والنشر ، بدون ذكر التاريخ ص 9

فهل انتم مصرون على أن تكونوا أنصـــار الله)) (1)

وصدق تنبؤ الامام الشهيد رحمـه الله صاحب الفهم السليم والتربيـة الصحيحة والجهاد المستمر ،صاحب النفس الصافية والقلب النقي والعقل الذكي والعزيمـة الفولاذية ،وتعرضت الجماعة للمحن سواء من الداخل أو الخارج :

1 — الداخـــــل :

ان ماتعانيه الدعوات من الخارج تتحمله وتزداد به قوة وتماسكا أما ماينالها من فتن داخل الصف فهو عليها شديد والخروج منهـا صعب لأنها الخطـر المحطم الذى يؤدى بها ويتركهـا أثرا بعد عين . وعلى هذا نجد كل صاحب دعوة يحرص على عدم التعرض لها لكن سنة الله جارية رغم شدة الحرص .
وفي هذا الموضوع نذكر فتنتين فقط من الفتن التي عانى منها الامام الشهيـد رحمـه الله :

1 ـ شهد انشقاقا داخل صفوف الجماعة ، وكون المنشقون جماعـة شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم)) ويذكر المنشقون أن الذى دفعهـم الى هذا هو اختلافهـم (2) مع الأستاذ البنا (3) في الأسلوب إذ أنهـم يروا استخدام القوة ومواجهـة النظام الحاكم وتعجل مواقف قبل أن ترسي الدعوة قواعدها وأركانها وتتعمق جذورها ،وهذا هو الغباء والحماس والتهـور الذى لا ينبغي لدعوة جديدة أن تقع فيه حتى لاتكون عرضة للزوال واستئصـال شأفتها ((فالحماس مع السطحية في فهم كتاب الله وتاريخ الدعوة الاسلاميـة والخبرة بواقع الحياة أمـر من الخطورة بمكـان ، فان هذه السطحيـة تجعل من الحماس منحدرا إلى الحضيض وإن خيل لصاحبه انه مرتق فـي السمـاء)) (4) ! لقد كانت هذه الفتنـة (5) شديدة على نفس الامـام الشهـيد لكنه لم يلن رغم الخسائر التي لحقت الجماعة وكتب خطابا ألقـاه في المؤتمر الخامس تحت عنوان ((مصارحـة)) قال فيه : ((أيهـا الاخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم : اسمعوها مني كلمـة عاليـة مدوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع أن طريقكـم هذا مرسومـة خطواته موضوعـة حدوده ولست مخالفا هذه الحدود التـي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول ،أجل قد تكون طريقا طويلـة ولكن ليس هناك غيرها ، إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمـل الدائب ،فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبـل اوانهـا

---

1 ـ الامام الشهيد حسن البنا ،مجموعة الرسائل ،ط 2.بيروت: المؤسسة الاسلاميـة 1401 هـ ـ 1981 . ص (108 ـ 109)
2 ـ انظر أسباب الخلاف والرد عليها ، عباس السيسي ،حسن البنا مواقف فـي الدعوة والتربية،الاسكندرية ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ،بـدون ذكر التاريخ. ص(149 ـ 162) .
3 ـ أحمد ربيع ،المرجع السالف الذكر. ص68 .
4 ـ محمود عبد الحليم ،الاخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ .الاسكندريـة دار الدعوة 1398 هـ ـ 1978م ج 1 ص210

فلست معه في ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة الى غيرها من الدعوات ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره في ذلك على الله ،ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين ،اما النصر والسيادة ،واما الشهادة والسعادة)) (1) .

ب — في مرحلة حرجة من مراحل الدعوة وفي وقت كان الجميع يتربص شرا بالاخوان أثار أعز أخ للامام وصديق طفولته الأستاذ أحمد السكرى الوكيل العام للاخوان الفتنة (2) حاول الامام الشهيد اطفاءها بدون احداث ضجة أو المس بأخيه بالرغم من ظهور معالم الافتتان بالمنصب ،رغم عقله الناضج وغيرته على الاسلام — ومظاهر التمرد والاستعلاء والاستخفاف بالقيادة التي لابد أن يدين لها بالولاء والطاعة — واتهامها بانها هضمت حقه ولم تقدره قدره ولم توله المنصب الذى يستحق . ولم يكتف بهذا بل اتجه الى صحف خصوم الاخوان وشن عليهم حملة شعواء من التهم الباطلة . حزن الامام أشد الحزن لكنه ظل صامدا شامخا يدعو الى الله فدعوته أعز عليه وأحب اليه من كل شئ وهو مستعد دائما للتضحية بالروح والمال والولد والوقت والجهد والدم من اجلها .

فعلى الداعية الذى يسعي لرضا الله والفوز بفردوسه أن :

1 — يتنزه عن حب المسؤولية أو المنصب لأنها تكليف وليست تشريف يحاسب عليها الله أشد الحساب إن لم تؤدى كما أمر .

2 — لا يعهد لنفسه حق اختيار المناصب بل يتركها للقيادة ،فالأصل والأصح أن القيادة لها أن تعطي المسؤولية لمن شاءت لأنها أعلم بالأصلح والأكفأ وعلى الجندية الطاعة عن رضا وثقة .

3 — يحذر من الوقوع في فخ المتربصين بالحركة حتى لا يستخدم أداة هدم لدعوته ، فالحكيم العاقل يعلم بأن أعداء الدعوة يغتنمون وقوع أى خلاف في الجماعة للايقاع بين القائد وأتباعه لتحقيق أغراضهم الخسيسة .

4 — يحسن اختيار أتباعه ويدقق في اختيارهم قبل انضمامهم وليحذر من صنفين ولا يلحقهما بالدعوة أبدا : الصنف المتحمس المتعجل المتعصب لرأيه حتى لا يعرض الدعوة للهلاك وألا يجعل من الحماس مقياس لاختيار أنصاره ، والصنف (3) المحب للمسؤولية والمتطلع لمناصب الدعوة ليس عن طريق العمل والاجتهاد وانما عن طريق الدعة والراحة أو سبيل الفتن

---

1 — الامام الشهيد ،مجموعة الرسائل ص 127 .

2 — انظر تفاصيل الفتنة : محمود عبد الحليم المرجع السالف الذكر ص(456 . 475) .
— عباس السيسي ، قافلة الاخوان المسلمين ص(117 . 129) .
— ريتشارد ب . ميتشل ، الاخوان المسلمون ص(149 . 152) .

3 — انظر مثال آخر لهذا الصنف : حسن البنا . مذكرات الدعوة والداعية ص(113 . 125) .

والتآمر وان لم يصل الى مآربه تمرد على الجماعة وسدد للدعوة التهم وألصق بها الأباطيل لأنه فقد سمو الروح ومحنى الطاعة .

المخاطر :

تأكدنا مما سبق أن دعوة الله لا محالة ستجد من يقف في طريقها ويعمل للقضاء عليها وكذلك كان نصيب دعوة الاخوان المسلمين أمل الامة الاسلامية وموضع ثقتها ، فقد كشفت الأحداث عن قوة هذه الحركة الاسلامية وخاصة بعد حرب فلسطين التي شهدت بطولات شباب الاخوان ضد الصهاينة فادرك أعداء الله والاسلام خطرها على كيانهم ، وتيقنوا بأنها عقبة كئود في طريق تنفيذ مخططاتهم ومؤامراتهم ، وكيف لا وهي تبصر الغافلين ، وتوقظ النائمين ، وتحرك الهمم المتقاعسة ، وتحث على تحرير الوطن الاسلامي كله من الاستعمار ، وتعمل على احياء المسلمين وبناء الامة من جديد واعادة مجد الاسلام ونهضته باعادة الخلافة الاسلامية .

اجتمعت على هذه الجماعة الصليبية الحاقدة ، والشيوعية الملحدة واليهودية الماكرة ، والحكومات العميلة للاستعمار للتآمر عليها فراحوا يصورون دعوتها بصور شتى لتشويهها وشاء الله الا أن تظهر حقيقتها ، ويعملون على الكيد لافنائها لكن قدر الله أن تحيا إلى يومنا هذا ، وأن لا يزيدها استعار المعارك الا قوة وبروزا .

ان حديثنا عن محنة الدعوة يعني حديثنا عن محنة الداعية لانه لا يمكن الفصل بينهما فالدعوة هي محور حياة الداعية بل هي حياته كلها وملء قلبه وعقله فان تحرك فلها وان سكن فلها ، وان أوذى فمن أجلها وان سفك دمه فلإروائها . . . . وفي هذا المقام سنذكر ان شاء الله بعض ماتعرض له الامام الشهيد وجماعته من طرف المعارضين والأعداء :

حرب الاشاعات :

اتهم الامام المرشد بأنه : شيوعي (1) متصل بموسكو ويستمد المال من هناك (2) ، عميل امريكي انجليزي (3) ، عميل للقصر الملكي (4) ، وفدى يعمل ضد النظام (5) ، يقود حركة مضادة للحركة الوطنية (6) ، صنيعة الاقطاع (7) ، يقول أعبدوني من دون الله (8) ، يعمل وجماعته لخدمة الرأسمالية والمستغلين ، ادوات للامبرياليين ، أعداء للطبقة العاملة ، التجسس على

1- عمر التلمساني ، الملهم الموهوب استاذ الجيل حسن أحمد عبد الرحمن البنا ، دار الانصار بدون ذكر التاريخ ص132

2- حسن البناء ، مذكرات الدعوة والداعية ، ص80 - عباسي السيسي ، حسن البنا مواقف الدعوة والتربية ، ص 124 .

3- 4 - عمر التلمساني ، المرجع السالف الذكر ص33 .

5- حسن البنا ، مذكرات الدعوة و الداعية ، ص85 - عباس السيسي ، حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية ، ص 124 .

6- ريتشارد ، ب . ميتشل ، الاخوان المسلمون ص142 .

7- عمر التلمساني ، المرجع السالف الذكر ص 33 .

8- حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ص(110 ، 111) - عباس السيسي ، حسن البنا ، مواقف في الدعوة والتربية ص(125 ، 128) .

العمـال،(1) ،شباب طائش ولا يؤمن على مشروع ،نفعيون مختلسون ياكلون أموال الناس بالباطل(2) ،رجعي يريد الهيمنة على البلاد(3). فانفضح كذبهم وأثبتت الأيام بأن الشيوعية والرأسمالية والقصر والأغنياء والنظام لم يحاربوا أحدا كحربهم له ،وبأنه ليس نفعيا وكيف يكون كذلك وهو داعية فوق المساومات وأكبر دليل على ذلك رفضه(4) لطلب السفارة البريطانية لالقاء محاضرة عن الديمقراطية حسب مفهومها لا فهمه وتصوره هو في المذياع مقابل خمسة آلاف جنيهات . وأنه لم يدع يوما الألوهية وكيف يدعيها من يعيش لله ،وينهي جنده عن تقديس الأشخاص ويعلمهم أن التبعية لا تكون للأشخاص بل للمبادئ ،وكيف يعمل ضد الحركة الوطنية من جعل من أهداف حركته تحرير الوطن الاسلامي من سلطان أجنبي . وهناك اشاعات كثيرة أخرى لا يتسع المقام لذكرها ،المهم أنها لم تؤثر في سير الامام الشهيد بل ظل يعمل بالقاعدة التي من واجب كل داعية الى الله الايمان والعمل بها وهي :
((أن الاشاعة والأكاذيب لا يقضى عليها بالرد ولا باشاعة مثلها ولكن يقضى عليها بعمل ايجابي نافع يستلفت الانظار ويستنطق الألسنة بالقول فتحول الاشاعة الجديدة وهي حق مكان الاشاعة القديمة وهي باطل))(5)

الأذى :

دخلت الجماعة المحنة من بابها الواسع فتعرضت لكثير من المواقف والاحداث المتتالية : صادرت حكومة (حسين سرى) سنة 1941 صحف الجماعة (التعارف) (الشعاع) (والمنار) ومنعت اجتماعاتهم وأغلقت مطبعتهم(6)

صدر قرار عسكرى بنقل الاستاذ البنا من القاهرة إلى قنا ، والا اعتقل ـ لكنه أعيد الى القاهرة تحت ضغط مجلس النواب(7).

رشح امامنا نفسه للانتخاب(8) مرتين فثارت ثائرة المحتلين . المرة الأولى سنة 1942 فطلب منه مصطفى النحاس رئيس الحكومة تحت التهديد البريطاني التنازل مقابل السماح للجماعة بالعمل وحتى لا يعرض وطنه للاخطار فتنازل وفي المرة الثانية سنة 1944 زورت سلطات الاحتلال الانتخاب نسقط .

---

1 ـ ريتشارد . ب . ميتشل ،الاخوان المسلمون،ص142 .
2 ـ حسن البنا ،مذكرات الدعوة والداعية ، ص80 .
3 ـ نفس المرجع السابق ص364 ـ 4 ـ عمر التلمساني،الملهم الموهوب،ص17 .
5 ـ حسن البنا مذكرات الدعوة والداعية ،ص82 .
6 ـ أحمد ربيع،الفكر التربوى،ص[illegible] ـ جابر رزق،المؤامرة على الاسلام مستمرة،ط1. القاهرة : دار الانصار 1398 هـ ـ 1978 م ،ص69 .
7 ـ عباس السيسي ،حسن البنا ومواقف في الدعوة والتربية ص63 ـ أحمد ربيع،المرجع السالف الذكر ص69. ـ ريتشارد ،ب، ميتشل ،المرجع السالف الذكر،ص107 .
8 ـ عمر التلمساني ،ذكريات لامذكرات ، القاهرة : دار الاعتصام ،بدون ذكر التاريخ ص79. ـ عباس السيسي . حسن البنا ومواقف في الدعوة والتربية ص(208 ـ 218) ـ أحمد ربيع،المرجع السالف الذكر، ص69. ـ جابر رزق ،المرجع السالف الذكر ص(8 ، 9) ـ عباس السيسي ، قافلة الإخوان ص(71 ، 73) ـ عمر التلمساني ،الملهم الموهوب ،ص(35 ، 36).

اعتقل عدة مرات منها : سنة 1941 اثر انتهاء أحد الاجتماعات الجماهيرية المناهضة لبريطانيا ثم تم الافراج عنه فيما بعد [1] ، سنة 1944 بتهمة الاشتراك في الحادث (اغتيال احمد ماهر) ولكن افرج عنه فيما بعد ،بعداعتراف القاتل بانتمائه للحزب الوطني [2] ،سنة 1948 تم احتجاز حسن البنا الا أنه أطلق سراحه لعدم توافر الأدلة [3] (أدلة مشاركته في اغتيال القاضي أحمد الخازندار بك ، وفي 28 نوفمبر من نفس السنة التي عليه القبض على أساس اتهامه بالمشاركة في حادث التخريب [4] ثم أطلق سراحه بعد ذلك .

صدر قرار [5] عسكري بحل [6] جماعة الاخوان وشعبها أينما وجدت ويغلق الأماكن المخصصة لنشاطها ويضبط جميع الاوراق والوثائق و المجلات والمطبوعات والاموال وكافة الأشياء المملوكة للجماعة ،وايداع الاخوان في السجون باستثناء حسن البناء واعتقال مجاهديهم البواسل في فلسطين واعادتهم الى مصر في معتقل الهاكستب بتهم [7] واهية لاأصل لها ولا أساس كالارهاب و العنف .

لم تؤثر سلسلة المحن في امامنا رحمه الله ولم تثنه عن القيام بواجبه ومجاهدة أعداء الاسلام بل راح يؤكد بأن مايحدث لن يوقف الدعوة ولن يرهب رجالها لان أقل مايبذل في سبيلها هو الدم والمال .

ليت أعداء الله الذين أقض الامام مضاجعهم وأجج نار حقدهم بجهاده اكتفوا بتعطيل نشاط الجماعة واعتقال رجالها ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم بل تعداها الى ارتكاب أبشع جريمة وأعظم خيانة باغتيال [8] الامام الشهيد منقذ الأمة في 12 فبراير 1949م-14 ربيع الثاني 1368 هـ بعد أن خيبهم الله في المحاولات الاولى [9] ؛وذلك لتقديمه هدية للملك الطاغية في عيد ميلاده

1ـ ريتشارد ب.ميتشل،الاخوان المسلمون.ص109 ـ عباس السيسي،قافلة الاخوان. ص(68 ـ 105) ـ 2 ـ أحمد ربيع،الفكر التربوي ص69 .
ـ ريتشارد ب.ميتشل المرجع السالف الذكر ص124 .
3ـ ريتشارد ب.ميتشل المرجع السالف الذكر ص164 ـ 4ـ نفس المرجع السابق ص67
5ـ صلاح شادي، الشهيد (حسن البنا وسيد قطب) .باتنة : دار الشهاب ص122
ـ ريتشارد ب.ميتشل،المرجع السالف الذكر ص169
ـ احمد ربيع المرجع،السالف الذكر ص71. ـ جابر رزق ، المؤامرة على الاسلام مستمرة ص13 ـ جابر رزق ، الأسرار الحقيقية لاغتيال الامام الشهيد . ط 2.الاسكندرية : دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.1404 هـ ـ 1984م .ص 28 .
ـ عباس السيسي ـ قافلة الاخوان ص(226 ـ 229)
ـ محمد قطب ، واقعنا المعاصر . ط 2.جدة ، المملكة العربية السعودية : مؤسسة المدينة للصحافة والنشر 1408 هـ ـ 1987م .ص39 .
6ـ انظر أسباب الحل الحقيقية : ريتشارد ب ـ ميتشل ، المرجع السالف الذكر ص175 ـ ،جابر رزق،الاسرار الحقيقية لاغتيال الامام الشهيد ص38
7ـ انظر التهم ريتشارد ب . ميتشل،المرجع السالف الذكر ص(169 ـ 170) .
8ـ لمعرفة تفاصيل عملية الاغتيال و الاسرار الحقيقية لها ومن وراءها وكيف نفذت انظر عباس السيسي ،حسن البنا ومواقف في الدعوة والتربية ص(293 ـ 303) .جابر رزق ،المؤامرة على "الاسلام مستمرة. ص(23 ـ 71) .
ـ جابر رزق ، الاسرار الحقيقية لاغتيال الامام الشهيد ص(47 ـ 76)
9ـ جابر رزق المؤامرة على الاسلام مستمرة .ص(50 ـ 54) .جابر رزق،الاسرار الحقيقية لاغتيال الامام الشهيد(70 ـ 72) .

حيث اطلق عليه الرصاص جهرة وترك ينزف بدون اسعاف الى أن لقي ربه راضيا مرضيا - ومنع الصلاة عليه وتلاوة القرآن والبكاء عليه والقبض على المعزين وحراسة المقابر بالجنود المسلحة .

لقد أدى الامام الشهيد مؤسس جماعة الاخوان ومرشدها وقائدها ما عليه اذ أنه حمل مسؤولية تبليغ الرسالة واعادة سيادة الامة ، وأقام البناء الضخم لبنة لبنة بالعمل الدائب المستمر ، وتحمل في سبيل ذلك المحن والشدائد والتضحيات التي توجها بدمه الزكي كمهر للنصر والتمكين ، وهكذا أحسن صناعة الموتة الطاهرة وحقق أسمى أمنية له : الشهادة .

وأخيرا يمكن القول بان محنة الامام لم تكن محنته لوحده ولا محنة جماعته لوحدها بل كانت محنة الامة الاسلامية باسرها ، وبأن المؤامرة لم تكن على شخصه وانما كانت على الاسلام فخذوا حذركم ياشباب الاسلام واعتصموا بحبل الله ، واعتبروا يا أولي الالباب لان هذه المؤامرة ستظل مستمرة الى أن يشاء الله ...

المبحث الرابع

ابتلاء الامام عبد الحميد بن باديس (1) رحمه الله

إن الصليبية الحاقدة لاتضيع أى فرصة كانت للقضاء على الاسلام فهي لا تفتأ تحاربه حتى في معاقله،وهذا ما حدث فعلا بالجزائر ،فلقد عاثت فرنسا في أرضها الطهور فسادا وأنهكت شعبها الضعيف ظلما تسلبت ونهبت ، اغتصبت الارض وشردت الاهل ،حطمت المدارس وحولت المساجد الى كنائس وفنادق ودور تجارة ،واضطهدت العلماء وأخرستهم وبثت عملاءها من الطرائق لتبعد الشعب عن مصدر قوته وتمحو مقومات شخصيته ، وضربت عليه بيد من حديد حتى فتك به الثالوث الخطير : المرض والجهل والفقر فخارت العزائم واستولى اليأس ،عند ئذ اعتقدت فرنسا أنها قد انتصرت ،وقد استطاعت ان تجعل من الجزائرى فرنسيا وأعلنت انتصار المسيحية على الاسلام بعد مرور مائة عام على وجودها فوق أرض الجزائر بلسان أحد أبنائها البررة : ((ان عهد الهلال قد عبر وان عهد الصليب قد بدأ وانه سيستمر الى الأبد)) (2) ، الا أن أفراح فرنسا لم تدم طويلا فقد ظهر من ينغص عليها صفوها ليقول لها أنها لم تنتصر بعد ، وأن الجزائر ماتزال جزائرية مسلمة ، كان ذاك هو الشيخ عبد الحميد ابن باديس المصلح العربي ، المؤمن الباني الذى استطاع أن يعبر عن آمال الشعب والامة خلال جمعيته الاصلاحية ((جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)) التي أسسها سنة 1931 والتي كان شعارها (الاسلام ديننا) و (العربية لغتنا) و (الجزائر وطننا) . فلقد أيقن الشيخ أنه لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها،لذا أخذ يعمل ليل نهار يكد ويجد ويضحى من اجل تحقيق أهدافه ، يعظ ويرشد ، يربي ويعلم ، يطهر الاسلام من الشوائب ويحرر العقول من الخرفات والنفوس من الجمود،يصنع رجالا قرآنيين إذ أنه يرى أن ((لانجاة لنا إلا بالرجوع الى القرآن: الى عمله وهديه وبناء العقائد والاحكام والاداب عليه)) (3)

ماكان لمثل هذا العظيم أن يهنأ بعمله وينعم بجهاده وهو يهدد مستقبل فرنسا وعملائها ومحبيها في الجزائر،خاصة وهو يؤمن بأن : ((سجون واتهامات ونكبات ثلاث لاتبنى الحياة الا عليها ولا تشاد الصروح السامقة للعلم والفضيلة والمدنية الا على أساسها)) (4) .

1ــ هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس. الد/ عمار طالبي. ابن باديس حياته واثاره ،ط 1 ،دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر، 1388 هـ ــ 1968 م ج 1 ص 72

2ــ الاستاذ بو الصفصاف عبد الكريم ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ،ط 1 ،قسنطينة الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر، 1401 هـ ــ 1981 م . ص 88

3ــ الاستاذ ابو جرة سلطاني ،خديجات في العمل الاسلامي كما رسمها ابن باديس، ط 1 ،قسنطينة،الجزائر : دار البعث للطباعة والنشر 1404 هـ ــ 1983 م، ص 95

4ــ من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ،آثار الامام عبد الحميد بن باديس ،ط 1،

فلقد تعرض لكل ما تعرض له أصحاب الدعوات من قبل : مني رائد النهضة الاسلامية وقائد الحركة الاصلاحية ومؤسسها بالجزائر بمن يحاربه بالافك ويشيع عليه وعلى جمعيته الاشاعات الباطلة فقد قالوا بان الجمعية عداوية (1)، وهابية (2)، دستورية ،كومنيست ،بولشفيك (3) ،تنكر البعث والنشور (4)، تنشر الشحناء (5)، مثيرة للاحقاد والتحزبات (6)، وبانه طرقي ،متعامل للاستعمار ،رجعي مستغل لسلطة والده (7) ،ينكر الأولياء وضد الصالحين ، جاء بدين جديد، وعمل بالتعامل مع الانجليز لافساد الدين (8)، يريد أن يلقي بالجزائر في ميدان النيران والدماء (9)، لم تتوقف التهم عند الامام بل تحدت الى عرض زوجته الطاهرة حتى اضطر الى تطليقها حفاظا على دعوته (10) ... وما الى ذلك من أشكال الأباطيل التي ألصقوها به لصد الشعب عنه . فانفضح كذبهم وتبت أن الرجل القرآني لم يكن كما وصفوه ،وإنما كان داعية إلى التمسك بالكتاب والسنة، وطرح البدع والضلالات ونشر العلم الصحيح المنافي للجهل ،والدجل والمتعيشين عليه ،وكان حربا على الاستعمار الظالم وعملائه ، ولم يكن يسعى الى الفتنة واثارة الاحقاد والتحزبات، ولكنه كان يريد أن يقيم مجتمعا قرآنيا قويا حرا، وينشئ جيلا فيه كل مقومات الشخصية الاسلامية الجزائرية لطرد الاستعمار وتحرير البلاد، ولا يمكن له تحقيق ذلك الا بتناسي الخصومات وجمع الكلمة والوحدة - أساس القوة — التي افتقدها الدعاة ودول العالم الاسلامي والتي لو أدركوا حقيقتها وقيمتها لحرروا القدس ولاسترجعوا كل الأراضي الاسلامية المغتصبة ولسادوا وقادوا الأمم واسترجعوا المجد الضائع .

عمل أعداؤه على اقلاقه ومنعه (من التدريس) وأطفأوا عليه الضوء وهو في الدرس — في المسجد الكبير — فقرر السفر للحج الى بيت الله الحرام . (11)

منع من التدريس في الجامع الأخضر وطلبت منه رخصة بعد عشرين سنة من التعليم (12) لانه جعل من المسجد منبع علم وتبصير وأرادوه معقل جهل وتخدير .

---

1 — د . عمار طالبي ، المرجع السالف الذكر ج 3، ص 27 .
2 — نفس المرجع السابق ص 28، ص 299. — من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية المرجع السالف الذكر ج 4، ص 271 .
3 — من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، المرجع السالف الذكر ج 4، ص 271 .
4 — نفس المرجع السابق ج 4، ص 261. 5 — د . عمار طالبي ، المرجع السالف الذكر ج 3، ص 291. 6 — نفس المرجع السابق ج 3، ص 288 .
7 — أبو جرة سلطاني ، المرجع السالف الذكر ص 23 .
8 — محادثة شخصية مع الشيخ أحمد حماني رئيس المجلس الاسلامي الأعلى ، ربيع الاول 1408 هـ — 30 أكتوبر 1988، الجزائر .
9 — د . عمار طالبي ، المرجع السالف الذكر ج 3، ص 436 .
10 — احمد حماني ، محادثة شخصية 11 — احمد حماني، محادثة شخصية - د . عمار طالبي، المرجع السالف الذكر ج 1، ص 80.
12 — د . عمار طالبي، المرجع السالف الذكر ج 3، ص 190 .

عطل الاستعمار صحف الجمعية تعطيلا متواليا : المنتقد (1) ، السنة النبوية الشريعة المحمدية ، الصراط المستقيم وقرن تعطيل الثالثة بمنع الجمعية من اصدار أي صحيفة (2) لمنع حرية القول واسكات كلمة الحق. والغريب أن هذا هو دائما عمل مدعي الديمقراطية والحرية عبر التاريخ .

لما تأكد الاستعمار من صمود الدعاة واصرارهم على مواصلة العمل رغم الاضطهاد والمطاردة والتهديد والوعيد ، رغم منعهم من الوعظ والارشاد في المساجد ، وغلق الكتاتيب القرآنية والمدارس العربية ومنع النوادي والامتناع عن اعطاء الرخص أصدر ((قانون 8 مارس 1938 (كل من يعلم بلا رخصة يغرم ويسجن) (3) للقضاء على الاسلام واللغة العربية لأنهم ((علموا أن لا بقاء للاسلام الا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه ، وأن لا تعليم له الا بتعليم لغته)) (4) .

اجتمع عدو الامة م . ميرانت مدير الشؤون الاجتماعية بوالد الامام وعرض عليه أن يساعده لتسديد دينه بشرط أن يضغط على ابنه ليغير سيرته أو يتخلى عن أعماله أو على الاقل يخفف من ذلك إما بالتنازل عن رئاسة جمعية العلماء والبراءة منها واما بالتخلي عن الدراسة العلمية للطلبة ، وعدم استقباله الطلاب من جميع الوطن ، فرفض ، عندئذ هدد الاعداء الوالد حتى اضطر الى إعلان براءته من أعمال ابنه الصالح)) (5)

دبرت مكيدة للاستيلاء (6) على الجمعية من طرف رئيس لجنة العمل للجمعية وشيخ زاوية .لكن الله خيب ظنهم وأحبط كيدهم ونصر عباده الصالحين .

لقد بلغ غضب الطرقية وحقدهم إلى درجة القتل إذ أن أحد اتباع الطرقية العليوية (محمد الشريف ميسان) حاول اغتياله (7) لا لشئ إلا لأنه يحارب البدع والضلالات والجهل الذى هو مصدر عيشهم وجاههم .

لم يبال الامام بكل ما تعرض له وظل يقول ((اننا نعلن لخصوم الاسلام والعربية عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا ، سنمضي بحول الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا ولن يصدنا عن ذلك شيء فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا وأننا على يقين من أن العاقبة –

1– ابو الصفصاف عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين .ص140 .
– د/ عمار طالبي ، ابن باديس حياته واثاره .ج 1 .ص 84 .
2– ابو الصفصاف عبد الكريم ، المرجع السالف الذكر .ص141 .
– د/ عمار طالبي المرجع السالف الذكر ج 3 .ص589 .
3– من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، المرجع السالف الذكر ج 4 .ص(126 ، 129)
4– د/ عمار طالبي المرجع السالف الذكر ج 3 ص 243 – من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، المرجع السالف الذكر .ص126 .
5– الشيخ أحمد حماني ، محادثة شخصية 1988م .الجزائر
6– د/ عمار طالبي المرجع السالف الذكر .ج 3 .ص(18 – 23) .
7– د/ احميد الرفاعي الشرطي ، بدعة الطرائق في الاسلام . ط 1 ، قسنطينة ، الجزائر دار البعث للطباعة والنشر .1402 هـ – 1982م . ص12 .
– احمد حماني ، محادثة شخصية .1988 . الجزائر .

وان طال البلاء – لنا وان النصر سيكون حليفنا)) (1) كما لم يضعف ويفزع أمام موت ابنه الوحيد اسماعيل وأخيه سليم (2) .

لم يكن العدو ليقف مكتوف اليدين – بعد أن أعيته الحيلة – أمام مثل هذا الرجل العظيم الذى اعلى كلمة الاسلام وأَصَّلَ فكرة الحرية والاستقلال ورفض اعطاء الولاء لفرنسا.فمنعه من السفر ووضعه تحت الاقامة الجبرية (3) في بيته إلى أن توفاه (4) الله عام سنة 1940 متاثرا بالمرض .

إن أبسط عبر يمكن أن يخرج بها الدارس لتاريخ الامام الى جانب الصبر والتضحية والحكمة والثبات والبذل هي :–

1– أن المسجد هو أهم أساس وأول ركيزة تعتمد لبناء مجتمع اسلامي متماسك وراسخ وهذا لما يلعبه من دور في نشر العقيدة الاسلامية والعبادة الصحيحة، وفي تكوين الفرد المسلم في تصرفه وسلوكه ، في عقله وعاطفته ، في عباداته ومعاملاته فتصلح نفسه ويمتن خلقه ويثقف فكره وتسلم عقيدته وتصحح عبادته ولما له من فضل في المؤاخاة بين المسلمين حيث تنمحي الفوارق الطبقية الحاكم مع المحكوم ،السيد مع العبد ،الغني مع الفقير ،والقادر مع العاجز فتشيع روح المساواة والمحبة ،وحيث يقوم المسلمون صفا واحدًا أمام الله،كل متجرد مما يملك الا من عبوديته لله ، هذا ما جعل من المسجد مصدر قوة ،وهذا ما دفع الاستعمار إلى قصف المساجد وتدميرها .

لذا إذا أرادت الامة أن تعيد المجتمع الاسلامي من جديد عليها أن تعيد المسجد دوره الحقيقي الكامل ، وأن تفتح المجال أمام الشباب الاسلامي المتمكن ليجعل من المسجد محراب عباد ، ومنبر علم ، ومدرسة تخرج ملائكة البشر ،ومؤدبي الجبابرة ، وملوك الاخرة ، ومساعدة هؤلاء الشباب النوراني ماديا ومعنويا .

2– إن صاحب العقيدة لا يستطيع فهم الكتاب والسنة إلا بالتمكن من اللغة العربية وعلومها . لهذا فان الغرب يعمل جاهدا لاقصاء اللغة العربية من حياة المسلمين حتى تصاب الامة بالانسلاخ والتميع والتخلف عن ركب الحضارة فتسهل قيادتها حيث يريد .

1– د/ عمار طالبي،ابن باديس حياته واثاره،ج 1،ص 120،
2–3– أحمد حماني ،محادثة شخصية،1988 . الجزائر.(جاءه خبر حادث وفاة ابنه وهو على كرسي الدرس بالمسجد فلم يظهر عليه جزع ولا فزع واستمر يلقي درسه حتى أتمه ثم قام ليحمل ولده الى مثواه الاخير، وتكرر له نفس الشئ في موت اخيه .
4– اتهمت اذاعة ألمانيا السلطات الفرنسية في الجزائر يوم 9 ماى 1940(على لسان تقي الدين الهلالي) بأنها المسؤولة على وفاته . وقد ذكرت بأنه مات مسموما على أيدى الفرنسيين .
– ابو الصفصاف عبد الكريم،جمعية العلماء المسلمين ،ص308 .

3ـ ان الجاهلية تمنع النشاط العام للدعاة ، ووسائل الاعلام عن الحركة لتعزل هذه الاخيرة عن الجماهير ثلا تجلى لهم الحقائق ، ولاتعي القضايا وبالتالي تضمن تبعيتها .

4ـ ان الداعية لايمكن أن يدعو الى الاسلام إلا إذا تعلمه وتمكن منه وأنه اذا دخل ميدان العمل الاسلامي بغير علم وبصيرة لايأمن على نفسه الضلال والسقوط .

قال تعالى : ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة انا ومن اتّبعني وسبحان اللّه وما أنا من المشركين)) (1)

5ـ على الداعية ألا يهرب من مواجهة الواقع الضخم ومقاومة الشدائد والملمات ويكتفي بانجاء نفسه ، وعليه أن يعيش هموم الوطن وقضايا الامة ويتحمل تكاليف الحرية والنصر والتمكين .

6ـ لابد من الاعتماد على المنهج التربوى في اعداد الأفراد الذين يحملون الدعوة ولا تحملهم ، والذين يؤهلون للمجابهة والتحدى ـ السياسي ، العسكرى الاقتصادى ، الاجتماعي ، والاعلامي ، وإحداث التغيير .

7ـ أن القرآن لم ـ ولن ـ يفقد مفعوله وسيره في تكوين الرجال لووجد من يفهمه فهما صحيحا ويتدبر آياته ويستشف معانيه وأسراره ومعجزاته .

وخلاصة القول : أن من أراد التصدى لجاهلية العصر بكل عنفوانها وشراستها ، والصمود أمام مغالطاتها وعبثها ، عليه أن يسلك سبيل هؤلاء العظماء الذين احترقوا ليضيئوا الدرب للاخرين ، واستعذبوا النكال ليسعد الغير فكانوا شعلة من الحيوية ونبعا للخير والعطاء ، وأن يدرس حياتهم ليستقي منها زاد الطريق وعدة السفر .

1ـ سورة يوسف الاية 108

الفصل الخامس

ابتلاء النساء المؤمنات

وفيه اربعة مباحث

ان المتصفح للمصنفات الخاصة بتراجم الشخصيات الاسلامية ليقف مشدوهـا أمام التهميش الذى وقع لتأريخ حياة المرأة المسلمة عبر مسيرتها الطويلة ... هذا التغييب الفادح — سواء كان قصدا أم عن غير قصد — يخيل لمسلمة اليوم التي تسعى بحثا عن القدوة من بنات جنسها ، أن الاسلام قد ربى الرجال دون النساء ، وخول لهم من المكانة والرفعة ما يقلص من قيمة المراة في مجال التطبيق الواقعي كعنصر فعال في بعث النهضة الاسلامية ومواكبة سير كتيبة الحق وهي تشق سبيلها لعيش الاسلام الرباني ، من جديد ...

وهذا قصور في النظر ، ومحض افتراء لا أصل له ولا فصل في شريعة غراء كانت الحضن الآمن والفيض المنهمر الذى سقى الرجال والنساء على حد السواء بمعين الاسلام العذب الفرات ...

فكما حمل الرجل الأمانة وجاهد في سبيلها واستشهد ، كان للمراة أيضا قسطها الأوفر في بناء مجد الأمة الإسلامية ، بمواقفها الخالدة التي برهنت فيها على قدراتها الخلاقة حين فهمت الإسلام مصحفا وسيفا وعاشته فكرة ودعوة واقتنعت به عقيدة ومنهاجا ...

وهذا الفصل من البحث محاولة لطرح بعض الجوانب الخاصة بنساء مؤمنات عشن للاسلام فكان لهن حافزا والى التضحية دافعا ، عشناه فتيات ، وزوجات وامهات وعشن له مجاهدات ، مقاتلات ، صابرات ، ثابتات محتسبات ....

لعلها تكون خطوة جادة لمزيد من الاعتناء بدراسة سيرة النساء المسلمات

وقد تطرقت في هذا الفصل الى ابتلاء أربعة نساء مؤمنات :

أ — ابتلاء آسيا بنت مزاحم ...

ب — ابتلاء أسما بنت أبي بكر ...

ج — ابتلاء نسية بنت كعب ...

د — ابتلاء الحاجة زينب الغزالي ...

أ — المبحث (1)

ابتلاء آسيا (1) بنت مزاحم

آسيا : طينة فريدة في نوعها من صنيعة الايمان الخلاق ، رفعت راية التوحيد وهي امراة وحيدة وسط بحر عجاج من الرتائب الساجدة والالسن اللاهجة بحمد فرعون الطاغي ... وأعلنت كلمة الحق مدوية في الاجواء فتجاوبت معها جنبات الكون الرحب الفسيح فمضت

1 — زوجة فرعون عهد موسى عليه السلام .

مثلاً سجلته السماء للركب الحادى من النساء المؤمنات ... انها المرأة التي وقفت معزولة إلا من سلاح التقوى والايمان لتواجه جاهلية مطبقة عمياء لاتسمع ولا تعي إلا أسلوب الفساد بتقتيل الأبناء واستحياء النساء، وفرض سياسة الرعب والهلع في صفوف الرعية المقهورة ... ورغم ذلك ، تقف آسيا لتجابه فرعون بكلمة الرفض المزلزلة بلسان حالها يقول : لا ، لألوهيتك المزعومة لا لسياستك الجائرة ، لا لطاغوتك البائد ، إنما أنت بشر ولست الها كما يحلو لك أن تسيطر ولن أرضى أن أكون عبدا لأحد إلا لمولاى الصمد .

وقفة حق ضد سلطان جائر . ما أعظمها من وقفة وعظيمة جدا هي حين تكون من امراة وأية امراة ؟ ليست فقيرة دفعها الجوع للثورة على الاغنياء ، ونصفها بثورة الطبقة الكادحة على الطبقة البورجوازية وليست كذلك من الاقلية المضطهدة ، تريد الديمقراطية السياسية لتحرير قومها . انما الدافع هو إيمان غمر جنبات ضلوعها وسما بروحها الى العلا فاستعلت على حطام الدنيا الفاني ، وآثرت رضى ربها على رضى زوجها وهو ولي نعمتها ومالكها لا لشيء الا أنها أدركت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولو كان هذا المخلوق زوجا حبيبا لقلبها ، يحوطها بالعناية الفائقة ، رفضت ذلك وأبت الا أن تعبد خالقها :

((ربي ورب ابيك ورب كل شيء الله)) قالتها امراة خازن فرعون ، فوعتها آسيا بنت مزاحم في نفسها ثم أعلنتها جهارا متحملة كل تضحية في سبيل عقيدتها .

وتمضي سنة الله في الدعوات ، ويحين موعد المحنة بالتعذيب تارة والمساومة أحيانا ، وسياسة الحرب النفسية أحيانا أخرى ، محنة لابد وأن تصاحب من ثارت على سياسة البغي و العدوان ، وكونت جبهة معارضة للنظام ، فتقدم آسيا للتعذيب :

روى النهدى عن سليمان قال : ((كانت تعذب في الشمس فاذا انصرف عنها اضلتها الملائكة باجنحتها وكانت سيدة الشهيدات في الارض كما ذكر ابن جرير بسنده)) (1) ، وتغرى بالمال والجواهر والحياة الملكية ، فقط لتنطق بالوهية فرعون وترفض ألوهية الواحد الاحد فرفضت وقالت : آمنت برب موسى وهارون، فاوتد لها أوتادا وشد يديها ورجليها ، فضحكت فعجبوا لها تعذب وتضحك ولكنها كانت قد رأت بيتها في الجنة ، فقرروا قتلها شر قتله

((فكانت تسأل من غلب ؟ فيقال غلب موسى وهارون فتقول : آمنت برب موسى وهارون)) (2)

((عن ابي هريرة : أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتادا وأضجعها وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس)) (3) . عندئذ دعت ربها قائلة :

---

(1) (2) — منير محمد الغضبان ، اليك ايتها الفتاة المسلمة ، ط 2 ، الاردن الزرقاء: [illegible]

((ربِّ ابن لي عندك بيتا في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين))(1)

انه الولاء للجماعة المؤمنة ، وربط المصير بالمصير مهما كانت الظروف ثم هو كذلك الحرص على سلامة القيادة ، لقنتها آسيا بنت مزاحم للقادمات من الموحدات ، فسارت عليها أم عمارة من بعد ،

((ثم ارسل اليها فرعون فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها فان مضت على تولها فالقوها عليها ، وان رجعت عن قولها فهي امرأتي))(2)

إنه الخيار الأخير بين نعيم الدنيا ومتاعها وعزها وبين التعذيب والتنكيل والاعدام فاختارت ربها ، ومضت شهيدة التوحيد فصارت سيدة نساء العالمين.

عن أبي عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

((أفضل نساء اهل الجنة : خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم))(3)

لقد كان فرعون وهو يعذبها يجهل أبرز حقيقة عرفها الوجودني حقيقة المؤمن : أن لا أرض تحده ولا العذاب يرهبه ((أنه يعمل أنى هاجر وطرد فان لم تكن الهجرة وكان السجن كان سجنه سياحة لروحه وفكره ، واذا شنق كان هبوط الحبل به علوا ينقله الى منزل جميل كريم))(4)

لقد مضت آسيا الى ربها راسمة خط الموحدين في هذا الوجود ، موصية أن ((هذه الامة لاتعود إلى إسلامها إلا بدعوة تؤسس ابتداء على بذل الروح والا فان الأماني مما دون ذلك والتعويل على احتمال سماع أئمة الكفر لوعظنا واللغة الدبلوماسية لاتعدو أن تكون ترهات فحسب))(5)

وهكذا تبقى آسيا رمز تحدي الطاغوت ورمز التحرر من كل قيود الارض ، وهواتف النفس ، ومؤثرات البيئة ومعوقات الطريق ، ومضربا للمثل يتكرر في كل عصر ومصر كلما طغى الباطل وصال وجال . فهي في افغانستان ، في قدسنا الحبيب تقارع العدو الغاشم وتكيل له الضربات وتفند الأكذوبة التي تترنم خطى اليهود على أنغامها ((محمد مات وخلف بنات)) ، انها هناك وراء الاسوار وبين الانقاض تلهب الثورة حماسا وتزيدها مضاء ، لا يرهبها التعذيب ولا يلهيها الترمل عن وعي دورها ، انها لن تحيد عن هدفها حتى يذل الباطل وتدك عروشه كما دكت عروش فرعون من قبل وجنوده .

1ـ سورة التحريم الاية 11، 2ـ منير الغضبان إليك أيتها الفتاة المسلمة، ص192.
3ـ الحافظ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي . احكام النساء ط 2، صيدا بيروت منشورات المكتبة العصرية .1400هـ ـ 1980م، ص241 . الحديث أخرجه الترمذي في السنن .ابواب المناقب : فضل خديجة رضي الله عنها ج 5 ص367 رقم : 1 398 وقال حديث صحيح مع اختلاف بسيط في اللفظ
4ـ محمد احمد الراشد، المنطلق 27 مؤسسة الرسالة . بيروت ، لبنان: 1987 م . ص222
5ـ نفس المرجع السابق .ص227 .

المبحث 2

ابتلاء أسماء (1) بنت أبي بكر الصديق

أسماء بنت أبي بكر مهاجرة جليلة ، وسيدة بعقلها وعزة نفسها ، وقوة إرادتها ، آمنت بالإسلام ، واتبعت الرّسول صلى الله عليه وسلم رغم حداثة سنها ، ومن يومها ذلك ، وهي تحمل تكاليف السير في طريق الله ، وأعباء الدّعوة في سبيله ، ومشاق وأهوال بناء دولة التوحيد وسط تلك الجاهلية وذاك الطغيان .

كانت حياتها كلها مواقف ايمانية رائعة ، ترجمت فيها مبادئ الإسلام وأخلاقياته السامية ترجمة واقعية أظهرت عظمتها وروعتها وزادتها ثباتا ورسوخا في النفوس ، كما جسدت دور المرأة المؤمنة في الدّعوة الى الله عبر كامل مراحل حياتها فتاة وزوجة وأما ، فأصبحت بذلك مثلا تحتذي حذوه كل سالكة لدرب الهدى عبر العصور والأزمان ، ومعلما من معالم الحق تنير الطريق لكل عازمة على حمل لواء التوحيد في الأرض من جديد .

هجرة الرّسول صلى الله عليه وسلم :

قرر الرسول صلى الله عليه وسلم الهجرة فوضع الخطة ، وحدد الموعد والمهام ، ثم وزعها على المكلفين في دقة متناهية ، وهو بهذا يقدم لأتباعه والحاملين للواء الدعوة بعده إلى يوم القيامة درسا عمليا في الاساس التنظيمي الذى تبناه في كل مراحل دعوته الى الله تعالى من جهة ، ويشير صراحة إلى مواصفات الجندية ، لأنها سر حياة الدعوات ، فوضع طريق اختيارهم والعمل الذى يصلح لكل منهم ، ووضع الآداب والأخلاق التي تؤهلهم لحمل الأمانة من جهة أخرى ، إلا أن الشئ العظيم جدا ، والجديد على العالم ، أن يرفع المرأة إلى مستوى التكليف وبالتالي الجندية ، ويثبت ميدانيا قدرتها التنفيذية في بناء دولة التوحيد ، وتشاء الأقدار أن تكون هذه المرأة هي أسماء رضى الله عنها التي قع اختيار الرّسول صلى الله عليه وسلم عليها فيوكل لها مهمة التموين وحمل الزاد ، والاستخبار والائتمان على الأسرار ، وتتلق

---

1 — هي أسماء بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن أسعد بن تميم ، وأمها قتيلة بنت العزى بن أسعد بن جابر بن مالك بن حسن بن عامر بن لوى وهي أخت عبد الله بن أبي بكر لابيه وأمه أسلمت قديما بمكة ، قال ابن اسحق بعد سبعة عشر نفسا . بايعت الرسول ودعيت بذات النطاقين لانها اخذت نطاقها فشقته باثنين فجعلت واحدا لسفرة الرسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر اما لقربته ليلة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار فسميت ذات النطاقين . ابن سعد الطبقات الكبرى ، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر، 1400 هـ — 1980م ج 8، ص249 ، شهاب الدين بن ابي الفضل بن على حجر العسقلاني الاصابة في تمييز الصحابة، ط 9 ، مصر : مكتبة السعادة بجوار محافظة مصر 1328 هـ ص229 .

وتتلقي أسماء رضي الله عنها الأوامر متوكلة على الله في ذلك كلـــــه .

ولم تمضي مدة قصيرة على اختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبـــه من بين المشركين حتى بدأ هـؤلاء البحث والتفتيـش ،وكان أول بيت توجهوا اليـــه هو بيت أبي بكر الصديـــق ((وخرجت اليهم أسماء ، فقالوا : أين أبوك يابنت أبي بكر قالت لا ادري والله أين أبي)) (1) .

انها السرية والتكتم على أسرار القيادة وأسرار الدعوة جسدتها لنا أسمـــاء في هذا الموقف لتوضح معلما من معالم الدعوة الاسلامية الذى يعتبر صمـــام أمان يحفظ العمل الاسلامي من أعدائه ،اذا فقهـه الداعيـة عرف حسن استخدامه في المكـان والزمان المناسبين هذا من ناحية ،أما من الناحية الأخرى لتصحح النظرة الخاطئة عن المرأة والقائلة : بأنها لا تستطيـع حفظ لسانها وكتمان سرها ،ولتثبت للعـالم باسره عبر العصور كما أثبتت المرأة المسلمـة الجزائرية من بعدهـا أن صدر المسلمة قبر لأسرار الحركة وأن الموت أهون عليهـا من تخرج كلمة تمـس بقيادتها أو دعوتهـــا .

((رفع أبو جهل يده فلطم خدها لطمة طرح منها قرطها)) (2) فلم يزدهـا التهديد والتنكيل من الطاغية إلا ثباتا ورسوخا وشجاعة . وهل الشجاعة إلا كتمان السر وبذلك أوضحـت أسماء على أن الجندية ليست صفات عقلية وجسدية حتى تعطـى للرجل لقوتـــه وتحرم منها المـرأة لضعف تركيبها الجسدى بقدر ما هي مواصفـات جسمتها أسماء في موقفها هذا ،لتعد كل مسلمة نفسها لها((والتي لا تعدو أن تكون تنفيذ للأمر من غير تردد ،وعمـــل في ايمـان وصمت ،وكفاح في سبيل تحقيـق المبدأ وتركيز الدعوة وحمـايتها ،وجهاد في ابرازها للعالم في قوة وكرامـــة ترغم المناهضين لها على السكون عنها أو الخضوع لها)) (3) .

الــــــــزواج :

أدركت أسماء رضي الله عنهـــا أن الحق لن يرسخ له قدم في هذه الأرض ولـن تعلو له رايـــة الا بوجود قلاع قويـــة يستند اليها ومحاضن ايمـــانيـــة تمد بالسواعد الفتية من براعم الايمان .

فأوضحت بذلك أهمية بناء الاسرة المسلمة لتكون تمهيدا لبناء المجتمع المسلم المنشود .

ولهذا نجدهـا تحرص على أن يكون زواجها لله ، أى لبناء البيت المسلم وانجـاب الذرية الصالحة التي تحمل توارث الهداية وتحقق استمرارها مع الزمن . وممـــا يفسر هنا اســـلاميـــة زواجها ، هو اسلامية اختيارها لزوجها وتوكيدها على تحقيق القيم الايمانية والمعاني الجهـادية

1ـ عبد العزيز الشناوى ، نساء الصحابة ، القاهرة ، مكتبة التراث الاسلامية 1988 م. ص 242

2ـ محمود محمد الجوهرى ومحمد عبد الحكيم خيال . الاخوات المسلمات وبناء الاسرة القرانية . ط 1 ، الاسكندرية ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع . مارس 1980م ص 224 بتصرف

3ـ عبد العزيز الشناوى ، المرجع السالف الذكر ص 242 .

فيه، ولو كان دون غيره مالا وجاها . وقد جسدت هذه المعاني في قبولها الزواج من الزبير بن العوام رضي الله عنه لما جاءها خاطبا رغم فقره وضيق عيشه ، وهي الغنية المترفة ، وهكذا نجحت أسماء رضي الله عنها في الابتلاء الثاني .

قالت أسماء رضي الله عنها ((تزوجني الزبير بن العوام وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه ، فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأسقيه وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز لي نساء من الانصار ، وكن نسوة صدق)) (1)

وهي بذلك تربط بين استمرارية الدعوة واسلامية الزواج بل تجعله ضمان تعميق مبادئ الحق في الناس وتأصيل الدعوة في الأرض ، كما أنها تجعل تحقيق اسلامية الزواج لدى المرأة المسلمة هو قمة التجرد لله والتجرد لدعوته اذ التجرد في حقيقته هو تجرد ضمير المرأة المسلمة ((من مظان الشرك و العبودية لغير الله ، ومن تصورات الجاهلية الفاسدة وقيمها الزائغة ووشائجها التي لا تقوم على أساس الايمان . وتجرد في واقع المجتمع من الأخلاق و السلوك والنظم و المناهج التي تتنافى مع مبادئ الاسلام حتى يصبح كل ما في الحياة من قول وعمل وحب وبغض ، وسلم وحرب ، وفقا لتلك المبادئ خالصة لوجه الله ، وليست للاهواء و المطامع والشهوات)) (2)
الا أن التأكيد على اختيار الزوج صاحب الايمان العميق ، والمجاهد في سبيل الله ، ليس معناه انتظار انسان كامل ، خال من النقائص والأخطاء ، والحلم بحياة زوجية لا مشاكل فيها ولا صعوبات . فأسماء رضي الله عنها وهي التي تزوجت حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحد المبشرين بالجنة تقول ((كان الزبير شديدا عليها فأتت أباها وشكت ذلك اليه فقال : يابنية اصبري فان المرأة اذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة)) (3)

وبذلك يكون موقف أسماء من هذه الابتلاءات والصعوبات في اختلاف الأمزجة بينها وبين زوجها ، ونصيحة والدها ، كدرس عملي لما يجب أن تكون عليه الزوجة المسلمة في تعاملها مع زوجها ، وضرورة أن تبني ذلك على نظرة واقعية للحياة الزوجية ونظرة لزوجها البشرية لا ملائكية حتى يكون زواجهما علاقة تكامل لا صراع .

الام المشركة :

لم يكن فهم أسماء للاسلام أنه مجرد كلمة تقال باللسان ، أو مجرد عنوان أو شعار بل هو ولاء لله خالصا ، ومفاصلة للصف المسلم عن باقي الصفوف الاخرى . وجعل الرابطة.

1ـ عبد العزيز الشناوي ، المرجع السالف الذكر ص 243 .
2ـ محمود محمد الجوهري ومحمود عبد الحكيم خيال ، المرجع السالف الذكر ص 130 بتصرف بسيط .
3ـ عمر رضا كحالة ، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة

في الله والصلة فيه هي الصلة الأولى التي ترتبط بغيره ، ولو كان المشرك من الوالدين ، لذلك لما قدمت ((أمها قتيلة بنت عبد العزى ـ كانت زوجة ابي بكر في الجاهلية ـ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملت لابنتها أسماء هدايا زبيب وسمن وقرظ)) (1) وقفت أسماء منها موقف مفاصلة وتميز المؤمن عن الكافر ((وأبت أن تقبل هديتها أو تدخلها إلى بيتها ـ وكانت قتيلة مازالت مشركة ـ وأرسلت اسماء إلى أختها عائشة : سلي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لتدخلها وتقبل هديتها فأنزل الله تعالى ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين)) (2) ، عندها فقط أحسنت اليها ورعتها حق الرعاية دون أن تعطيها حق الطاعة والاتباع ، فلا ولاية لكافر على المؤمن ولو كانوا ذوي قربى ورحم .

وبذلك ترجمت اسماء معنى أن تكون العقيدة هي العروة الوثقى بين الناس ، أو مفاصلة بينهم ، ومعنى أن يكون الولاء خالصا لله مستعليا على وشائج القرابة والرحم ، ومعنى الثبات أمام اقسى وأشد المحن . وهل هناك محنة أشد من أم مشركة ؟ .

المسؤولية :

كان لابد كتكملة لاسلامية الزواج وتحقيق اسلامية اختيار الزوج وتأدية حقوقه الزوجية كاملة ، أن نحدد موقفها من الاولاد ، هل تعيش لهم ، كغاية في الوجود ، أم تعيش للحق ولاحقاقه في هذه الأرض وتربية الاطفال منذ حتى يكونوا اللبنات المتينة التي يحمل أركانه في المستقبل ، إلا أن ذلك سرعان ما يتجلى حين نجد أسماء رضي الله عنها تفضي لنا بمكنونات قلبها ، وتفارحها بآمالها كأم في ولدها عبد الله وهي ترقصه .

أبيض كالسيف الحسام الا بريق	بين الحواري وبين الصديق
ظني به ورب ظن تحقيق	والله أهل الفضل أهل التوفيق

انها تريده سيفا من سيوف الحق مسلول ، تناقي به الباطل وتثبت به ركائز الحق ، وهذا هو أملها وظنها فيه ، والله هو الموفق ، وانها لتحقيق ذلك تعين .

وتمر الايام مسرعة ، وتبتلي أسماء ، ويجتاح الامة ليالي صعاب وأيام شدة ، ويذيق الحجاج الناس الظلم ، ويقف ابنها للطاغية متحديا ، ولكن الناس تخذله نيلا لهذه الأم وهي عمياء ، قد بلغت مائة سنة ((وقال لها : يا أماه ما ترين : قد خذلني الناس وخذلني أهل بيتي)) (3) ، وهنا تقف أسماء موقفها العظيم وتتجاهل أمومتها وعاطفتها الجياشة وخوفها على حياة فلذة كبدها فالكل يهون في سبيل الله وتقول : ((لا يلعبن بك صبيان بني أمية ، عش كريما ومت كريما والله اني لأرجو أن يكون عزائي فيك حسنا بعد أن تقدمتني أو تقدمتك فان في نفسي منك

---

1 ، 2 سعيد العزيز الشناوي ، المرجع السالف الذكر ، (24 ـ 245) .
3 عمر رضا كحالة ، المرجع السالف الذكر ، ص 50 .

حرجا حتى أنظر الى مايصير أمرك ،ثم قالت : اللهم ارحم طول ذاك النحيب والظمأ في هواجر المدينة وبره بأمه ، اللهم إني قد سلمت فيه لأمرك ورضيت فيه بقضائك فاثبني في عبد الله ثواب الشاكرين)) (1) .

إنها لمثل هذا اليوم ادخرته،ولهذا قد أعدته منذ كان صغيرا ترجو الله تقبل هذا الولد شهيدا في سبيله ،ويمنحهما جزاء الشاكرين .

ودخل عليه أهل الشام فقتلوه وصلبوه ، يقتل شهيدا كما ارادته أمه محتسبة أجره عند الله .

فما احوج الامة الاسلامية اليوم الى امرأة تحي أن الرجل هو سر سياسة الامم ومصدر نهضتها ،فتمثل معاني الجهاد والتضحية والعطاء والثبات ،وتربي ابناءها عليها ليكونوا سيف الله المسلولة ،ثم تبعث بهم الى ساحة الوغى ليدكوا عرش الباطل دكا ،ويحرروا الشعوب الاسلامية من الاستعباد والاضطهاد والتبعية ،ويسترجعوا الاراضي الاسلامية قطعة قطعة وعلى راسها القدس حرره الله وأخيرا يقيموا شرع الله ودولة الاسلام .

الطاغية :

جاءت أسماء بنت أبي بكر رغم بصرها المكفوف لتواجه قاتل ابنها الحجاج الثقفي غير مبالية بما سيقع لها من طرفه . فقالت له:((أما آن للراكب أن ينزل _ تقصد ابنها المصلوب _ فقال الحجاج ، المنافق)) (2) . وهنا تقف المؤمنة صامدة ترد التهم على الشهيد الذي ذهب :((والله ما كان منافقا ولكنه كان صواما برا بوالديه)) (3) . وتعدد مواصفات المؤمن الحقة التي حرصت على غرسها فيه . فقال الحجاج :((اذهبي فانك عجوز قد خرفت فقالت اسماء بنت أبي بكر : لا والله ماخرفت)) (4) . وصدعت في وجهه بحقيقته انها فعلا جرأة في الصدع بالحق في وجه الظالم . وهكذا كانت شجاعة في كتمان السر يوم الهجرة وكانت كذلك في التصدى للطاغية .

ويحاول الطاغية أن يذل إيمانها بالتمثيل بولدها ،فيتركه معلقا عاما كاملا فلا تضعف ولا يلين لها عود أمام تهديداته ،وبعد سنة تمر تحته أم فتقول : اما آن لهذا أن ينزل ؟

انه التجلد والصبر والربط على القلب في أحلك المواقف ،والثبات في أصعب المحن وهل هناك أعظم من قتل الولد وتعذيبه أمام أمه ؟

ولكن العقيدة لاترضى بغير هذا ثمنا ، ترى هل أدركت المرأة المسلمة المعاصرة هذا الثمن ؟!

1_ عمر رضا كحالة :المرجع السالف الذكر، ص 50 .
2_ 3_ 4_عبد العزيز الشناوى ، المرجع السالف الذكر،ص247 .

الصحابية

ام عمارة نسيبة (1) بنت كعب

كان دخول أم عمارة للاسلام ولوج الى آفاق رحبة في سمائه المشرقة الغراء، وسبر لاغوار كالحة احاطت ولا تزال بمسيرة المرأة في مجال الدعوة الى الله، تسطرها كنموذج رائع في صفحات مشرقة لاينكرها الا جاحد وهي نبراس لمنهاج اعداد المرأة المسلمة التي فقهت معنى انتمائها الفعلي للاسلام من أجل اعلاء كلمة الله بكل الاعباء الثقيلة التي تمليها تبعات الطريق.

وهي اولا واخيرا المرأة الجليلة التي وعت بحق كل واجباتها، فلم تكن مهمتها كأم لتتجلل بتربية الاولاد عن سواها من الواجبات، ولا لكونها زوجة فتتلهى بارضاء زوجها بما طاب ولذ من المشتهيات، كلا، كل ذلك عند أم عمارة لم يكن ليرصفها عن مواكبة القافلة التي تحذوها الجماعة المشرقة القسمات بحكم انتمائها لها فتعيش كل لحظاتها الحرجة وهي تواجه الجاهلية في أشد عنجهيتها.

لقد كانت من السابقين الأولين الذين عبدوا الطريق وشقوا مسالكه الوعرة بعد ان طمست معالمه وطغا موج الظلمات على السطح، وأبت إلا أن تشاطر الجماعة تضحياتها، وتحمل معها ثقل الاعباء حتى حقق الله عز وجل للثلة المؤمنة النصر والتمكين في مشارق الارض ومغاربها.

ولعمري، فاننا لن نستعيد هذا التمكين الا يوم أن تفقه المرأة اليوم مافقهته أم عمارة من واجبات سارت على نهجها وصدقت ربها في عهدها فلاقته راضية مرضية.

لقد أدركت أم عمارة قيمة الجنة، فسارعت لعقد الصفقة الرابحة مع الذى يمهل ولا يهمل، مع الذى لا اله الا هو وحده، صدق وعده وأعز جنده ونصر عبده، كانت ثقتها بالله عظيمة. ولولا ذلك ما أقدمت على اعتناق الاسلام وهو الذى بدأ غريبا، ولم يكن انبهارها بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم دافع لها على تكثير سواد التابعين، شأن الزعماء الحاليين والساسة المحترفين بقدر ما كان مرد ذلك الى:

• وعي مطلق لأهداف هذه الرسالة الخاتمة التي جاءت لتبدد الظلمات، وتنشر الخير للعالمين، هدى ونورا للحيارى التائهين بين التشريعات والضائعين بين الفلسفات.

• فهم عميق أن ((من الاسلام الجهاد في سبيله وان الدعوة الى الاسلام جزء لايتجزأ

---

1 — هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الانصارية (تكنى أم عمارة) أسلمت قديما، وحضرت ليلة العقبة و ... النبي صلى الله عليه و... ، تزوجت زيد بن عاصم، وولدت له ... وحبيب ... أحد. فلما تزوجت أم ... ن عزية بن خنساء ولدت له

ــن حقيقة الاسلام نفسه وأنه لامناص لأي مسلم من القيام بعبئها مهما كان شــأنــه أو عملــه أو اختصاصه . . فكل من دخل الاسلام فقد بايع الله ورسوله على الجهاد من أجل هذا الدين ذكرا كان أم أنثى ، عالما أو جاهلا ، فالمسلمون كلهم رجال لهذا الدين : اشترى منهم الله أرواحهم وأموالهم بأن لهم الجنة)) (1) .

فكــان من ثمــرات هذا الفهــم :

1 ــ المشاركة في بيعة العقبة الثانية اذ أنها بايعت الرسول صلى الله عليــه وسلم مع من بايع على أن يمنعــوه مما يمنعون منــه نساءهم وأبناءهم .

2 ــ بهذا الشمول للاسلام ، فان دور المــرأة المسلمة في بناء دولة الحــق في هذا الوجود لايقتصر على اعداد الأطفال ، اعدادا إسلاميا وخدمـــة الزوج فقط ، بل يتعداه إلى الجهاد إذا اقتضت الظروف ذلك ، وأنهــا مخــاطبــة كالرجل المسلم بأول إذن للقتال في قوله تبارك وتعالى : ((اذن للذين يقاتلــون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حــق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلــوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره)) (2)

3 ــ كما انها بحضورها لبيعة العقبة بشخصها ، لفتة منها لضرورة استقلال المرأة المسلمــة بقيادتها ، ولمدى استقــلالية شخصية المسلمة في مجال الجهاد ، والايجابية التي يريدها الاسلام ، فهي لم تكتف بتمثيل زوجها لها أمام قيــادة الأمة آنذاك واعطاء الولاء عوضا عنهــا ، لتنضوي ضمنا تحت بيعته انطــلاقــا من قوامته عليها ، بل حضرت البيعة وقدمتها لرسول الله صــلى الله عليــه وسلم ففصلت بذلك بين قوامة زوجها لها في حدود حياتهما الزوجية وبين استقــلاليــة جهادها ودعوتها للحق الذى آمنت به وصـــدقته .

غـــزوة أحـــد :

لم تكن بيعة أم عمارة للرسول صلى الله عليه وسلم مجرد ألفاظ تنطق بهــا أو انتماؤها لقافلة التوحيد شعارا تحمله بقدر ما هي وعي لحقيقة الامر واصرار على عيشه في دنيا الواقع ، والبرهنة على صدق هذا الانتماء . هذا ما أثبتته محنتها في غــزوة أحــد .

لقد تحولت فيها إلى مقاتلة لحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدمــا خرجت كممرضة في جيش المسلمين تداوي جرحــاهم ، وتسقيهم ، ((فانتهت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهــزم المسلمون انحازت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

1 ــ د . محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة . ص 164 بتصرف بسيط .
2 ــ ســورة الحج الاية 39 ، 40

بالسيف وأخذت ترمي بالقوس حتى خلصت اليها الجراح)) (1) ، ((وانها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا)) (2) .

وحدثت أم عمارة عن موقعة أحد فقالت : ((انكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بقي الا نفر مايتمون عشرة وانا وابناى وزوجي بين يديه نذب عنه صلى الله عليه وسلم والناس يمرون منهزمين ورآني صلى الله عليه وسلم لا ترس معي، فرأى رجلا معه ترس فقال لصاحب الترس : الق ترسك الى من يقاتل فألقي ترسه فجعلت أتترس به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما فعل بنا الافاعيل أصحاب الخيل . لوكانوا رجالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله)) (3) .

أي ثبات وأية شجاعة ، وأي عزم ذلك الذى اتسمت به نسيبة بنت كعب؟ لكن من فهم الاسلام مثل فهمها ، واتخذ له غاية عظمى كغايتها ، أنى له بالراحة وانى له والتقاعس .

((قالت أم عمارة : يانبي الله ادع الله أن نرافقك في الجنة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة ، فقالت نسيبة بنت كعب : ما ابالي ما أصابني من الدنيا)) (4) . نعم لمثل هذه الغاية قد وجهت حياتها فليس عجبا أن تفدي رسولها بنفسها وما لها وأولادها مادامت الجنة هي الثمن والفردوس الاعلى مع نبيها هو المستقر .

درس عملي في صدق الولاء والحرص على سلامة القيادة وفدائها بالنفس والثبات أمام الابتلاء ، إنه الايمان الحق المحرك للعزائم تقدمه لنا هذه الصحابية الجليلة في أروع صورة وأبهى حلة لأنها تعلم يقينا أن حب الرسول صلى الله عليه وسلم حب لله ، ولذلك هبت لتذود عن حماه ، وتؤثر أن تتراشقها الأسهم على أن تمر الى جسده صلى الله عليه وسلم . . . هذا هو الصمود ، وهي ذى التضحية بأسمى معانيها ، وهي ذى المحبة الوجدانية التي تدفع صاحبها الى مراتب الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، والتي تخلص أمة الاسلام اليوم من ليلها الحالك .

الأولاد :

لا يمكن أن ننسى أم عمارة الأم والزوجة التي خرجت من البيت المتين الدعائم ، القوى الأساس بعد ما نفخت حماسها في روح زوجها وهونت عليه مؤونة التصرف في شؤون البيت ودفعته الى ساحات القتال ، مطمئنا هنيء البال ، لتربي أبناءها على تعليم الاسلام وتخرجهم لاصنعة مفرطة فى الدلال والميوعة ، بل تلقنهم مبادىء الحرب وتزرع فيهم محبة الله والجهاد في سبيله لارساء دعائم دينه ورفع لوائه .

1ـ عمر رضا كحالة ، اعلام النساء ، ج 5 ، ط 4 ، ص 172 .
2ـ محمد منير الغضبان ، المنهج الحركي ، ص 392 .
3ـ عمر رضا كحالة ، المرجع السالف الذكر ، ص 172 .
4ـ عبد العزيز الشناوى ، نساء الصحابة ، ص 408 .

وتطالعنا السيرة في غزوة أحد ، كيف تبرزت أم عمارة من كل شيء إلا لمسلمها اذ كانت تداوي جرحى المسلمين حتى ((جرح ابنها عبيد بن زيد وجعل دمه يسيل وهي لاهية عنه بقتال الاعداء حتى نادت رسول الله ابنها فقال : ((اعصب جرحك فنبهت الى ابنها وأقبلت اليه ومعها عصائب عقربتها قد أعدتها للجراح فربطت جرحه والنبي واقف ينظر اليها)) (1) ثم قالت له : ((بني انهض فضارب القوم)) (2) .

أما كنا هنا أنها تداوي وتقاتل ومعها زوجها ، لتدفن بأبنائها الى ميادين لا يصمد فيها الا الرجال ، لكنها العقيدة الحقة ، والتربية الكاملة الصالحة، وما ذلك الا لانها لم تتخذ الاولاد نايشة وجودها بل نعمة وتفضل وامانة يجب تقديمه في سبيل الله ثمنا لهذه العقيدة ، كما أنها تثق لابد من مشاركتها والثبات امامها .

ونجدها في مواقف مماثلة ، تفخر حين يختار أولادها للقتال والتضحية بالارواح في سبيل حماية هذه العقيدة ، والتصدى لكل فتنة وخطر تهددها لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابنها حبيب بن زيد بن عاصم رسولا الى مسيلمة الكذاب ليكف عن دعواه الباطلة وعن ايذاء المسلمين فتقطعه ومثل به شر تمثيل رغم ذلك صبرت ولم تفزع ولم تجزع، بل زادها الموقف ثباتا على الحق ((واقسمت نسيبة بنت كعب أن تثأر من مسيلمة الكذاب . ولقي جيش خالد بن الوليد بني حنيفة وراحت أم عمارة تقاتل حتى جرحت يومئذ اثني عشرة جرحا وقطعت يدها ولكنها لم تهدأ ولم تخمد النار المشتعلة في صدرها حتى سمعت ابنها عبد الله ابن زيد وصوت أبي دجانة وصوت وحشي بن حرب : لقد قتلنا مسيلمة الكذاب)) (3) .

هكذا يريد الداعية بنت الاسلام اليوم أن تكون حتى تصبح أما ، وتتقدم لنصرة الحق في وسط هذا الظلام وهذه الجاهلية ، وتدفع بفلذة كبدها للجهاد وتعدهم ليكونوا أشبالا وجنودا في جيش المسلمين حتى يرتفع لواء الحق مخليا رايته على طاغوت متجبر ينشر الفساد ويقهر العباد ويخرب البلاد .

لقد جاءت أم عمارة المجاهدة الصابرة المحتسبة والمؤمنة التقية الصالحة يوما الى الرسول صلى الله عليه وسلم - لتوضح الطريق لمن بعدها من نساء - مستفسرة ((يارسول الله ما أرى كل شيء الا للرجال ما أرى النساء يذكرن في شيء، فانزل الله عز وجل (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)) (4) (5)

1- عمر رضا كحالة ، المرجع السالف الذكر ص 171 .
2- نفس المرجع السابق ص 173 .
3- عبد العزيز الشناوي، المرجع السالف الذكر ص 414 .
4- سورة الاحزاب الآية 35
5- عبد العزيز الشناوي، المرجع السالف الذكر ص 411 .

لقد جاءها الرد من فوق سبع سموات ليثبّت قلوب المؤمنات الايمانية، فهي لا تسأل لتحول الأمر الى صراع بين الرجل والمرأة، فما كرمها الاسلام به من مكانة تكفيها ولكنها تريد الدرجات العليا في التربص . . . فيمنح لها الخالق جل وعلا الجواب الشافي والمنهاج القويم في المساواة بين الجنسين لأن اساس التفاضل مبني على ميزان العمل الصالح والترابط بينهما، هو التآصر والتكافل فالسبيل واحد والثواب واحد لمن اتقى وعمل صالحا .

قال الله تعالى : ((ومن عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)) (1) .

وقال : ((من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)) (2) .

وبذلك حددت معالم المساواة بين الرجل والمرأة في الاسلام، وشروط التفاضل بينهما ونوع العلاقة التي تجمعهما .

لذا فعلى الداعية المسلمة أن :

آ ـ تحذر من الاستدراج إلى تبني الشعارات الزائفة المنادية بحقوق المرأة والمساواة والحرية، والعاملة على مسخ الشخصية الاسلامية وهدم الاسرة المسلمة، وبالتالي المجتمع الرباني فالدولة المحمدية وأخيرا الاسلام .

ب ـ ترفض أن تكون قضية أو اداة هدم لامتها .

ج ـ تثبت أمام المغريات والمحن .

د ـ أن تتقدم لقيادة الحركات النسائية فتمحو ما افسدته التنظيمات المغرضة وتصحح الفهم الضيق لدور المرأة وتساهم في بناء الكيان الاسلامي من جديد .

---

1 ـ سورة غافر الاية 40

2 ـ سورة النحل الاية 97

النموذج 1

ابتلاء الحاجة زينب الغزالي الجبيلي (1)

ان الكلام عن صلاحية مبدأ ما في هذا الوجود ، والدعوة الى اعتناقه سهل على المتكلم والمستمع سواء ، فالمتكلم لا يعدو الامر لديه تنسيق ألفاظ وتشدقا بكلمات ، والمستمع لا يقلقه الانصات الى أفكار يخزنها على أنها نظريات مجردة .

فاذا ما أثبت المتكلم أن مبدأ قد عاشه أناس في زمن ومكان معينين فان المستمع قد يطرح الافكار للنقاش والبحث . لكنه عندما يرى المتكلم يتحرك بمبادئه أفعالا لا أقوالا ، وواقعا لا خيالا ، هنا يأسره الأمر ، ويندفع ليحتضن هذا المبدأ ويعيشه كما عاشوه ، ويذود عنه كما ذاد عنه الاولون .

والاسلام لا يخرج على هذا المنطق ، ولا يحيد عن هذه القاعدة ، فاقتناع الناس ، لن يكون بترداد صلاحياته ، ولا حياة الصحابة والصحابيات ولكن بتقديم نماذج معاصرة تتحرك به في الواقع ، نراها فنرى الاسلام في أجمل صورة وأبلغ تعبير .

والداعية المجاهدة زينب الغزالي ، من أعظم النماذج المعاصرة التي منحها الاسلام لتكون معلما ساطعا ، منيرا للدارسين الباحثات عن الحق والمتقفيات آثار الهداية في عصر الحيرة والضياع ، والعازمات على سير الاسلام بأبجدياته العقائدية والسلوكية الى كبرى قضاياه الجهادية .

وتتبعنا لبعض مواقف حياتها الاسلامية ، هو تتبع لمراحل تطبيق الاسلام في النفس البشرية ، فتكون تجربتها الايمانية بمثابة الصياغة الجديدة للنفوس حتى تطبقها ، وتجد ماوجدته هذه المرأة من حلاوة الايمان ، ونور الهداية وطمأنينة القلب ، وإشراقة الروح . فكل ابتلاء لاقته وكل ثبات عاشته هو ترجمان لتغلغل الاسلام في تغيير النفس من داخلها : يزيل شهوة أو شبهة ليثبت يقينا وهدى محله .

لقد شاءت الاقدار أن تواجه المرأة المؤمنة زينب الغزالي ، وهي ترنو لاعادة الحق الى نصابه ، وتدعو الى تطبيق شريعة الله واقامة خلافته في الارض أن تواجه نفس الاغراء والتهديد

1ـ هي زينب الغزالي الجبيلي من أصل عربي ، ينتهي نسب والدها من أبيه الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ونسب أمها الى الحسن بن علي رضي الله عنهما ولدت في 2 يناير 1917. نشأت نشأة اسلامية فأبوها من شيوخ الازهر وقد درست في المدارس ثم تلقت علوم الدين على مشايخ من رجال الازهر الكبار في علوم الحديث وعلوم التفسير والفقه. أسست عام 1936 المركز العام للسيدات المسلمات طالبت من خلاله بتطبيق الشريعة الاسلامية والعمل على إقامة الخلافة الاسلامية. حوالي 1941 تم أول لقائها مع الامام الشهيد حسن البنا. وفي 1948 بايعته على السمع والطاعة والعمل للمبادئ والاهداف التي رسمتها جماعة الاخوان المسلمين. ـ ابن الهاشمي ، الداعية زينب الغزالي مسيرة جهاد وحديث من الذكريات. الجزائر: دار الصديقية 1409 هـ ـ 1989 م. ص17.

والمحن التي واجهها نبيها وقدوتها وامامها محمد صلى الله عليه وسلم في بداية الدعـــــــوة .

مـــــــــارلة التسلسل :

لقد كانت هذه الداعية المسلمة من الثلة المؤمنة والطليعة المجاهدة التي تتصدى لموجـــة الالحاد التي طفت على سطح البلاد ، واستهدفت الشباب من الامة لتخنق عصبهـا المتحـرك،نفسته في مراتع الميوعة ومراتع الفساد ومواطن الانحلال الخلقي .

وكانت الحركة الاسلامية بنشاطاتها ومختلف فروعها تحاول ايقاف هذا المد المتنامي من طوفان المسخ الشامل لمحو معالم الاسلام ، هذا الطوفان القادم من وراء البحار ليهلك الحرث والنسل ، ويبيد القيم والمبادئ ، ليجعل الامة قاعا صفصفا لاحياة فيه الا لوحوش كاسرة لاتعي من وجودها شيئا الا ما يشبع غرائزها ويلهب شهواتها .

وهكذا كانت اليقظة الحارمة بعد أن انطلق شعاع الطهر من جند الاسلام ، ليعقم هذه الاجواء العفنة ويعيد المياه الى مجاريها بعد أن أسنت . عندئذ تحرك الباطل فجأة ليعبر عن سخطه ، وليجعل حدا لهذه اليقظة المزعجة فنصب لاصحابها كل ألوان الاذى والاضطهاد .

لكن الحاجة زينب الغزالي مع القلة المجاهدة من السيدات الكريمات وقفن كالطود الاشم مجددات وقفة القدوة الصالحة : آسيا بنت مزاحم ، وقفن في الصف المعارض للسياسة الجائرة ، سياسة من ادعى الزعامة وأحاط نفسه بهالة قدسية بواسطة أبواق الدعاية المغرضة ، التي خدعت الجماهير بالشعارات الرنانة وأغرقتها في بحر من فيض الحماس ، فلم تعد تعي من أمرها الا التصفيق والهتاف بحياة هذا البطل المزعوم — في حين كان ((فيه الكثيرون يتخذون موقف التقية ويقرون الطاغوت على فعله بل يصدرون الفتاوى المؤيدة لافعاله ، ويضفون عليه صبغة ترفعـه إلى مكان الألوهية — وقد أبت جماعة السيدات المسلمات أن تاخذ بما سموه رخصة أو أن تكتفي بالانتماء ، فرفعت لواء الحق وقالت كلمة الصدق في وقت تخلى فيه كثير من الناس عن الحق والصدق خوفا على مناصبهم وضياع دنياهم)) (1) .

واذا مضت كتيبة الحق لاتبالي بالرياح والاعاصير ، فان الباطل ولا شك قد استشاط غضبا لما يجرى ، ولم يقف مكتوف الايدى ، بل سعى لايقاف مسيرة الحجلة أو توجيهها غير الوجهة التي آمنت بها ولن ترضى عنها بديلا .

وكما هي سنة الباطل في ضرب الدعوات وشل مسيرتها الانقلابية لابد وأن يطوق القيادات بسلسلة من الحواجز حتى يفل من نشاطها ويمنع تسربها الى القلوب الظمأى للرى الذى يحمله

1 — زينب الغزالي الجبيلي ، أيام من حياتي ، ط 15 . القاهرة : دار الشروق 1983م ، ص 16 .

دعاة الحق . فاذا فشلت تلك المضايقات تعمد الى سياسة الفتك ، وهي سياسة تتراءى لمدبريها أنها خير سبيل لافراغ الحركة من روحها ، فاذا فقدت السفينة ربانها فلا شك انها سوف تغرق بركابها ، ونسوا أو تناسوا أن ركاب سفينة الحق هم طلاب غاية نبيلة لا يستسلمون ولا يموتون انما كل فرد منهم جندي مخلص يحمل الراية حين اليأس فيعود بالفتح المبين أو يستشهد لتخلفه جنود آخرون ولا سبيل للركب أن يستكين ، لأنها سنة رب العالمين الى يوم الدين .

وتنصب الأعين حول الداعية ، تتابع نشاطاتها المختلفة وتعمل في الخفاء لتدبير اغتيالها حتى يتجمد نشاط الاخوات وبذلك يكون للسلطة ما تريد . وها هي الحاجة زينب الغزالي التي تسرد علينا بنفسها حادثة محاولة الاغتيال فتقول :

((في مساء يوم من أيام الشتاء وفي اوائل شهر فبراير 1964 ركبت عائدة الى بيتي حين انقلبت بي عربتي إثر اصطدامها بعربة أخرى . كانت الصدمة قاسية فذهبت في شبه اغماءة ...... وغبت عن الوعي . . . وصحوت الى غرفة الاشعة وتبين وجود كسر في عظمة الفخذ . . . . وتقرر اجراء عملية جراحية . . . مضت بعدها فترة ونذر الخطر تحيط بي . . . وزالت أيام الخطر وبدأت التقارير تقال ربما يتمثل مما يوضح أن الحادث كان مدبرا من مخابرات . . لاغتيالي وتواترت الاخبار تؤكد ذلك)) (1) .

ترى أ أمانت هذه الواقعة الحاجة زينب وأقعدتها في بيتها ؟ كلا . لقد زودتها بقوة استطاعت أن تتحرك بها الظلم بعد ذلك .

فهل آن للفتاة الاسلامية المعاصرة أن تحمل مثل هذه النفس الابية الطاهرة وتصمد مثل هذا الصمود ؟ .

المساومة :

ثم يحاول الطاغية الاغراء والترغيب بعدما فشل الكيد والقتل ، لاحتواء الدعوة ، ودفع الداعية للمتاجرة بمبادئها : ((ياحاجة أنا أطلب منك شيئا صغيرا على هذه الورقة ، فاذا وقعتها سيلغي قرار الحل)) (2) . وكانت هذه الورقة استمارة انتساب للاتحاد الاشتراكي . فكان لابد للداعية من موقف ايماني مميز يتي للدعوة الاسلامية نقاءها وصفاءها وربانية وجهتها ((لا والله ، شلت يدي اذا وقعت يوما على ما يدينني امام الله بأنني اعترفت بحكم الطاغوت . . الذي قتل عبد القادر عودة وزملاءه . إن الذين غمسوا أيديهم في دم الموحدين خصوم لله والمؤمنين ولن أوقع هذه الورقة ، ان فيها ولاء للطاغية وهذا أمر مستحيل اتيانه واللـــــه

---

1 ـ زينب الغزالي ، المرجع السالف الذكر ط 2 . ص 8 .
2 ـ نفس المرجع السالف الذكر ص 10 .

يفعل ما يختار لعباده)) (1) .

ألا ما أغرب هذا الطلب ، وما أرخص هذه المساومة التي طالما تكررت ، لكن موقف الداعية دائما هو نفس الموقف لأنه أرفع من أن يرضى بالدنية في دينه ، وإن عددت حياته وحياة من معه ، ((فليست الحياة ثمرا ولعبا ، وليست الحياة اكلا كما تأكل الانعام ومتاعا ، وليست الحياة سلامة ذليلة وراحة بليدة ورضى بالسلم الرخيصة ، انما هي هذه : كفاح في سبيل الحق ، وجهاد في سبيل الخير ، وانتصار لاعلاء كلمة الله ، أو استشهاد كذلك في سبيل الله ، ثم الجنة والرضوان)) (2) .

السجن :

لقد أخفق الاغراء والارهاب في تطويق الدعوة والداعية زينب الغزالي ، وأدرك الطاغية أن ما سعى اليه بعيد المنال ، فعاد سيرته الأولى ، ينصب جام غضبه على الداعية فيأمر باعتقالها وتعذيبها ويبذل آخر ما في وسعه للتنكيل بها محاولا فتنتها عن دينها .

تقول الحاجة زينب وهي تصف ابتلاءها : ((لقد مررت بكل درجات التعذيب درجة درجة ، من جلد بالسياط كألسنة اللهب الى نهش الكلاب المدربة الى زنزانة الماء ، الى زنزانة النار ثم تكرار عملية الجلد والصلب والتعليق على الاعواد كالذبائح إلى عذاب الأعصاب والارواح)) (3) .

وهي في السجن تلاقي صنوف العذاب صابرة محتسبة ، مستغرقة في جلساتها الروحانية بحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لاتبالي بما يصيبها بما انه في سبيل الدعوة التي آمنت بها سبيلا إلى إعادة الاسلام إلى دفة الحكم والتطبيق ، يصدر في شأنها قرار مجحف يسجل فيه التاريخ أكلح الصفحات للوضع الذى ارتد اليه الحكم البائد تحت ظل التشريعات الوضعية . فلا قيم ولا مبادئ ولا حتى انسانية اصبح لها أثر في السجون التى اعدت للمؤمنين والمؤمنات ، وهو ((أن تعذب فوق تعذيب الرجل)) . ولولا أن الله ثبتها وأعانها لكانت ضحية لهذه التعليمات المنحطة انحطاط أهلها وتمرغهم بالرذائل .

اذا كان للتعذيب الجسدى آلامه التي تفرى العظم ، فان للتعذيب النفسي وقعه وأثره ، فقد كانت حياتها في السجن دوامة من السباب الذى لاينتهي ، والشتائم التي لاتمت إلى الأخلاق بصلة إمعانا في تجريح الكرامة التي لم يعرفها هؤلاء الزبانية يوما من الأيام وهم يطيعون الأوامر وينفذون التعليمات . وهكذا شنت عليها هذه الحرب الشرسة علها ترضخ :

---

1 — نفس المرجع السالف الذكر ونفس الصفحة
2 — سيد قطب ، في ظلال القرآن ج 3 ، ص 1720 .
3 — زينب الغزالي ، المرجع السالف الذكر ص 156 .

فتارة تعرض عليها الاغراءات المغرية . منصب وزيرة الشؤون الاجتماعية والسيطرة على كل الجمعيات في الجمهورية والى جانب إعادة المركز العام للسيدات المسلمات واصدار المجلة ، ومبلغ شهري مغرٍ وتمويل مشاريع المركز.

وتارة تأخذ اللهجة معها طابع الاشفاق : ((أنت التي نحلت هذا في نفسك وحقرت نفسك بهذا الشكل ، لقد أصبح شكلك قبيحا ، وأصبحت رجلاك مثل رجلي الرجل الوحش ، إن زوجك سينفر حين يراك بهذا الشكل . لقد أشفق عليك سنين سنة وزوجك صاحبي وصحبان علي . . انظري الى يديك كأنهما يدا عمال البناء)) .(1)

وتارة أخرى : يصرف الضغط إلى زوجها المؤمن : ((إما أن تطلق زينب الغزالي الجبيلي أو أن تنقل الى السجن الحربي . وقع زوجي على ماكتبوا له وهو يتسول اللهم أشهد أنني لم اطلق زوجتي . حصل ذلك وزوجي مريض أصيب بعد سماع الاحكام بشلل نصفي وكان من قبل مصابا بذبحة)) .(2)

هذا الزوج المؤمن التقي الخفي الذي رضي أن يكون رفيق الحاجة زينب الغزالي وقبل شروطها وهي الداعية المتفرغة للدعوة ، ولم يعترض يوما على خروجها لممارسة العمل الاسلامي خارج البيت ، ولم يوقفها لخدمته ورعايته

لقد كان وفيا للشرط الذي وضعته حين تقدم لخطبتها : ((ويوم ما تعارضت مصلحتك الشخصية وعملك الاقتصادي مع عملي الاسلامي ووجدت أن حياتي الزوجية ستكون عقبة في طريق الدعوة وقيام دولة الاسلام فسنكون على مفترق طريق)) .(3)

خيار صعب لاشك فيه : فأين من جعلت حياتها وقفا لدعوتها تضحي بها وتضحي من أجلها بأغلى ما تملك حتى وإن كان هذا الغالي . زوجها ، وأين من باع نفسه لله عز وجل بيعة تامة ، فيقبل مثل شرط الداعية ويفي به عن رضا وسعادة .

بعد التعذيب تأتي المحاكمة ثم تليها الدرامة وتصدر الاحكام ((زينب الغزالي الجبيلي أشغال شاقة مؤبدة 25 عاما مع مصادرة الممتلكات)) .(4)

فما يكون موقف الشامخة بأنفها إلى السماء ؟

((الله اكبر ولله الحمد في سبيل الله وفي سبيل دعوة الحق ودعوة الاسلام ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين)) .(4) عزة المؤمنين في شخص امرأة قل أن يجود بمثلها الزمان . بإيمان المتقين وصبر المحتسبين تستقبل هذه المجاهدة الاحكام لاطاعنة

1ـ نفس المرجع السابق . ط 5 ، ص 73

2ـ نفس المرجع السابق ص 138

3ـ نفس المرجع السابق ص 138

4ـ نفس المرجع السابق ص 171

في اجحافها ولا ساعية في تخفيفها لكن مؤمنة صابرة حامدة لله شاكرة له:((أحمد الله تعالى وأشكره ، وأعجز عن احصاء الثناء الواجب لجلاله سبحانه وتعالى تقدست اختارني بغير استحقاق مني لأكون على الطريق الذي اختاره لعباده : طريق القرآن والسنة ،طريق الحق الذي دعا اليه البشرية كلها ... والحمد لله الذي اختارني من بين رجال مؤمنين ونساء مؤمنات واجتباني بصحبة رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لنكون شهداء.)) (1) .

وتمر الايام وتخرج الحاجة زينب معززة من محنتها كما تخرج اللؤلؤة من صدفها، وترفض التعويض عما أصابها وزوجها وأسرتها قائلة :((إنما جهادي وما أصبت به من عنت وبلاء فهو في سبيل الله ولرفع راية الحق وتوطيد حكم الشريعة الاسلامية وان أجري على الله)) (2) .

طوبى لهذه المجاهدة ثم طوبى لها ، عرفت فلزمت ، صدقت فصدقت ، عاهدت فوفت لقد صدق من قال فيها :

ارهابهم لم ينل منك منالا   والبغي زادك عزة وجلالا
والبطش في السجن الرهيب تهاوى   وأبيت الا أن يكون محالا)) (3)

كانت هذه بايجاز ، شذرات من قبسات نورانية اقتبسناها من حياة نساء جليلات أبين الا أن يسجلن مواقفهن بأحرف من ذهب ، ترشف من رحيقها المختوم داعية اليوم وهي تقتفي أثر من سبقها من الموحدات ، المجاهدات ، الصابرات ، لربهن قانتات ، وتأخذ منهن معين الزاد الذي لا ينضب وهي تواجه في طريقها الى الله ،عنت الجاهلية من جديد .

فيا ابنة الاسلام ، يامن آمنت انه لا رب سوى الله ، وأنه لاحق يعبود إلا إياه وأن محمدا نبيه ومصطفاه إليك هذه الكلمات :

- افهمي مهمتك في هذه الحياة واجعلي غايتك مرضاة الله ،كوني كما كانت أم عمارة بفهمها الشامل للاسلام ومراميه ، وتجردها المطلق ، جهادا وتضحية في سبيل الله .

وقفي ثباتا بالحق وقفة آسيا بنت مزاحم التي لم تغرها الحياة الملكية عن طلب قرب الله ، ووقفة زينب الغزالي التي تشل الجلادون في انتزاع كلمة ارتداد عن النور الذي تحمله بين جنباتها .

وكوني وقفا للدعوة التي آمنت بها سبيلا لعودة الاسلام كما وقفت أسماء حياتها لخدمة الدعوة في أحلك أيامها ،فكانت معول بناء لمجد الاسلام وفداء لقائدها ثقة منها بأنه معلم من معالم الحق .

1- نفس المرجع السابق ص133
2- محمد علي الغزالي الجبيلي ،لماذا استقلت من حزب الوفد الجديد ،مطبعة الوفاء ، 1407 هـ - 1987م ، ص14
3- ابن الهاشمي ، المرجع السالف الذكر ص15 .

ثم كوني عند بيعتك ، وفاء واخلاصا وعملا ، وربما ابتليت أو اوذيت فاعلمي أنك على طريق الهداة المهتدين ونهج الانبياء والمرسلين فانت سليلة أصحاب الحق المبين ، ومهما طال الزمن أو قصر فلا بد ان يأتي النصر

واخيرا يمكن القول :

اننا نقف مما سبق على حقيقة بارزة وهي أن موكب الايمان منذ فجر التاريخ موكب واحد ، ودعوة الله فيه واحدة ، وسنن الله في الدعوات ثابتة : ايمان وعمل ، ومواجهة وتصدي ، ابتلاء وصبر ، ثبات ونصر ، لا يمكن ان يتفلت منها رسول أو داعية أبدا ، فلا بد من المحن ولا بد من الشدائد حتى ياتي النصر من عند الله ويكون الدين كله لله .

فلتمض العصبة المؤمنة رجالا ونساء في طريقها مستيقنة ان سنة الله جارية وأن العاقبة للمتقين .

الباب الثاني

الابتلاء خير للدعوة والداعية

وفيه اربعة فصول

الفصل الأول

الحكمة من الابتلاء

لقد اكدت كثير من الايات القرآنية والاحاديث النبوية أن المحن و الابتلاءات التي جرت للرسل والانبياء عليهم الصلاة و السلام من لدن آدم حتى محمد صلى الله عليه وسلم ،وعلى أتباعهم والداعين الى الله الى يومنا هذا سنة من سنن الله وطبيعة لدعوته ليحقق من ورائها كثيرا من الحكم والفوائد التي يمكن تلخيصها فيما يلي :-

1 - الاتصال الربي :

أمام المحن يجد الانسان نفسه ضعيفا عاجزا منسلخا من كل قوة لا يستطيع جاه ولا مال ،لا منصب ولا سلطان ،لا حسب ولا نسب أن ينقذه مما هو فيه ،ولو اجتمعت الأرض ومن فيها انسها وجنها على أن يحولوا بينه وبين هذه المحن ما استطاعوا . عند ها فقط يدرك أن كل القوى الارضية بدون سند الله عاجزة عن فعل أى شيء ،وأن لا سند له الا الله ولا حول ولا قوة له الا به ، ولا ملجأ له إلا إليه ، ولا معين ولا منقذ له الا هو ،فيلجأ الى الله ويلهج لسانه بذكره والتضرع اليه بأن ينجيه مما هو فيه ،ويصبح همه الوحيد هو كيف يرضي الله وبما يرضيه وكيف يتقرب الى الله وبما يتقرب اليه .

وهكذا تزداد صلته بالله عز وجل ،وايمانه به ،وثقته فيه واستقامته على نهجه . ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى إذ كان يلجأ دائما الى الله عندما تشتد به المحن ويقف ببابه خاشعا باكيا ويقول : اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ... ومن قبله الرسل و الانبياء والمؤمنين مثل دعاء أيوب عليه السلام : ((وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين)) (1) ودعاء يونس عليه السلام : ((وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)) (2) ودعاء شعيب عليه السلام : ((ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)) (3) ودعاء سحرة فرعون المؤمنين : ((ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)) (4) ودعاء الربيين : ((ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)) (5)

وأخيرا دعاء الفئة المؤمنة التي ثبتت مع طالوت : ((ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)) (6) .

---

1 - سورة الانبياء الاية 83
2 - سورة الانبياء الاية 87
3 - سورة الاعراف الاية 89
4 - سورة الاعراف الاية 126
5 - سورة ال عمران الاية 147
6 - سورة البقرة الاية 250

2 - تكفير الذنوب

ان المؤمن اذا أمتحنه الله في نفسه أو ماله ، أو عرضه ، أو أهله ، أو في كل عزيز عليه فصبر ، واذا تلقي في سبيل دعوته المحن والشدة والالام فثبت. كفر الله عنه سيئاته وطهره من ذنوبه وحط عنه خطاياه.

قال الله عز وجل: ((فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم)).(1)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه من خطيئة)).(2)

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما يصيب المؤمن من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه)).(3)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت : ((يارسول الله أنك توعك وعكا شديدا ، قال :أجل اني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت : ذلك أن لك أجرين ، قال : أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سيئاته ، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها)).(4)

---

1 - سورة آل عمران الآية 195.

2 - النووي،رياض الصالحين،ص 36،الحديث أخرجه الترمذي، باب الصبر على البلاء،ج4، ص 22،رقم الحديث 2910،وقال هذا الحديث حسن صحيح.

3 - نفس المرجع السابق ص 31،الحديث متفق عليه ، أخرجه البخاري في الصحيح، فتح الباري،كتاب المرض، باب : ما جاء في كفارة المرض رقم الحديث 5641 - 5642،ج10، ص 103،وأخرجه مسلم في الجامع الصحيح،كتاب : البر : باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها،ج8 ص16.

4 - نفس المرجع السابق ص31،الحديث متفق عليه،واخرجه البخاري في الصحيح،فتح الباري، كتاب: المرض، باب : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الا مثل فالامثل،رقم الحديث 5648، ج10،ص 111،ومسلم في كتاب البر ، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها،ج8 ص14.

وفي الحديث الذي رواه ابن مسعود :((ما من مسلم يصيبه أذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر))[1].

وعن أم العلاء وهي من المبايعات ـ قالت : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريضة فقال: ياأم علاء، أبشري فان مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الحديد والفضة))[2].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على امرأة فقال: ما لك تزفرين؟ فقالت: الحمى ، الا بارك الله فيها . قال: لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد))[3].

وفي المسند والنسائي من حديث أبي سعيد قال : قال رجل : أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا بها، قال: كفارات .فقال: أبي بن كعب : يا رسول الله وان قلت .قال: شوكة فما فوقها))[4].

وقال معروف الكرخي ـ صالح من الصالحين ـ ان الله يبتلي عبده المؤمن بالأسقام والأوجاع ، فيشكو الى أصحابه فيقول الله تبارك وتعالى، وجلالي ما ابتليتك بهذه الأوجاع والأسقام الآ لأغسلك من الذنوب فلا تشتكين))[5].

3 ـ رفع الدرجة .

اذا أبتلي المؤمن فصبر وثبت، رفع الله درجته الى درجة الشهيد ولا يخفى على أحد درجة الشهيد عند الله وفضل الشهادة .

1ـ السيد الطهطاوي ، هداية الباري.ج2.ص178ـ حديث متفق عليه .أخرجه البخاري في الصحيح. فتح الباري.كتاب المرض،باب:أشدة المرض.رقم الحديث 5647م 10.ص 110.وأخرجه مسلم في الجامع الصحيح.كتاب البر : باب:ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها ج.8 ص14 مع اختلاف بسيط في اللفظ.

2ـ محمد الغزالي ، خلق المسلم .باتنة،الجزائر: دار الشهاب بدون ذكر السنة ص 137. الحديث رواه أبو داوود وأخرجه في السنن ـ كتاب : الجنائز . باب: عيادة النساء.رقم الحديث 3092 .ج3.ص184.

3ـ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية .عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين الشاكرين . ط4.بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة. 1400 هـ ـ 1980م . ص 100.. أخرجه مسلم في الجامع الصحيح،كتاب البر والصلة والآداب: باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها.ج8.ص16 وأخرجه ابن ماجه في سننه . كتاب الطب . باب:الحمى رقم الحديث 3469.م .2ص1149.

4ـ نفس المرجع السابق ص103.رواه أحمد في مسنده. ج.3ص23.

5ـ نفس المرجع السابق ص109.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا، وله ما في الأرض من شيء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشرات المرات لما يرى من الكرامة، وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة))(1)

وفي صحيح مسلم أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى قناديل معلقة تحت العرش، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال: ماذا تبغون؟ فقالوا : ياربنا - وأي شيء نبغي وقد أعطيتنا ما لم تعط أحد من خلقك ؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا . فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا قالوا : نريد أن تردنا الى الدار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نقتل فيك مرة أخرى - لما يرون من ثواب الشهادة - فيقول الرب جل جلاله : اني كتبت أنهم اليها لا يرجعون))(2).

ويؤكد لنا : الحديثين التاليين بأن المبتلى له نفس درجة الشهيد ومكانته، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله عن الطاعون فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه الله تعالى على من يشاء فجعله تعالى رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع في الطاعون ، فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل أجر الشهيد))(3).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تعدون الشهداء فيكم .قالوا : يارسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد . قال: أن شهداء .

1- النووي، المرجع السابق الذكر.ص468. متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه .فتح الباري. كتاب الجهاد والسير.باب : تمني المجاهد أن يرجع الى الدنيا رقم الحديث 2817ج6. ص32. أخرجه مسلم في الجامع الصحيح كتاب الامارة ، باب : فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ج 6.ص 35.

2- سيد قطب في ظلال القرآن . ط 1. ج2.ص:144.أخرجه ابن ماجه في سننه .كتاب: الجهاد . باب : فضل الشهادة في سبيل الله.رقم الحديث 2801. م.ص(936 - 937).

3- النووي، المرجع السالف الذكر.ص30. الحديث أخرجه البخاري في صحيحه . فتح الباري. كتاب القدر.باب : قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا . ج11. رقم الحديث 6619. ص 518.

أمتي اذا قليل . قالوا : فمن يارسول الله ،قال : من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد ،والغريق شهيد)) (1) .

كما أن المؤمن إذا كانت له درجة عند الله ولم يبلغها بعمل ابتلاه الله ليرفعه اليها :

((وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العبد اذا سبقت له منزلة من الله فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده أو ماله ، أو في ولده . ثم صبر على ذلك ،حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل)) (2) .

4 — معرفة المقام عند الله ،وقوة الدين :

قضت سنة الله أن يكون الابتلاء علامة من علامات حب الله عز وجل لعباده المؤمنين ورضاه عنهم ،فاذا أحب الله عبدا ابتلاه ،وعرضه للمحن و الفتن ،فقد جاء في مسند أحمد و الترمذى من حديث محمد بن لبيد يرفعه :((أن الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله رضا ومن سخط فله السخط،زاد احمد ومن جزع فله الجزع)) (3)

((قال محمد بن تميم معنى قوله والله أعلم ،من رضى فله الرضا ،أراد أجر الصابر،قال الله عز وجل ((انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب)) (4) (5) .

وفي الحديث الذى يرويه النسائى رضي الله عنه :((إذا أحب الله عبدا ابتلاه واذا أحبه الحب البالغ اقتناه ،قالوا : وما اقتناؤه ؟ قال: لايترك له مالا ولا ولدا)).

كما ان الابتلاء يقدم الدليل على قوة دين المؤمن المبتلي ،فالله سبحانه وتعالى يبتلى عباده الصالحين على حسب دينهم ، فان كان فيه قوة وصلابة اشتدت محنتهم كما جاء في الحديث ،

عن سعد بن أبي وقاص قال: قلت : يارسول الله ،أى الناس أشد بلاء قال : الانبياء ثم الامثل فالامثل ،يبتلى الرجل على حسب دينه ،فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه ،وان كان فيه رقة ابتلي حسب دينه)) (6) .

يقول صاحب الظلال :((والله لايكلف الذين آمنوا هذا الامر ،ولا يفرض عليهم هذا الجهاد ،لانه يستعين بهم — حاشاه — على الذين كفروا . فهو سبحانه قادر على أن يقضي عليهم قضاء مباشرا : وانما هو ابتلاء لعباده بعضهم ببعض الابتلاء الذى تقدر به منازلهم)) (7) .

1— النووى ،رياض الصالحين ص478 الحديث أخرجه مسلم في الجامع الصحيح .كتاب الامارة .باب :بيان الشهداء ج 6.ص51.واخرجه ابن ماجة في سننه .كتاب الجهاد باب : فضل الشهادة في سبيل الله رقم الحديث 2804 م2 ص930 .
2— محمد الغزالي ،خلق المسلم ص135 رواه أحمد في مسنده ج 5 ص272 .
3— ابن القيم الجوزية ،زاد المعاد .م1 ج 1.ص127.
النووى ،المرجع السالف الذكر ص33.أخرج الحديث ابن ماجة كتاب : الفتن باب : الصبر على البلاء رقم الحديث 4031 م2 ص1338 — 4— سورة الزمر الاية 10.
5— الطيب برغوث معالم هادية ص123 — 6— أبو العرب ،كتاب المحن ص39 .
الحديث أخرجه الترمذى في السنن كتاب : ماجاء في الصبر على البلاء رقم الحديث 2509 وقال حديث حسن صحيح ج 4 ص28 ،واخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الفتن باب :الصبر على البلاء رقم الحديث 4023 ج 2 ص 1334 .

((ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم))[1].

5 ـ عظم الجزاء وجزيل الثواب

ان الله أعد للمبتلي الصابر المحتسب جزاء عظيما وثوابا رفيعا، وبقدر ما يعظم ابتلاء المؤمن، ويزداد صبره وثباته بقدر ما يعظم أجره ويرتفع ثوابه عند الله.

يقول ابن القيم الجوزية: ((وبمقدار ما تصبرون على هذا الاختيار وتفوزون بالنجاح فيه [illegible] رون بمقدار الصبر والسراء، تلك سنة الله فيكم وفي الأمم من قبلكم [illegible][2]

[illegible] (3)

* الحديث

وقال في حديث آخر: يود أهل العافية يوم القيامة أن لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء))[4].

وفي الترميذي مرفوعا: يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء. وقال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس))[5].

وقال تعالى: ((وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون))[6]. تبين هذه الآية عظم الجزاء المتمثل في صلاة الله على المبتلي الثابت ورحمته وشهادته له بأنه من المهتدين.

---

1) سورة محمد الآية 4.

2) ابن القيم الجوزي، المرجع السالف الذكر ج.2.ص.144.

3) النووي، المرجع السالف الذكر ص 33.
أبو العرب، المرجع سالف الذكر ص 276. رواه الترميذي في السنن. باب: الصبر على البلاء، رقم الحديث 2507. وقال حديث حسن ج4.ص.27. وأخرجه ابن ماجه. كتاب الفتن باب: الصبر على البلاء رقم الحديث 4031. م.ص.1338.

4) أخرجه الترميذي في السنن. باب: ما جاء في ذهاب البصر. حديث رقم 2513 ج ص29.
وقال: حديث غريب لا نعرفه بهذا الاسناد الا من هذا الوجه.

5) ابن القيم الجوزية. المرجع السالف الذكر. م.ص127.

6) سورة البقرة الآيات (154، 155، 156).

وفي هذا يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله : ((صلوات من ربهم ، يرفعهم بها الى المشاركة في نصيب نبيه الذي يصلي عليه هو وملائكته سبحانه... و هو مقام كريم ...... ورحمة وشهادة من الله بأنهم هم المهتدون.

وكان أمر من هذه هائل عظيم ... جزاء على التضحية بالأموال والأنفس وجزاء على الخوف والجوع والشدة و جزاء على القتل والشهادة)) (1)

وكان عمر رضي الله عنه يقول: نعم العدلان، ونعمت العلاوة للصابرين، يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى. والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير و أشار به الى قوله تعالى ((أولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و أولئك هم المهتدون)) (2)

6 - المكافأة والتعويض في الدنيا:

أكد القرآن الكريم والسنة النبوية بشكل واضح لا لبس فيه ولا غموض أن الله عز وجل يكافئ عبده المبتلي في الحياة الدنيا و يعوضه عما فقده. فقد كافأ الله زكرياء عن صبره على عدم الانجاب بيحي عليه السلام فقال الله : ((يا زكرياء أنا نبشرك بغلام اسمه يحي لم نجعل له من قبل سميا)) (3) وكافأ ابراهيم بنجاة ابنه اسماعيل وبشره باسحاق. فقال تعالى:((فلما أسلما وتله للجبين و ناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا أنا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين. وفديناه بذبح عظيم ...و بشرناه باسحاق نبيا من الصالحين)) (4). كما عوض أيوب بالمعافاة في البدن و بعودة المال والأولاد و برد الزوجة فقال عز وجل:((فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر و أتيناه أهله و مثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين)) (5). كما عوض أم سليم عندما صبرت على فقد ابنها بابن آخر و هو عبد الله و كان له تسعة أولاد يقرؤون القرآن.

---

1) سيد قطب في ظلال القرآن :م 1.ج.2 ص146
2) أبو حامد الغزالي.احياء علوم الدين م.4 ج.12 ص35.
3) سورة مريم الآية 7
4) سورة الصافات الآيات (103،112)
5) سورة الأنبياء الآية 83.

فعن أنس رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: مافعل ابني؟ قالت أم سليم و هي أم الصبي: هو أسكن مما كان،فقربت له العشاء فتعشى ثم أصاب منها فلما فرغ قالت :واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال: ((أعرستم الليلة))؟ قال نعم، قال: اللهم بارك لهما، فولدت غلاما، فقال لي أبو طلحة : أحمله حتى يأتي النبي صلى الله عليه وسلم و بعث معه بتمرات. فقال أمعه شيء؟ قال:نعم تمرات .فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها ثم أخذها من فمه فجعلها في فمي الصبي ثم حنكه وسماه عبد الله ((متفق عليه .وفي رواية البخاري قال ابن عيينة . فقال رجل من الأنصار فرأيت تسعة أولاد كلهم قرؤا القرآن يعني أولادعبد الله المولود)) (1)

قال صلى الله عليه وسلم : ((ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى(انا لله وانا اليه راجعون)) اللهم أجرني في مصيبتي و أعقبني خيرا منها الافعل الله بذلك))(2)

7 ـ دخول الجنة

ان الطريق الى الله شاقة و شائكة ، صعبة ومستصعبة ، تحتاج الى جهد و جهاد،الى صبر وثبات، الى اختبار وامتحان، ولكن كل هذا يهون وينمحي اذا تذكر المؤمن وعد الله عز وجل له بالجنة والله لا يخلف الميعاد اذ قال تعالى:((فالذين هاجروا و أخرجوا من ديارهم و أوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم ولا دخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب)) (3)

---

1) النووي المرجع السالف الذكر ص(34،33)
الحديث أخرجه البخاري في صحيحه .فتح الباري. كتاب العقيقة باب : تسمية المولود غداة يولد لمن لا يعق عنه و تحنيكه .حديث رقم 5470 ج.9.ص.589.وأخرجه مسلم في الجامع الصحيح.كتاب الآداب.باب : استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله الى صالح يحنكه وجواز تسميته يوم ولادته واستحباب التسمية بعبد الله وابراهيم وسائر أسماء الأنبياء.ج6.ص174.

2) أبو حامد الغزالي المرجع السالف الذكر.م4.ج12.ص 52. أخرجه مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند المصيبة .م.1.ج.3.ص.34.

3) سورة آل عمران الآية 195.

وقال : ((أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين))(1).

ويؤكد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوعد بالجنة : فعن أنس رضي اللـــه عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله عز وجل قال : اذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة)) (2) يريد عينيــــــه .

وعن عطاء بن رباح قال لي ابن عباس رضي الله عنه ألا أريك امراة من أهـــل الجنة ؟ فقلت : بلى قال : هذه المراة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلـــم فقالت : اني أصرع وإني أتكشف فادع الله تعالى لي ، قال : ان شئت صبرت ولـــك الجنة وان شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك ، فقالت : أصبر فقالت : إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لهـــــا)) (3).

وقال الرازي : ((وفي الخبر : أبواب الجنة كلها مصرعان الا باب الصبر فانـــه مصرع واحد وأول مـــــن يدخله أهل البلاء وامامهم أيوب عليه السلام)) (4)

8 — زيـــــــادة الاخلاص والايمان والثقـــة :

ان المحن والشدائد ، النكبات والمصائب تصهر النفس المؤمنة في بـــوتقـــــة الايمان والاخلاص فتنقيها من كل الشوائب العالقة بها ، وتمسح عنها الرياء والزيف ، وتطهرها وتصفيها لأن صاحب العقيدة الذي يتعرض للابتلاء والمحن يزداد إخلاصا لله وايمانا وثقة به وتجردا له وتمسكا بدينـــه لأنه يعلم بان الله لا يقبل الا مـــا كان له ولا ينصر الا من نصره وخلصت نفسه له لأنه عز وجل قال : ((ان تنصـــروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)) (5) وقال الامام الرازي : ((اخلاص الانسان في حالة البلاء ورجوعه الى باب الله تعالى أكثر من اخلاصه حال اقبال الدنيا عليه فكانـــت الحكمـــــة في هذا الابتلاء ذلك)) (6).

فالمؤمن حينما يشتد به البلاء ويرهقه العذاب ويتعبه الألم ويفقد كل الوسائل المادية والدنيوية للنجاة يتجه الى الله لانه هو الملجأ الوحيد والملاذ الفريد ولأن ثقتـــه في الله ورحمتـــه وفرجـــه كبيرة وكبيرة جدا ، ولانه يدرك تمام الادراك أنه سيخســـر خسرانا مبينا إن هو قنط ويئس من قدرة الله وفرجـه ، وابتعد عـــن طريقـــــه ، سيخسر الطمأنينة والهدوء ، الرضا والنعيم ، الثقة والصبر لأن كل من يدعوهــــم من غير الله من جهة أو شخص ، من صنم أو وثن ، من جاهلية قديمة أو حديثـــة لن تغني عنه من الله شيئا ، فحق فيه قوله عز وجل : ((الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)) (7).

1— سورة ال عمران الاية 142 . 2— النووي : رياض الصالحين ص34 . الطهطـــاوي هداية الباري ج1 . ص152 ، أخرجه البخاري في صحيحه / فتح الباري ، كتاب المرض باب : فضل من ذهب بصره رقم الحديث 5653 ج 10 ص116 .
3— النووي المرجع السالف الذكر ص(30 ، 31) ج1 ، ص238 متفق عليه أخرجـــه البخاري في صحيحه / فتح الباري كتاب المرض والطب ، باب : فضل من يصرع من الريح رقم 5652 ج 10 ص114 — ومسلم في الجامع الصحيح كتاب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة شاكها ج 8 ص16 .
4— الامام فخر الرازي : التفسير الكبير ج 4 ص153 . 5— سورة محمد الاية 7
6— الامام الفخر الرازي ، المرجع السالف الذكر ج 4 ص150 .
7— سورة آل عمران الاية 173 .

9- [illegible]

ان التجارب والابتلاءات تعرف أصحاب العقيدة بحقيقة أنفسهم ومكنوناتها، بمواطن ضعفها وقوتها، بمدى تعلقهم بطريق الله عز وجل فهي تكشف المخبوء وتجعله واقعا في حياتهم . فقد يظن المؤمن في نفسه القوة والصبر والاخلاص والتجرد فاذا به في مواجهة الواقع يجد في نفسه ضعفا وفي دينه رقة وبأنه لم يصل الى المستوى المتوقع . وبهذا نقول بأن الاعتقاد أو النية وحدها لا تكفي، ولابد من المحنة و الابتلاء لمعرفة الحقيقة . وصدق من قال :

ومن ادعى بما ليس فيه   كذبته شواهد الامتحان .

وقال الامام ابن باديس رحمه الله : ((ففي هذا الامتحان حجة الله على العالمين أمام أنفسهم وأمام الناس كما فيه اظهار لحقيقتهم لأنفسهم ولغيرها)) (1)

10- كسب القدرة على الثبات وإعلاء القدوة :

ان الله عز وجل إذا أراد أن يصطفي عبدا من عباده ويجتبيه لمهمة معينة وضعه على محك الابتلاء حتى يصبح أصلب عودا وأكثر ايمانا وأشد بأسا فيكسبه القدرة على الثبات بتكرار المحن . وهذا ما أبرزه لنا رسول الله صلى عليه وسلم فقال : ((مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها أخرى حتى تهيج ، ومثل الكافر كمثل الارزة المجذية على أصلها لا يفيئها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة)) (2) .

وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن كمثل الزرع لاتزال الريح تميله ، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لاتهتز حتى تستحصد)) (3) .

وهذا الصنف اذا رآه الغير في المحنة صابرا ثابتا ، محتسبا ، واقفا كالطود الأشم لايبالي بما يصيبه ، كل همه هو رضا الله عز وجل ، اتخذوه قدوة لهم ومثلا أعلى في حياتهم ، فاتبعوا خطاه واقتفوا أثره ومشوا على نفس الدرب الذي سلكه . ويقول الامام الرازي : ((ومن المعلوم أن التبع إذا عرفوا أن المتبوع في أعظم المحن بسبب المذهب الذي ينصره ثم رأوه مع ذلك مصرا على ذلك المذهب كان ذلك أدعى لهم إلى اتباعه ، مما إذا رأوه مرفه الحال لا كلفة عليه في هذا المذهب)) (4) .

1- الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من البشير النذير، ط 1، قسطينة، الجزائر، دار البعث للطباعة و النشر 1403 هـ-1983م ص242 .

2- أخرجه مسلم في الجامع الصحيح .كتاب صفة القيامة و الجنة والنار باب : مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الارز ج 8 ص136 .

3- اخرجه مسلم في الجامع الصحيح كتاب، صفة القيامة والجنة و النار باب المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الارز ج 8، ص136 .

4- الامام فخر الرازي ، التفسير الكبير ج 4 ص150 .

11 — قيمة العقيدة

اذا ابتلى رجل العقيدة وضحى من أجل عقيدته بكل عزيز وغال ، وتألم في سبيلها وبذل دمه وراحته وشهواته ولذاته ، ودفع عنها كيد الاعداء عزت على نفسه وعرف قيمتها فأصبحت الحمى الذى يلجا اليه ، والظل الذى يستظل به ، والنور الذى يهتدى به . وهكذا بقدره مايؤدي للعقيدة من تضحيات وتكاليف بقدر ما تعز على نفسه ، وبمقدار ما يزيد التألم والعنت من أجلها بمقدار مايزداد التمسك بها والبذل من أجلها . ولهذا تجده يثبت حينما يتزعزع الاخرون ويصبر حينما يجزع الغير ، ويتشبث بها حينما يتخلى عنها الجميع ، ويثق بها حينما يشك فيها الناس . فكان تحمله للبلاء شهادة أدلى بها على عظمة هذه العقيدة ودليل على سموها ونبل غايتها . وفي هذا يقول الاستاذ أحمد فائز: ((لابد من البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة كي تعز على أنفسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف)) (1) .

12 — التربية .

كل بناء يحتاج الى أساس قوى ، قاعدة متينة وأرضية صلبة يقام عليها ليقاوم الحر والقر ، الزوابع والزلازل ، وأساس الكيان الاسلامي دعاة الحق وأصحاب العقيدة وحملة الايمان من أبنائه البررة الصالحين الذين يحملون على كاهلهم أعباء الرسالة وأنواء الامانة ، وأثقال الخلافة وقيادة العالم . وهؤلاء تكفل الله بتربيتهم بالبلاء وصقلهم بالشدائد وتصفيتهم بالآلام .

وهذا الاختبار لا يقف عند الابتلاء الاول بل تتواصل التربية والغربلة بالمحن حتى لا يبقى إلا من هو أصلب عودا وأقوى عزيمة وأشد بأسا لأن الابتلاءات والتجارب الواقعية هي التي تكسب الشخصية المؤمنة نضجها وقوتها ، صلابتها ومقاومتها ، وتعلمها كيف تجتاز الدرب الشائك الطويل المملوء بالعقبات والعراقيل وكيف تتخلى عن نزواتها وتتغلب على شهواتها ، وتتحدى مغريات الدنيا وفتنتها . وخير مثال على تلك التربية المثلى ، التربية بالمحن يوم أحد وحنين إذ لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا القلة القليلة التي أنضجتها الآلام في مكة والمكائد في المدينة ، والصدود والاعراض من أهل الكفر والشرك في كل الجزيرة العربية .

13 — معرفة معادن الرجال :

إن حكمة الله اقتضت أن يبتلي الله عباده ليكشف عن معادنهم وطاقاتهم واستعداداتهم وصفاتهم ، فقد يخطئ الناس عامة وأصحاب العقيدة خاصة في تقدير مدى صلاح الانسان وصبره وحلمه وثباته ، وشجاعته لتسلم له مهمة أو يوضع في مكان أو منصب معين ، حتى اذا ما ابتلي عرفوا معدنه فاعطوه قدره ووضعوه في مكانه المناسب .

---

1 — احمد فائز ، طريق الدعوة في ظلال القرآن ج 1 ص 221 .

وفي هذا يقول الشيخ أبو فارس: ((والابتلاء بصوره المتعددة يبرز ذلك صفات الرجال .. وهذا شيء جيد جداً بالنسبة للناس حتى يوضع الرجل المناسب في المكان المناسب)) (1).

14 ـ التمحيص والتخليص

في وقت الدعة والراحة ، العز والرخاء ، رغد العيش وطيبه يندس داخل الصف الاسلامي أدعياء منافقون يقولون مايقول المؤمن وينتهجون ما ينتهج ، حتى يصعب التمييز بينهم . لذا سن الله عز وجل الابتلاء لتطهير الجماعة وتنقيتها وتصفيتها وغربلتها وتبيين الخبيث من الطيب . اذ قال عز وجل: ((ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب)) (2) ، والكاذب من الصادق فيقول : ((ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)) (3) .

والمؤمن من المنافق : ((وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين)) (4) .

وحتى يعرف المجاهدين و الصابرين : ((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)) (5) .

ويقول الدكتور أبو فارس ((ومن هنا كان هذا الابتلاء لتمييز أصحاب الهمم العالية والتقوى القويمة و العزائم الفتية ، والقلوب الواعية المخلصة ، من أصحاب الهمم الضعيفة ، والنفوس الساقطة و العزائم الخائرة والقلوب المريضة)) (6) .

ويقول الشيخ القرضاوي : ((فإبان العافية والرخاء يختلط فيها الحابل بالنابل والخبيث بالطيب ، وانما يقع التمييز من الأصيل و الدخيل بالمحن و البلاء ، كما يتميز الذهب الحقيقي من الزائف بالامتحان بالنار)) (7) .

كما سن المحنة ليطهر ما في الصدور ، ويمحصها في القلوب فيبعد عنها الزيف والرياء ويخرج منها الدخل و الأوشاب فتصبح خالصة خلوص الذهب فقال عز وجل: ((وليبتلي الله ما في صدوركم و ليمحص ما في قلوبكم)) (8) . وقال : ((وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)) (9)

1ـ محمد عبد القادر أبو فارس الابتلاء و المحن في الدعوات ص136.
2ـ سورة آل عمران الاية 179 ـ 3ـ سورة العنكبوت الاية 3
4ـ سورة العنكبوت الاية 11 ـ 5ـ سورة محمد الاية 31
6ـ محمد عبد القادر أبو فارس ، الابتلاء والمحن في الدعوات ، ص29 .
7ـ الشيخ القرضاوي الصبر في القرآن ص20 .
8ـ سورة آل عمران الاية 154 .
9ـ سورة آل عمران الاية 141 .

وخير مثال على التصفية والتمحيص قصة طالوت مع جنوده اذ لم يزل يصفيهم ويغربلهم بالامتحانات تلو الاخرى الى آن بقيت الصفوة من الجيش التي اجتازت الاختبارات بسلام ، فأول ابتلاء كان لهم هو الأمر بالقتال فلم يثبت منهم الا النزر القليل قال سبحانه وتعالى : ((فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين)) (1) .

ويضعهم مرة أخرى على محك التجارب فيبتليهم بالعطش ليميز المستعلي على الشهوات المتحكم في النزوات من الذى لا يصبر عليها فلم يبق معه الا القلة القليلة ويبين لنا القرآن ذلك في قوله تعالى : ((فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم)) (2)

وتتواصل التصفية في تلك القلة فيمتحنهم الله عز وجل بكثرة العدو ، هنا زلزل الضعفاء وثبت الاقوياء الواثقين من نصر ربهم : قال تعالى : ((فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)) (3) .

وفي الآخير برز لهم رجل تخرج من مدرسة التربية الربانية ليتولى بمفرده هزيمة الجيش وذلك بقتل قائدهم : قال تعالى : ((فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء)) (4) .

15 ـ اقامة الحجة على الأدعياء :

من السهل أن يتشدق الانسان بالكلام ويكثر من الادعاء لكن لابد لكل دعوى من دليل ولاقامة الحجة على الأدعياء الذين نسوا آن طريق الله مغرما وليست مغنما ، تضحية وليست مكسبا ، عطاء وليس أخذا ، قدر الله الابتلاء فيه تصبح الكلمة واقعا معاشا ، وحقيقة ملموسة فيسقط الادعاء ويفر أصحابه من الساحة وهكذا تقام عليهم الحجة . وفي هذا يقول الدكتور أبو فارس :

((قد يكثر في فترة من الفترات الأدعياء أو يقلون ، ولكن الوسيلة التي تكشفهم أمام نفوسهم وأمام الناس اختبارهم وامتحانهم وزجهم في الصراع مع الاعداء ، فدعي الايمان و الثبات سرعان مايولي هاربا ، ويتراجع عن كل شئ)) (5) .

---

1 ـ سورة البقرة الاية 246

2 ـ 3 ـ سورة البقرة الاية 249

4 ـ سورة البقرة الاية 251

5 ـ محمد عبد القادر أبو فارس ، الابتلاء و المحن في الدعوات ص137 .

16 - تقوية الصف وتنمية العمل واغاظة الاعداء :

اذا تعرض الصف الاسلامي الى المحن والابتلاءات والفتن خرج منها أكثر صلابة، وأمتن عودا، أشد بأسا وأقوى شكيمة يصعب على الأعداء اختراقه وعلى الادعياء البقاء فيه - لانهم تيقنوا من حتمية دفع الثمن - وتنمى العمل فأصبح اكثر تنظيما واحكاما لأن جو الابتلاء ومشاطرة الالام ربط المؤمنين برباط عقلي وروحي فتوحد التصور بتوحد الفكرة، وتألفت القلوب بوحدة الشعور، وتقوى الصف بتعميق المحبة بين افراده المبتلين فجعلهم أكثر تعاطفا وتراحما، مودة واخاء، ايمانا وعملا.

هذا كله جعل أعداء الله وحلفاء الشيطان يعضون الانامل غيظا، ويموتون حسرة، على ما أنفقوا من أموال، وقضوا من وقت، وبذلوا من جهد في التخطيط والكيد ونشر الفتن للقضاء على المؤمنين، انهم لا يصدقون أن كل هذا يذهب هباء منثورا ويتحول هدمهم للمؤمنين بناء لهم وتقوية لصفوفهم، والمحن التي سلطوها عليهم أصبحت منحا يتحدوهم بها، قل موتوا بغيظكم فلا ينصر الله الا من نصره.

17 - معرفة الأعداء :

ان الابتلاءات والمحن، الفتن والمحنت تجعل المؤمن يتعلم الكثير، يبصر حقائقا كان يجهلها، يدرك أشياء كان منشغلا عنها، يكتشف أمورا كانت تخفي عليه فكما يكتشف نفسه، يعرف طبيعة الاعداء الرابضين في الطريق، والمرابطين على الدرب ليصدوا ويمنعوا ويقفوا في وجه جند الرحمن، في وجه قوتهم الماردة التي تقضي على الباطل وتستاصل جذور الجهل، وقد صدق الله إذ قال فيهم: ((ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)) (1)، وقال أيضا: ((مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم)) (2).

فيدرك وسائل مكرهم وطرق كيدهم، ويعي طبيعة الخطة وطريقة التدبير، ويبصر مواطن القوة، ومواقع الضعف فيهم ليستغلها لصالح حزب الرحمان، وفي سبيل دعوته وليعد لهم ما استطاع من قوة ليتغلب في المعركة الفاصلة بين الهدى والضلال نزولا عند قوله تعالى: ((وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة)) (3). وهكذا نجد أن الابتلاء يعمل على اتساع الفجوة وتعميق الهوة بين المؤمنين وبين اعداء الله عز وجل.

18 - الاستبصار العلمي بالمحنة :

قد يظن الكثير أن الابتلاء هدم لابناء، تثبيط للعزائم والهمم لاتقوية لها. وقد يتصور

---

1 - سورة البقرة الاية 217
2 - سورة البقرة الاية 105
3 - سورة الانفال الاية 60

أعداء الله أنهم بتسليط أصناف العذاب و القفص في الأذى وابتكار أنواع الفتن يستطيعون القضاء على أصحاب الحق ودعوتهم واثنائهم عن مواصلة الطريق، الا أن الواقع يدل على غير ذلك فالله عز وجل خيب ظنهم ورد رجاءهم وأحبط عملهم فجعل من المحنة منحة ، ومن النكبات هبات ، ومن الخطوب فتوح ، فلقد صبر رجالات الدعوة عبر كل الازمنة وفي كل الحقب وثبتوا واحتسبوا ولم يثنيهم طردهم وتشريدهم عن أوطانهم وتشتيتهم في بقاع الارض عن نشر العقيدة ومواصلة العمل وتقديم أرواحهم رخيصة في سبيل الله ، حتى ان الصحابي الجليل خبيب بن عدى ملاء أسماع الدنيا بصيحته: ولست ابالي حين اقتل مسلما على اى جنب كان في الله مصرعي .

وضرب الرسل والصحابة وتابعيهم اروع المثل فمن حرق أصحاب الاخدود ورمي ابراهيم في النار ، الى قتل يحي الى موقف السحرة الى تعذيب محمد صلى الله عليه وسلم الى آل ياسر الى الامام احمد بن حنبل ، الى استشهاد الامام حسن البنا الى الشهداء سيد قطب ، يوسف هواش ، الى عبد القادر عودة ومحمد فرغلي ... الخ فالقائمة طويلة جدا ورصيد الالام والتضحيات ضخم جدا ، وهذا ما جعل الكثرة المتفرجة تدرك أن هذه العقيدة أغلى وأسمى مما يضحي به والا ما صبر أصحاب العقيدة هذا الصبر ولما ثبتوا هذا الثبات . وبهذا تدخل هذه الكثرة أفواجا في هذه العقيدة ، ويتحول المعارضون الى مؤيدين ، والمكذبون الى مصدقين ، والمحاربون الى ناصرين ، وهكذا تنتشر العقيدة — وهذا من فضل الله علينا — .

19 — البصيرة بسنن الله

اذا عرف المؤمن من البداية أن طريق الله بذل وعطاء ، صبر وابتلاء ، استعد لمواجهتها ووطن نفسه على الصبر على الأذى وراها على الثبات على الايمان وحافظ على دوام اتصاله بالله ، حتى اذا ما ابتلى عرف كيف يغتنم الفرصة ويستغل الموقف للتزود للدنيا وللاخرة .

وتيقن بأن تعريضهُ للمحنة ، وانزال البلاء به هو تبصير وتبيين له من الله بحقيقة الابتلاء وكنه المحنة ومعنى الفتن ، وتعريفه بأنها سنة من سنن الله .

ويقول صاحب الظلال : ((ان الذى يستيقظ لهذه الحقيقة يفيد من الشدة ويعتبر بالبلاء ، ويكسب من ورائهما حين يستيقظ)) (1) .

ويقول الامام الرازى : الغرض من الاعلام — بسنة البلاء — أن يوطنوا أنفسهم على الصبر وترك الجزع ، وذلك أن الانسان اذا لم يعلم نزول البلاء عليه ، فاذا نزل شق ذلك عليه)) (2) .

عرفنا الليالي قبل مانزلت بنا — فلما دهتنا لم تزدنا بها علما .

1— سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 1. ص 70 .
2— الطيب برغوث ، المرجع السالف الذكر ص 126 .

ثالثاً: الابتــــــلاء عـــــلاج ودواء

ان الانسان اذا استمر على العافية ودام على الرخاء وتعود على النعمة وآلف النصر، طغى وتجبر ومال الى الدنيا وظن أن مقاليد الحكم بيده، وانه لن يطال أبدا، وأن كل ماهو فيه من نعم وخيرات من صنع يديه ونتيجة تعبه وجهده، وأنها ليست بزائلة. وهذا داء يبعد النفس البشرية عن ربها وينسيها غاية وجودها وهي الخلافة في الأرض والعبودية لله. لكن الله عز وجل إذا أراد بعبده خيرا وأحب أن يذكره بخالقه ويفضله عليه ويرده الى صراطه المستقيم أنزل به البلاء وسلط عليه المحن لتكون دواء لدائه المستعصي. وفي هذا يقول الشيخ ابن قيم الجوزية رحمه الله: ((ان النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغناء طغيانا وركونا الى العاجلة وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها الى الله والدار الآخرة فاذا أراد بها ربها وما لكها وراحمها كرامتها قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق من السير الحثيث اليه فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه ولو تركه لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه)) (1).

وهكذا ندرك مما سبق بأن الله عز وجل أجرى سنة الابتلاء على عباده لخير أرادة بهم، وصدق الحبيب المصطفى عندما قال: ((ومن يرد الله به خيرا يصب منه)) (2). وهذا ما أدركه السلف الصالح فكان الواحد منهم ((اذا احس بأنه في منأى عن هذا اللون من البلاء خاف على نفسه، وهرع الى الدعاء، والى اخوانه يبثهم حاله، ويستعين بهم على ازالة مااعتراه من وحشة وشعر به من جفوة قلبية، خوفا من أن يكون ذلك إعراض من الله عنه)) (3).

1- ابن قيم الجوزية، المرجع السالف الذكر، ج 2 ص 100.
2- النووي، المرجع السالف الذكر ص 32 . . . الطهطاوي، المرجع السالف الذكر ج 2 ص 234. رواه أبو هريرة. وأبو العرب، المرجع السالف الذكر ص 277. أخرجها البخاري في صحيحه / فتح الباري، كتاب المرض باب: ماجاء في كفارة المرض رقم الحديث 5645، ج 10 ص 103.
3- الطيب برغوث، المرجع السالف الذكر ص 126.

ان الابتلاء طبيعة لطريق الله، وأصل ثابت وسنة ماضية في الحياة وعامل من عوامل التربية و التكوين في الاسلام لا يكاد يفلت منها أحد . وإن الدارس للنصوص القرآنية و السنة النبوية وسيرة السلف الصالح والدعاة الى الله تتجلى له عدة أنواع من الابتلاءات و الفتن يمكن حصرها في نوعين رئيسيين هما : الابتلاء الفردي و الابتلاء الجماعي .

المبحث 1

الابتلاء الفردي

وهو كل ابتلاء ومحنة وفتنة يتعرض لها المرء من الله سبحانه وتعالى مباشرة أو كما عرفها الدكتور أبو فارس ((ونعني بالابتلاء الفردي هنا أن هذا الابتلاء من الله سبحانه وتعالى وحده دون أن يكون أثر لـ صراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)) (1) .

ولهذا النوع من الابتلاء عدة صور نستشف بعضها من قول الله عز وجل : ((واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم)) (2) . وقوله ((ان من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم)) (3)

ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مايزال البلاء بالمؤمن و المؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة)) (4) .

الصورة 1 : البدن

قد يبتلى المرء في بدنه فيصاب بمرض خطير أو مزمن مثلما حدث لامام الصابرين أيوب عليه السلام ، قال الله تعالى : ((وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين)) (5) ، وقال تعالى : ((واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ، اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب . وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب)) (6) .

أو يفقد عضو من أعضائه أو حاسة من حواسه كحاسة البصر مثلا . فعن أنس رضي الله عنه

1- ابو فارس الابتلاء والمحن في الدعوات ص 21 . 2- سورة الانفال الاية 28
3- سورة التغابن الاية 14 . 4- النووي ، المرجع السالف الذكر ص 30 أخرجه الترمذي في السنن باب : الصبر على البلاء رقم الحديث 2910 ج 4 ص 28 . وقال هذا حديث حسن صحيح
5- سورة الانبياء الايات (83 ، 84) 6- سورة ص الآيات (41 ، 44).

الفصل الثاني

أنواع الابتلاء

وفيه مبحثان

المبحث الاول : الابتلاء الفردى

المبحث الثاني : الابتلاء الجماعي

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله عز وجل قال : اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته منها الجنة)) (1) ، يريد عينيه .

الصورة 2 : الاولاد :

ان الله وهب الأبناء ونبه عباده الى حقيقة هذه الهبة فهي ابتلاء وفتنة إذ أن الله قد يبتلي المرء بفقد ابنه ليرى هل يصبر ويحمد الله ويؤدى حقه ويقوم بتكاليف الأمانة وتبعات الايمان ويرضى بقضائه وقدره فيجاز بما هو أهلا له .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : ما لعبدى المؤمن عندى من جزاء اذا قبضته صفيه (حبيبه) من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة)) (2) ، وعن أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد)) (3) .

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : أرسلت احدى بنات النبى صلى الله عليه وسلم تدعوه وتخبره أن صبيا لها — أو ابنا — في الموت ، فقال الرسول : ارجع اليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب)) (4) وذكر تمام الحديث .

ان من واجب العبد ألا يتعلق قلبه بغير الله وألا ينصرف إلى سواه ، فان تعلق فؤاده بولد أو زوجة أو مال ... ابتلاه الله فيه غيرة على فؤاده أن يحب سواه ولنا مثال في ابراهيم عليه السلام الذى امتحنه الله بذبح ابنه الوحيد . ويعقوب عليه السلام الذى اختبره بضياع أحب أبنائه إليه في ظروف غامضة فنجحا في الامتحان .

الصورة 3 : الازواج :

ان تبعة الداعية في بيته تبعة ثقيلة لأنه مكلف من الله بالتربية و التوجيه ووقاية الأهل من النار.قال الله تعالى : ((يأأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون مايؤمرون)) (5) .

---

1 — النووى، المرجع السالف الذكر ص 30. الطهطاوى، المرجع السالف الذكر ج 1 ص 36 . الحديث أخرجه البخارى في الصحيح .فتح البارى ، كتاب المرض و الطب ، باب فضل من ذهب بصره رقم 5653 ج. 10. ص 116 .

2 — النووى، المرجع السالف الذكر ص 363 الحديث أخرجه البخارى في صحيحه.فتح البارى. كتاب الرقائق باب:العمل الذى يبتغى بهوجه الله رقم الحديث 12 ج 8. ص 161 . وأخرجه أحمد في مسنده ج 2. ص 417 . 3 — نفس المرجع السابق ص 362 الحديث أخرجه الترمذى في السنن.كتاب الجنائز باب:فضل المصيبة اذا احتسب رقم الحديث 1026 ج 2 ص . 4 — نفس المرجع السابق ص 363. الحديث متفق عليه أخرجه البخارى في صحيحه.فتح البارى.كتاب التوحيد. باب:قول الله تبارك وتعالى قل ادعو الله او ادعو الرحمن ايا ماتدعو فله الاسماء الحسنى. رقم الحديث 7377. ج 13، ص 358. وأخرجه مسلم في الجامع الصحيح . م 3 ج 6. ص 222. ط 1: 1347 هـ 1929 م

5 — سورة التحريم 6 .

الا أنه قد يمتحن بزوجة عاصية تستعصي هدايتها الى الله ، سبها الوحيد الدنيا والمال واللهو ، تضيق بدعوته واخوانه فتحاول صرفه عن أداء واجبه وتبليغ رسالته تارة بالاغراء وتارة أخرى باختلاق المشاكل والحوادث . وقد يصل كيدها إلى الخيانة مثلما حدث لنوح ولوط عليهما السلام . قال تعالى : ((ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما)) (1) .

لهذا يتعين عليه أن يختار زوجة صالحة ذات دين ، تعين لدعوته وتدعو اليها كما أوصاه الرسول صلى الله عليه وسلم : ((تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها وجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك)) (2) .

ونفس الابتلاء قد تمتحن به الداعية المسلمة ، فلتحسن اختيار الزوج ، ولتضع الشروط اللازمة التي تضمن لها حفظ دينها واستمرارية دعوتها .

الصورة 4 : الوالدين

ان للوالدين فضل على ولدهما لما قد ما له من جهد وتضحيات لتربيته ورعايته وهو مطالب بمحبتهما وبرهما واحترامهما و الاحسان اليهما ، الا أنهما قد يصيرا ن ابتلاء له في دعوته اذ انهما يقفان حجرة عثرة في طريقه نحو الله عز وجل وطاعته فيقع الولد الداعية في حيرة من أمره . هنا تدخلت العناية الالهية لتضع حدا لهذه الحيرة ، وتقرأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . قال سبحانه وتعالى : ((ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما ، الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون و الذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين)) (3) ، ((روى الترمذي عند تفسير هذه الآية أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه حمنة بنت أبي سفيان ، وكان بارا لأمه . فقالت له : ما هذا الدين الذي أحدثت ؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ماكنت عليه أو أموت فتتعير بذلك أبد الدهر ، يقال : ياقاتل أمه . ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء اليها وقال : يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت ديني ، فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي . فلما أيست منه أكلت وشربت)) (4) .

الصورة 5 : الأموال :

ان الله عز وجل قد يبتلي عبده بالتضييق عليه في الرزق وذهاب أمواله فيصير فقيرا بعد

---

1 — سورة التحريم الاية 10 . 2 — أخرجه ابن ماجة في السنن . باب : ذات الدين رقم الحديث 1858 ج 1 . ص 597 . محمد نوح ، آفات على الطريق . باتنة ، الجزائر : دار الشهاب 1988 م . ص 36 .

3 — سورة العنكبوت الايتين (8 ، 9) . 4 — سيد قطب ، في ظلال القرآن م 5 ج 20 . ص 2725 .

ما كان غنيا ، ومحتاجا بعد ما كان منفقا ، وما أصعب الفقر بعد الغنى ، والاحتياج بعد الانفاق والجود والكرم . ان الصبر في هذه الشدة ليس بالأمر الهين على النفس الابية ، ولن يستطيع الثبات فيها الا المستعلي على متاع الدنيا والمتطلع لثواب الله ورضاه .

جاء في حديث قبيصة بن مخارق الهلالي الذى رواه الامام مسلم في صحيحه تحملت حمالة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ((ياقبيصة ان المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : وذكر منهم رجل اجتاحت ماله جائحة)) (1) .

وروى ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فوضعت يدي عليه ، فوجدت حرة بين يدي فوق اللحاف ، فقلت : يارسول الله : ما أشدها عليك ، قال : انا كذلك يضعف لنا البلاء ويضعف الأجر . قلت : يارسول الله ، أى الناس أشد بلاء ؟ قال الانبياء . قلت يارسول الله ثم من ؟ قال : ثم الصالحون ، ان كان أحدهم ليبتلى بالفقر ، حتى مايجد أحدهم العباءة يحويها . وان كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدهم بالرخاء)) (2) .

وان أنس فلن أنسى أبدا ذكر صورتين أخريتين من صور الابتلاء هما : المنصب والعلم .

الصورة 6 : المنصب والسلطان :

إن سحر المنصب والسلطان فريد من نوعه لما له من قوة التأثير على نفس صاحبه . هذه القوة التي قد تحمله إلى الطغيان والضلال ، إلى التنازع والاقتتال ، إلى القهر والقمع لكل من خالفه أو عارضه أو نصحه لأن حب الرئاسة قد تملكه والغرور والكبر قد تحكما فيه وأعميا بصيرته ، فأصبحت لا تراوده الا فكرة واحدة هي : المحافظة على الكرسي حتى ولو كان فوق جماجم البشر . وصدق من قال : أخي من عشق الرئاسة خفت أن يطغى ويحدث بدعة وضلالا)) (3)

لهذا فان محنة المنصب والسلطان تعتبر من أعنف وأخطر المحن التي يمكن أن يصادفها المرء في حياته ، والتي لا يمكن أن ينجو من سحرها إلا من تسلح بسلاح الايمان والتقوى ، وأدرك أنها ابتلاء من الله سبحانه وتعالى ليرى مدى شكره وطاقته ، كما ادركها سليمان عليه السلام الذى سخر الله له ملكا لم يسخره لأحد من قبله أو من بعده .

ألا فليحذر الداعية من حب المناصب وطلب السلطان بحجة أنها تيسر له خدمة الحركة الاسلامية لانه لا أمان لعواقبها في الدنيا أو الآخرة .

الصورة 7 : العلم :

ان العلم ابتلاء في شكل نعمة ، ومحنة في شكل منحة ، يختبر بها الله عز وجل عبده .

---

1 — ابو فارس ، الابتلاء والمحن في الدعوات ، ص 23 . أخرجه مسلم في الجامع الصحيح ، كتاب الزكاة باب من تحل له المسألة ، ج 2 ، ج 3 ، ص 97 .

2 — الحديث أخرجه ابن ماجه في السنن كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء ، رقم الحديث 4024 ج 2 ص 1335 ، قال في الزوائد اسناده صحيح رجاله ثقات .

3 . محمد أحمد الراشد ، العوائق ، ط 3 ، بيروت ، لبنان ، مؤسسة الرسالة 1398 هـ ، 1978 م .

المؤمن ، وليجتازها هذا الأخير يحتاج الى عون الله عز وجل اولا ثم الى ذكاء وبصيرة وفطنة ثانيا، ليدرك حقيقة هذه النعمة فينفقها لاسعاد الناس وارشادهم إلى النهج القويم و الصراط المستقيم ، تبصيرهم بفضل المنعم ورحمته . وخير مثال لنا في هذه الصورة هو : سليمان عليه السلام الذى فهم حقيقة الامر عندما أتاه الله العلم :((ولقد آتينا داود وسليمان علما)) (1) . فقال : ((هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم اكفر؟ ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غني كريم)) (2) . وبهذا كان عالما شكورا ، وداعيا نافعا وليس عالما كفورا ، ومفسدا مستكبرا يستخدم علمه في اختراع الأسلحة المدمرة و القنابل المحطمة التي أفقدت عالمنا اليوم الأمن و الطمأنينة ، ونشرت فيه الخوف و القلق و الدمار .

يجدر بنا قبل أن ننتقل الى النوع الثاني أن ننبه إلى أن الابتلاء يكون بالشدة والبأساء كما يكون بالسراء و النعماء . وهذه الاخيرة يخشى فيها على المؤمن لشدة خطورتها ، فكثيرا من الناس يثبتون أمام كل أنواع الضيق و الضراء و القلة القليلة فقط هي التي تصمد أمام الرخاء و الاعزاء . وهم ممن قال فيهم الرسول الله صلى الله عليه وسلم : ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)) (3) . وقال بعض العارفين : ((المؤمن يصبر على البلاء ، ولا يصبر على العافية الا صديق)) (4) . وذلك لما يصاحب الانسان فيها من غرور ودعة و تثاقل إلى الأرض ونسيان للمنعم ، بينما الاولى تجعل المرء يلوذ إلى الله ويتقرب إليه . وصدق الله حين قال : ((ونبلوكم بالشر و الخير فتنة والينا ترجعون)) (5) . في هذه الآية يوجه الله عز وجل خلقه الى الفهم الصحيح والتصور السليم للابتلاء حتى يتعرفوا في تصورهم ولا يحكموا على الأمور من ظواهرها فيختل الميزان باعتبار النعمة جزاء و ثواب ، والشدة مهانة وعقوبة ويكونون ممن قال فيهم الله عز وجل :

((فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن ، وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن)) (6) .

---

1 — سورة النمل الاية 15

2 — سورة النمل الاية 40

3 — أخرجه مسلم في الجامع الصحيح . كتاب : الزهد و الرقاق . باب : المؤمن أمره كله خير ، م 2 ، ج 8 ، ص 227 .

4 — عبد الرحمن المقدسي ، المرجع السالف الذكر ، ص 286 .

5 — سورة الانبياء الاية 35 .

6 — سورة الفجر الايتين (15-16) .

المبحث الثاني

الابتلاء الجماعي

ان دعوة الاسلام تعمل على ارشاد العباد وتزكية نفوسهم وتطهير قلوبهم وتنوير عقولهم بنور الله لينهضوا ويتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيتخلصوا من كل ألوان الاستعباد و الضعف و الوهن و الخلاف ، ويقيموا دولة الاسلام ويحكموا شرع الله في الحياة . وهذا مالا ترضاه دعوة الجاهلية التي تعمل على نقيضه.لذا تجدها تقاوم مقاومة شديدة وتشن حربا شرسة حتى تحول دون قيام الدولة الاسلامية بكل ما اوتيت من قوة وحيلة ،وما امتلكت من وسائل وأسلحة دون أن ترقب في مؤمن الاّ ولا ذمة ،وهكذا يصبح طريق الدعوة مزدحم بالاحداث ، مليء بالاشواك ،مفعم بالآلام و الابتلاءات . و الابتلاء الجماعي هو:((الابتلاء الذى يحدث للجماعة المسلمة وهي تقارع أهل الكفر و الضلال فينال أفرادها من الآذى في الابدان و الأموال و الأنفس من أعدائهم ،فقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يتصارع أهل الحق و أهل الباطل ،وأن يبتلي الله أهل الحق فيجعل لأهل الباطل قوة وصولة عليهم . ولكن العاقبة تكون لهؤلاء المؤمنين أهل الحق)) (1) .

قال الله تعالى :((ولنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع ونقص من الاموال و الانفس و الثمرات وبشر الصابرين)) (2) .

ولهذا الابتلاء عدة صور منها :

الصورة 1 : حرب الاعلام و الدعاية

أدرك أولياء الطاغوت أن لوسائل الاعلام و الدعاية قدرة كبيرة على التأثير و الاقناع و التمويه وتغيير مجرى الاحداث،فاعتنوا بها اعتناء كبيرا وأنفقوا عليها أموا لا طائلة وسخروا لها العدد والعتاد لتحقيق أغراضهم الدنيئة التالية :

1 ـ تشويه صورة الاسلام و المسلمين ـ 2 ـ صد الناس عن الاسلام وتنفيرهم من المسلمين 3 ـ نشر الشبهات و الشكوك في عقيدة الاسلام وأصول الدعوة وحقيقتها وفي دعاتها ـ 4 ـ زعزعة العقيدة في قلوب المؤمنين ـ 5 ـ تشكيك المسلم في سلامة هدفه ـ 6 ـ توجيه الرأي العام اتجاه معين وغرس عقيدة معينة. 7 ـ طمس روح الصمود عند الدعاة بتحطيمهم معنويا، 8 ـ زرع بذور الضعف وروح الاستسلام في الدعاة ـ 9 ـ تفتيت الصف الاسلامي وخلخلته ليسهل اختراقه وبالتالي القضاء عليه ـ 10 ـ ((اقناع الناس بعدم التعاون معهم و التعاطف معهم

---

1 ـ محمد عبد القادر أبو فارس،غزوة أحد ،ط 1.دار الفرقان للنشر و التوزيع 1402هـ. 1982م ، ص8 .

2 ـ سورة البقرة الآية 214 .

في قضاياهم — 11— التمويه على الناس ،وتخديرهم واقناعهم بأن الاوضاع القائمة الظالمة المستبدة السائدة هي الأوضاع السلمية التي يجب ابقاؤها ودعمها والمحافظة عليها وبذل كل الطاقات البشرية و المالية و المعنوية في سبيل استمرارها،واقناع الناس أن دعاة الاصلاح الذين يريدون تغيير المنكر ومقاومة الفساد ومحاربة الشرور والاثام بأنهم مخربون ينبغي ملاحقتهم ومطاردتهم وسحقهم حتى العظم ،واجتثاث شرورهم كما يزعمون ويصورون ذلك للناس)) (1).

وفي الحقيقة لانهم يهددون مكانتهم وسلطانهم تهديدا قويا ويفضحون نواياهم الخسيسة ويظهرون حقيقتهم البشعة .

ان حقد أهل الباطل على أهل الحق يدفعهم في حربهم الاعلامية إلى استخدام كل وسيلة خسيسة،و التفنن في ابتكار الوسائل وتنويع الأساليب وحشد القوى لعرقلة الدعوة ،وصدق الله حين قال : ((ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا)) (2) ،وان لهذه الحرب الاعلامية عدة ألوان وصور نستطيع استقراءها من النصوص القرآنية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و السلف الصالح و الدعاة الى يومنا هذا :

1- الاستهزاء :

ان القرآن الكريم حافل بكثير من الايات التي تبين استخدام خصوم الرسالات هذه الوسيلة : قال الله تعالى : ((ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزئون)) (3) . وقال تعالى : ((واذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا)) (4) . وقال : ((وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون)) (5) .

وهاتين صورتين من صور الاستهزاء :

1— استهزأ ثلاثة قادة من أهل الطائف بالرسول صلى الله عليه وسلم فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك ، وقال الآخر : اما وجد الله أحدا يرسله غيرك ، وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا ،لئن كنت رسول من الله كما تقول ،لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك)) (6) .

2— ماجرى في كثير من المحاكم للدعاة الى الله في بلاد المسلمين ،وما كان يصدر من القضاة و الشرطة من كلام يهزأون به من الدعاة فيطلب قاض من داعية أن يقرأ له الفاتحة معكوسة .

1— محمد عبد القادر أبو فارس — الابتلاء و المحن في الدعوات،ص(45 ، 46).
2— سورة آل عمران الاية 186. 3— سورة الانعام الاية 10.
4— سورة الفرقان الاية 41. 5— سورة الزخرف الايتين(6 ، 7)
6— ابن هشام، المرجع السالف الذكر،ج 3 ،ص48 .

في المحكمة ، ويتبع هذا بقهقهة عالية ويشاركه فيها بنات المرء التي تجلس معه)) (1).

عجبا ، لأمر هؤلاء المبطلين كيف يرضون لأنفسهم مثل هذا الانحطاط والسقوط ، لا بل كيف لا يرضون بهذا وقد أعمى الله أبصارهم وأصم آذانهم وطبع على قلوبهم فهم إما ملحد أو كافر أو فاسق يعمل على التنكيل بالاسلام وتوهين قوة الصف الاسلامي، وقطع صلته بالناس حتى لا يسمحوا له شيئا أثرا به فتكون نهاية هؤلاء الطغاة الظالمين على أيديهم .

والذى ينبغي على الدعاة التنبه اليه أن أسلوب الاستهزاء والسخرية لم يتغير وإن اختلفت الكلمات والمناقشات باختلاف الزمان والمكان والاشخاص بل هو آخذ دائما في التطور والتنوع ، حتى يتسنى لهم مقاومته بما قام به الرسل والانبياء ومن اهتدى بهديهم فلا يطفئ حرقتهم على الاسلام ولا يخمد فيهم روح التصدى والتحمل .

2 – الاشاعة والتهم :

الاشاعة وهي أهم أسلحة أعداء الاسلام وأهمها لانهم يستطيعون بها ترويج الحقائق ، وبث البلبلة، وقلب الموازين . "لذا وجدنا الدول تهتم بها والحكام يرقبونها معتبرين اياها مقياس مشاعر الشعب نحو النظام صعودا أو هبوطا ويبانين عليها توقعاتهم للاحداث سواء على المستوى المحلي أو الخارجي)) (2) .

والملاحظ أن الاشاعات والتهم الباطلة التي يختلقها أولياء الشيطان واحدة على مر العصور وان تعددت . سنذكر منها ثلاثة فقط وهي الكذب ، الجنون ، العمالة .

أ – الكذب :

يتهم أعداء الاسلام دعاة الله بالكذب – رغم علمهم علم اليقين بصدقهم – لتشويه صورتهم وابعاد الناس عنهم وعن دعوتهم ، وتحقيرهم في عيون الناس والتقليل من شأنهم حتى لا يعتنقوا فكرتهم . وقد أكد لنا الله سبحانه وتعالى ذلك في محكم تنزيله وبين لنا بعض أقوال الطواغيت والكافرين للرسل عليهم الصلاة والسلام : قال الله تعالى : ((أم يقولون افترى على الله كذبا)) (3) ، وقال الله تعالى : ((وقال الكافرون هذا ساحر كذاب)) (4) ، وقال : ((ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)) (5) ثم قال : ((وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير)) (6) .

---

1 – محمد عبد القادر ابو فارس، الابتلاء والمحن في الدعوات ، ص56 .
2 – احمد نوفل، الاشاعة، ط 1 ، د عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع ، 1404هـ – 1983م، ص127 .
3 – سورة الشورى الاية 24 4 – سورة ص الاية 4
5 – سورة الانعام الاية 34 6 – سورة الحج الاية (10 ، 42).

((ثم أرسلنا رسلنا تتراكل ماجاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لايومنون)) (1) .

2 ـ الجنـــــــــــــون :

وهو تهمة من التهم و الاباطيل التي يتهم بها طواغيت جند الرحمن ، وصورة من صور الحملات الاعلامية التي يشنها الاعداء للتشكيك في القدرات العقلية للمصلحين ، فيستخف الناس بدعوتهم وينصرفوا عن سبيل الله ـ أليسوا مجانين كلامهم وهم وأمنيهتم خيال ـ وبهذا يحقق المبطلون أهدافهم ، وكم أكد القرآن هذه الصورة في أكثر من موضع ، قال عز وجل : ((كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوابه بل هم قوم طاغون)) (2) ، وقال تعالى ((افترى على الله كذبا أم به جنـــة)) (3) ، وقال : ((فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون)) وقال : ((فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون)) (4) ، وقال : ((كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه اني مغلوب فانتصر)) (5) ، وقال : ((قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنـــــون)) (6) .

ان ملة الكفر واحدة عبر تاريخ البشرية ، ووسائلها واحدة وان تطورت وأهدافها واحدة وإن تغيرت صياغتها . والا فكيف يتهم الرسل و الدعاة الى الله بنفس التهم على مر العصور . أيعقل أن يكون كل الانبياء و المصلحين دائمــا كاذبين ومفسدين ومجانين . إن هذا افتراء وبهتان لا يمكن أن يصدقه لبيب أو فاسق أو مارق أو طاغية لانهم متأكدين من براءتهم وإن رددتها ألسنتهم .

ان الانسان ليأخذه العجب وهو يرى في عصر العلم و التطور من يتهـــــم الاسلاميين عامة والحاجة زينب الغزالي الداعية الاسلامية خاصة بالجنون . اذ أن أحد الزبانية الذى لم يسعفه الحظ في اقناعها بخيانة إخوانها و التعامل مـــع النظام قال لها وهو يستشيط غضبا : ((أنت تريدبننا أن نفعل مثلكم ونخيب خيبتكم؟ أنت تريدينا أن نترك روسيا التي تحكم نصف العالم ونتصاع لكلام شخص مثـــل الهضيبي أو سيد قطب أو حسن البنا ؟ أنتم مجانين . . اننا لسنا مثلكم)) (7) .

3 ـ العمـــالة للاستعمـــار والخيانـــة :

قد يبتلي الله عز وجل دعاة الاسلام اليوم بمن يثيرون حولهم الاراجيف ويلصقون بهم

1 ـ ســورة المؤمنون الاية 44
2 ـ ســورة الذاريات الاية 52
3 ـ ســورة سبـــأ الاية 8
4 ـ ســورة الطـــور الاية 29
5 ـ ســورة القمـــر الايتين (8 ، 9)
6 ـ ســورة الشعراء الاية 27
7 ـ زينب الغزالي الجبيلي أيام من حياتي ـ ص 121 .

المفتريات زوراً وبهتاناً ، ويصورونهم بأنهم أعداء الوطن والشعب ، يريدون تخريب البلاد وخدمة الصهيونية ، خونة يحصلون على الأموال من مصادر أجنبية ، رجعيون يحاولون قلب النظام ، ((ارهابيون .. عملاء للاستعمار، يريدون نسف المنشآت وقتل الأبرياء للوصول الى الحكم ... إلى آخر الحملات الاعلامية المكثفة)) (1).

إن هذه الصورة هي ديدن طغاة العصر وسلاحهم الفتاك للتشكيك في نوايا الاسلاميين وأهدافهم ، وقطع الصلة بينهم وبين الشعب ، وتبرير اضطهادهم لهم ، بالرغم من تأكدهم بأن هذه التهم باطلة وبأن هؤلاء الدعاة من أخلص أبناء الوطن ولا يمكن أن يفرطوا في شبر واحد منه ومن كل الاراضي الاسلامية مهما كانت التضحيات ، وبأنهم من المحاربين الأشداء والأعداء الألداء للاستعمار سواء أكان الصهيونية العالمية أو الشيوعية الملحدة أو الصليبية الحاقدة ، ولكنه الحقد الاعمى والخوف على الكراسي والمصالح .

ان هذه التهم الباطلة وغيرها من الافتراءات كثيرا ما تتردد على ألسنة العامة والخاصة فليحذر الشباب الاسلامي من التحدث بها حتى:(1)- لا يكون قناة لترويج أباطيل الاعداء فيخدم أغراضهم وينفذ مخططاتهم و(2)- لا يضيع جهده وطاقته في الكلام واجترار التهم ويهمل عمله الجاد للاسلام ، وليعتبر هذا ابتلاء من الله ليختبر مدى صبر عبده وثقته به وليرفع به أقواما ويضع آخرين . وليستيقن أن هذه الادعاءات الباطلة دليل على أنه ماض في طريق الله فليصبر وليحتسب . قال الله تعالى : ((واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم)) (2). وقال :((واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا)) (3).

الصورة ٢ : التهديد :

مادامت الجماعة المسلمة تدين لله وتكفر بالطاغوت ، تؤمن بالاسلام وتتبع منهج الله وتعمل على تطهير الأرض من الفساد والضلال وتوعية الشعوب بحقوقهم ، فان الطاغوت لا يأمن على بغيه وباطله وسلطانه . لذا نجده يلجأ الى صورة أخرى من الأذى لردها عن دينها .

قال الله تعالى : ((ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)) (4).
وهي التهديد باستخدام القوة والبطش ان لم تتخل عن دعوتها . والقرآن يعرض نماذج من التهديد التي تعرضت لها دعوة الله منذ فجر البشرية .

أ - التهديد بالضرب والرجم :

هدد الجبابرة نوح عليه السلام بالضرب والرجم إن لم ينته عن دعوته ((لئن لم تنته يانوح

---

1 — مصطفى مشهور ، طريق الدعوة ، ص 81 .
2 — سورة النحل الآية 127 . 3 — سورة المزمل الآية 10 .
4 — سورة البقرة الآية 217 .

لتكونن من المرجومين)) (1) وهدد والد ابراهيم ابراهيم عليه السلام بالرجم ان لم ينته ،قال تعالى : ((قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا)) (2).

ب - التهديد بالاخراج :

كما هدد المستكبرون شعيب عليه السلام بالاخراج إن لم يعد الى ملة الكفر، قال الله تعالى : ((قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين)) (3)، وهدد لوط أيضا بالطرد لأنه من المتطهرين : ((فما كان جواب قومه، إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون)) (4).

ج - التهديد بالسجن :

هدد فرعون موسى عليه السلام بالسجن إن اتخذ إلها غيره، قال تعالى : ((لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين)) (5).

د - التهديد بالصلب والتقطيع :

آمن السحرة برب موسى ، فوقف الطاغية يزمجر ويهدد لعلهم يرتدون، قال تعالى ((قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين)) (6).

هـ - التهديد بالقتل :

كما هدد فرعون موسى بالقتل بمبرر الخوف على تبديل دين القوم واظهار الفساد ، قال الله تعالى : ((وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد)) (7).

ويتكرر أسلوب التهديد والارهاب مع عظماء الاسلام في العصر الحديث ويهددون بالنفي من الوطن ، والابعاد عن الاهل والولد ، والطرد من الوظيفة والدراسة ، ومصادرة الاموال والممتلكات، والتعذيب وهتك الاعراض والسجن ، والقتل إن لم يتخلوا عن الدعوة الى الله، وهذا نموذج من تهديد طاغية لداعية — وهو سجين — : لن تخرجوا بعد قضاء الحكم أبطالا معارضين للنظام واننا نعد لكم من الآن أحد أمرين . إما تحويلكم مباشرة بعد قضاء مدة الحكم

---

1 — سورة الشعراء الآية 116   2 — سورة مريم الآية 46
3 — سورة الاعراف الآية 88   4 — سورة الاعراف الآية 82
5 — سورة الشعراء الآية 92   6 — سورة الشعراء الآية (48، 49)
7 — سورة غافر الآية 26

الى معتقل مفتوح الى الأبد ، وأما الافراج عنكم لمدة أشهر تمهيدا لاعادة القبض عليكم في قضايا دعارة ومخدرات حتى لاتحظوا بشرف لافتة الاسلام مرة اخرى)) (1) .

والهدف من هذا التهديد هو : بث الرعب والخوف في النفوس حتى يصبح المرء يطير قلبه فزعا من كل رنة جرس أو دقة باب معتقدا أنه مطلوب لتنفيذ التهديدات ـ اشاعة القلق والضيق حتى لا يستقر الداعية في عمله الاسلامي لأن توقع المصيبة أعظم من المصيبة ذاتها .

- خفت صوت الحق حتى لايتجرأ أحد على ممارسة أهل الباطل والوقوف في وجههم — فتنة رجال الدعوة وصرفهم عن دعوتهم إن استطاعوا .

ان هذا المنطق دليل على عجز الباطل وعلامة على ضعفه أمام الحق وخوفه منه. لذا فعلى جند الرحمن في كل حين ألا يقيموا له وزنا ولا يعيروه انتباها لان المبطلين أضعف من أن يخشاهم مسلم باع نفسه لله ، وآمن بأن القوة الوحيدة التي تخاف هي قوة الله ، وبأنه الوحيد النافع والضار ومالك الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء قدير ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، فيكونوا ممن قال فيهم الله عز وجل : ((الذين استجابوا لله والرسول من بعدما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين)) (2) .

الصورة لا : مصادرة الاموال والممتلكات :

ان كل حركة اسلامية تعمل على اقرار منهج الله تحتاج الى وسائل لايصال مبادئها ونشر دعوتها وتأصيل فكرها . ولكي يتمكن الطغاة من تعطيلها عن تبليغ رسالتها وتضييق مجالات عملها واستئصال جذورها لجأوا إلى عزلها عن وسائلها هذه ، فصادروا أموالها واستولوا على ممتلكاتها وعلى كل وسيلة تساعدها على تحقيق أهدافها .

تذكر كتب السيرة أن الجاهلية لما ضيقت على المسلمين الأوائل وقررت فتنتهم عن دينهم مهما كلفها الأمر ، فروا بدينهم الى المدينة تاركين الأموال والممتلكات فاخذها المشركون ظلما وانتقاما . أما الصحابي الجليل صهيب رضي الله عنه فقد خيرته بين الهجرة والاموال فاختار الالتحاق بالرسول صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيه ((ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد)) (3) .

---

1 ـ عبد الحليم خفاجي . عندما غابت الشمس . ط3، الكويت : مكتبة الفلاح ، 1403هـ - 1983م ، ص469 .
2 ـ سورة آل عمران الايات (172 ـ 174) .
3 ـ سورة البقرة الاية 207 .

قال ابن كثير في التفسير: قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعكرمة وجماعة : أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله وان أحب أن يتجرد منه ويهاجر فعل ، فتخلص منه ، وأعطاهم ماله ، فأنزل الله فيه هذه الآية ، فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة الى طرف الحرة فقالوا له : ربح البيع . فقال : وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم وما ذاك فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية .. ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ربح البيع صهيب)) (1) .

عندما احتل الاستعمار الفرنسي جزائرنا الحبيبة عمل على افقار شعبها وتجهيله وقطع أية صلة تربطه بمن يوضح له معالم الطريق الصحيح ، طريق الجهاد ، ويفهمه حقيقة الاستعمار البشعة فاغتصب الاموال و المنازل و المزارع و الأراضي وكل الممتلكات وشرد أهلها ، أغلق المدارس ومنع التعليم الاسلامي وحول أغلبية المساجد الى كنائس ، وصادر المطبوعات و الصحف و الجرائد كجريدة (ميزاب) (2) التي أصدرها الشيخ العلامة الصحفي أبو اليقظان ، وجرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (المنتقد ، السنة ، الصراط ...) .لكن شاء الله عز وجل أن يبصر الشعب الجزائري بسبيل النجاة وطريق الخلاص فكان النصر حليفه ((وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)) (3) .

أما عن عصرنا عصر الظلم والجور ، القوة و السلطان ، الزور والبهتان ، فقد اتفقت قوى الشر والجبروت على تعرية كل الحركات الاسلامية من مكتسباتها ووسائلها وعلى رأسها كبرى الحركات الاسلامية الحديثة التي حشد الفراعنة كل قواهم وسخروا كل طاقاتهم لعرقلتها وخنق صوتها أو بالأحرى للقضاء عليها ، فصادروا أموالها صحفها ، مجلاتها وكتبها ، واستحوذوا على مدارسها ، مراكزها ، دورها ، مستشفياتها الاقتصادية ، وأنديتها الرياضية ، وحتى ممتلكات رجالها الخاصة كالسيارات و المنازل وذلك بعد محاكمة صورية جائرة باطلة كان فيها الطاغوت هو القاضي ووكيل النيابة والدفاع في نفس الوقت . لكنهم لم — ولن — يستطيعوا مصادرة العقيدة والايمان لأن محلها القلب والقلب بيد الرحمن .

ان الله عز وجل قد بصر الجماعة المسلمة من البداية بطبيعة طريقها وطبيعة أعدائها فقال : ((لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا)) . وفي نفس الآية بين لها أن زاد الطريق هو الصبر و التقوى فقال : ((وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور)) (4) .

فعلى الجماعة المسلمة التي تجاهد لاعادة الخلافة الاسلامية وتحكيم المنهج الرباني أن لاتنسى هذا التوجيه الالهي أبدا إن أرادت النجاح في مهمتها .

---

1 — سيد قطب في ظلال القرآن م 1 ج 2 ص 206 .
2 — ابو الصفصاف جمعية العلماء . ص 59 .
3 — سورة الاسراء الاية 81
4 — سورة ال عمران الاية 186

الصــــــورة 4 : الاغـــــــراء :

اذا استعصى على أعداء الله اقتلاع الدعوة الاسلامية من قلوب وعقول الدعــاة بوسائل الترهيب والايذاء لجأوا الى وسائل الترغيب والاغـراء . والغرض مـن هـذه الوسيلة هو استدراج الدعاة إلى ترك العمل و التراجع عن الفكرة و التنازل عن المبدأ - اعطاء الولاء للطغاة - شراء الضمائر و الذمم - استخـدامهم كأداة لهدم الدعـوة واستدراج إخـــوانهم .

إن الاغراء من أخطر الابتلاءات التي تعترض طريق الرجل الرسالي لأن جذبهـا شديد والانزلاق فيها سهل. فالكثير يصمد أمام التعذيب و الشدائد ولكن القليل هـو الذى يثبت أمام الاغراءات و المساومات لأن الاول يبعث في النفس البشرية التحـدي و الاصرار و العناد و الثاني يبعث فيها الراحـة و الاطمئنـان و الاسترخاء فتفقـد القدرة على الصمود و الثبات و تسقـط .

جاء في كتب السيرة و التاريخ الاسلامي صورا شتى من تحدى الجاهليـــة للدعوة الاسلامية بالاغراء و الترغيـــب .

- عرض المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك والمال و الجـــاه فرفضها باستعلاء المؤمن وعزته. وكيف يقبلها منهم وقد رفض كل اعراض الدنيا ومتاعهـا عندما عرضت عليه . أخرج الترمذى عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليـه وسلــم قال : ((عرض علي ربي أن يجعل لي بطـحاء مكة ذهبا فقلت : لا يارب أشبع يومـا وأجوع يومـــا)) .(1)

- واغرى ملك الروم عبد الله بن جذافة السهمي رضى الله عنه بالملك و السلطـان فرفض حتى وان أدى ذلك إلى هلاكه : ((أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي رافــع قال : وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه جيشا إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبد الله ابن جذافة من أصحاب النبى ، فأسروه الروم ، فذهبوا به الى ملكهم. فقال له الطاغية: هل لك أن تنصر وأشركك في ملكي و سلطاني ؟ فقال له عبد الله : لو أعطيتني مـــا تملك وجميع ما ملكته العرب ، على أن أرجع عن ديـن محمد صلى الله عليـــه وسلــم طرفة عين مافعلــــت)) .(2)

- وحاول ملك غسان اغراء كعب بن مالك رضي الله عنه بالعزة و الكرامة و الجاه فأعرض عنه بالرغم من الشدة التي كان يعانيها لأنه أدرك أن هذا ابتلاء من اللــــه، فصبر : قال كعب : ((بينما أنا أمشي بسوق المدينة اذا نبطي من أنباط الشام مـــن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدلني على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون إلي ، حتى جاء فدفع الي كتابا مـن ملك غسان ، وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه: أما بعد ، فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعــة فألحق بنا نواسيك . فقلت حين قرأتها ، وهذه أيضــــا

---

1 - حسين بن محسن بن على جابر ، المرجع السالف الذكر، ص 227 .
الحديث أخرجه الترمذى في السنن باب : ماجاء في الكفاف و الصبر عليه رقــم الحديث 2451 ، ج 4 ، ص ج .
2 - الشيخ الكاندهلوى ، حياة الصحـــابة ، ج 1 ، ص 302 .

من البلاء ، فتيممت بها التنور فسجرتها)) (1) .

ـ كما حاولت الصهيونية البغيضة و الصليبية الحاقدة اغراء السلطان عبد الحميد رحمه الله بالأموال الطائلة و الجاه ليتخلى لهم عن قطعة أرض من فلسطين،فأبى رخا ل قولته المشهورة : ((إن هذه الارض ليست أرضي ولكنها أرض المسلمين وقد رووها بدمائهم ،وفي كل شبر منها شهيد ،ولا أملك أن أتنازل عن شبر واحد منها)) (2) . فدفع حياته ثمنا لذلك .

ـ نفس الوسيلة استخدمها الطواغيت مع الدعاة الاسلاميين المعاصرين لكنهم باءوا بالفشل الذريع ،ولم يجدوا أمامهم إلا رجالا عمالقة يحملون في صدورهم عمق الايمان وشدة الثبات على الحق والاستهانة بمتاع الغرور (المال ،الجاه، المنصب ، السلطان ...) ولسان حالهم يقول : ((قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء)) (3) ، ((قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات و الارض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين)) (4) . ((اللهم لاعيش الاعيش الاخرة)) (5) . من بين هؤلاء الصامدين الرافضين الشهيد سيد قطب رحمه الله و الداعية الاسلامية الحاجة زينب الغزالي حفظها الله وسدد خطاها :

ـ أغرت السلطة الشهيد سيد قطب بمنصب وزير المعارف ، ومنصب السكرتيرية العامة لهيئة التحرير ، وعرضت عليه ـ وهو سجين ـ أن يكون مرشدا عاما للاخوان المسلمين مكان المرشد حسن الهضيبي رحمه الله (6) ،وطلب منه عملاء الشيطان أن يكتب تاييدا للطاغوت ان أراد .

ـ وقد حكم عليه بالاعدام شنقا ـ الخروج من السجن ،فسخر من مساومتهم وقال : ((ان كنت حكمت بحق فأنا ارتضى حكم الحق ،وان كنت حكمت بالباطل فأنا أكبر من أسترحم الباطل ،وان أصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية مرات في اليوم لترفض أن تكتب كلمة واحدة تقربها حكم طاغية)) (7) .

ـ كما اغريت الحاجة زينب الغزالي بمنصب وزيرة الشؤون الاجتماعية والغاء قرار جماعة السيدات المسلمات واعادة إصدار مجلتها واعادة المركز العام وصرف مبالغ طائلة إعانة لها مقابل التعاون معهم وادلاء شهادة زور . (8) لكنها أصرت على رفضها بالرغم من الحاحهم وتهديداتهم .

1ـ اعداد جمال ماضي،غزوة تبوك ، سيد قطب،ط2،الجزائر،مكتبة رحاب 1408هـ 1988 م،ص83 ـ 2 ـ محمد قطب،واقعنا المعاصر،ص372 .
3ـ سورة الانعام الاية 166 4ـ سورة الانعام الاية 15
5ـ أخرجه البخاري في صحيحه،فتح الباري،كتاب الرقاق باب ماجاء في الصحة و الفراغ وأن لاعيش إلا عيش الآخرة،رقم الحديث 2،ج 8 ،ص158 .
ـ وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد و السير،م 6،ج 12،ص172 .
6ـ صلاح شادي،الشهيدان ص61 .ـ 7ـ محمد عبد القادر أبو فارس،أسس في التصور الاسلامي، ط 4،باتنة،الجزائر،دار الشهاب 1407هـ ـ 1987م،ص75 .
8ـ زينب الغزالي،المرجع السالف الذكر،ص(16 ، 19 ، 61 ، 79 .) بتصرف .

ان الانسان الذي تمكن أنصار الباطل من مساومته وشراء ضميره لا يستطيع خدمة الاسلام،لأن الدنيا قد فتحت له ذراعيها فأقبل عليها ، والدنيا كالمغناطيس تستدرج الشيء حتى تمسك به .

قد يبدو من أول وهلة أن هذا التعامل من باب الحكمة واللين والجدال بالتي هي أحسن لكن في الحقيقة هي بداية الانزلاق والسقوط،وشراء الدنيا بالآخرة لأنه قد جعل من الاسلام وسيلة للتكسب وارتقاء المناصب .

وبناء على هذا ، فليتحرز الداعية حتى لا يسقط في مثل هذه المنزلقات وليعلم أنه لا يحميه من هذا الابتلاء إلا : التحصن بالايمان ، الزهد ، التقوى، المراقبة الدائمة ، المجاهدة المستمرة ، وعرض أعماله صغيرة وكبيرة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العـــــــوائق : الاخـــــراج والتشريـــد :

كلما اتسعت رقعة الدعوة الاسلامية وازداد عدد الملتحقين بها اشتد غيظ أعدائهـــا وتفننوا في الكيد لها والتربص بها ، وحرصوا على ايذاء أبنائها والتضييق عليهم بالطرد والتشريـــد والاضطهـــــاد .

ان رسل الله وأتباعهم لم يفلتوا من هذا الابتلاء فابراهيم ولوط عليهما السلام أخرجوا اضطرارا من أوطانهم والرسول صلى الله عليه وسلم غادر أحب بلد اليـــه مكـــــة مكرها بعد ما أخبره الله عز وجل بتآمر قريش عليه تاركا وراءه الاهـــل والاقارب .

والصحابة رضوان الله عليهم أرغموا على الخروج من أوطانهم نتيجة التضييـــق والتعذيب والقهر . قال الله تعالى : ((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن اللـه على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله)) (1).

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ضاقت عليه الأرض بما رحبت فاضطر الى الهجرة الى الحبشة فأعاده ابن الدغنـة الى بلده وأجـــاره .

((قال ابن اسحاق : حدثني الزهري عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنهـــا قالت : . . فقال أي ابن الدغنة : أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجني قومي وآذونـــي وضيقوا علي . قال : ارجع فأنت في جواري ، فرجع معه ، حتى اذا دخل مكـــــة قام ابن الدغنـــة فقال : يامعشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحـــافـــة فلا يعرض له أحد الا بخير . قالت : فكفوا عنه)) (2)

ـ وهذا الشيخ البشير الابراهيمي الرئيس الثاني لجمعية العلماء المسلميـــن الجزائريين حكم عليه بالنفي الى منطقة أفلو بالجنوب الوهراني ، بسبب امتناعـــه عن التحدث إلى الشعب

1ـ ســـورة الحج الاية 38

2ـ ابن هشام،السيرة النبويــــة ج 2،ص 16 .

في الاذاعة الجزائرية بهدف حث الجزائريين على الوقوف باخلاص إلى جانب فرنسا في حربها ضد دول المحور ، ولم يسمح له بالدخول إلى الجزائر إلا سنة 1949م، وذلك بعد أن كان قد نفي في شهر أفريل سنة 1940 م (1).

وكذلك في عصرنا فان الدعاة الاسلاميين قد تعرضوا إلى النفي و المطاردة وعانوا آلام الغربة و الوحشة عن الوطن و الأهل ،كما تعرضت الشعوب الاسلامية في فلسطين ولبنان وأفغانستان . . . وفي كل بقعة مغتصبة من الأراضي الاسلامية إلى التشريد و النفي لا لشئ الا أنهم مسلمون .

ان المتدبر في هذا الابتلاء يدرك أربعة أمور :

1ـ أن هدف الذين أخرجوا إخراجا من ديارهم وأوطانهم هو رضوان الله وفضله ونصرة الله ورسوله . قال الله تعالى : ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا و ينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)) (2).

2ـ أن السبب الذى أكرههم على الهجرة هو الأذى و الاضطهاد و التعسف.

3ـ أن الحركة الاسلامية تستفيد من نفي دعاتها وتشريدهم بايجاد قاعدة جديدة تنطلق منها لنشر دعوتها ومواجهة قوى الكفر وعملائهم .

4ـ أن النفي و الغربة أمر عسير و تضحية عالية لا يستطيع تحملها إلا من كان ارتباطه بعقيدته ودعوته أقوى من أى ارتباط آخر كالمال و الأهل و الوطن . . . قال الله تعالى : ((قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين)) (3).

الســـجن

السجن وسيلة ارهابية يسلطها أهل الباطل على أهل الحق لتحقيق الاهداف التالية :

1ـ قطع علاقات الداعية بمحيطه وعزله عن اخوانه حتى ينسف ويلين، فتنهار حتى يترك مبادئه وتأييد المبطلين. 3ـ تقييد حريته وتذليل إرادته 4ـ إذلاله وإهانته حتى يفقد قدرته على المقاومة و التحدى يفقد العزة و الكرامة : ((ليسجنن وليكونن من الصاغرين)) (4). 5ـ بث الرعب في نفسه حتى يعترف بما يريدون ونيمن حوله يتركوه. 6ـ دفعه الى الاضطراب بل الانهيار العصبي حتى يصبح عنصرا سلبيا في المجتمع. 7ـ ابعاده عن مراكز التأثير

1ـ ابو الصفصاف ، المرجع السالف الذكر، ص 212 .
2ـ سورة الحشر الاية 8
3ـ سورة التوبة الاية 24
4ـ سورة يوسف الاية 32

التي يستطيع منها كسب أنصار . 8- افساد أهله وتعطيل أبنائه عن الدراسة لغياب الأب ، والحالة النفسية المحيطة بهم . ان هذه الأهداف وغيرها قد أجملها الاستاذ خالص جلبي في نقاط : (1)

1- كسر العلاقة بين المناضل ومثله الأعلى حتى يتوقف عن متابعة جهاده وذلك ب : تأديب صاحب الفكرة حتى ليلة توقفه عن متابعة النشاط ولا مانع من أخذ كتابة خطية يتعهد فيها بهذا - وهي ضمانا كافيا - الا أن فيها بعض الامتيازات للسلطة :

أ - اذلال المعتقل واملاء شروط لتعهدات قاسية عليه ، قد يواجه بها فيما بعد ، أو يشهر بها بين الناس وخاصة إذا كان له مركز جماهيري أو حزبي .

ب - وثيقة اقتناع للسلطة في توقف هذا النشاط .

جـ - وثيقة اقتداء لرفاق الطريق في أن يفعلوا كما فعل صاحبهم .

2 - كسر حلقة الاتصال بين العنصر و الامة ، ويساعد على ذلك :

ا - كسر هذا الجسد .

ب - أن يستولي الشعور على الفرد بأن هذه الفكرة التي يحملها ما هي الا مصدر شقاء وعنت له ، تماما كمن يحمل في جيبه أفعى سامة .

جـ - الانعكاس النفسي على من يحيطون بالعنصر الفعال كي يهربوا من حوله لان الدور ينتظرهم . أي باختصار اعتقال عينات ليس لذاتها ولكن لارهاب غيرها .

3- تثبيط النشاط في الوسط الداخلي الذى يعمل فيه الفرد .

نذكر ثلاث نماذج فقط لهذا الابتلاء :

- لقد سجن ملك مصر يوسف عليه السلام بضع سنين ظلما وعدوانا بدون أن يقترف جريمة الا جريمة العفة و النزاهة .

- وفكر الكافرون في توثيق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبسه حتى الموت للقضاء على رسالته . قال الله تعالى : ((واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) . (2)

- وسجنت أم مصعب مصعبا رضي الله عنه عندما سمعت باسلامه .

أخرج ابن سعد عن محمد العبدري عن أبيه قال : ((فكان يختلف (مصعب) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا فبصر به عثمان بن طلحة يصلي فأخبر أمه وقومه فأخذوه فحبسوه فلم يزل محبوسا حتى خرج الى أرض الحبشة في الهجرة الاولى)). (3)

1- د . خالص جلبي ، ظاهرة المحنة محاولة لدراسة سننية ، ط 1 ، الكويت : دار القلم 1400 هـ - 1981 م . ص (76 - 78) بتصرف .

2- سورة الانفال الاية 30 .

3- الشيخ الكاند هلوى ، المرجع السالف الذكر ، ج 1 ، ص 302 .

بعد ما أعطينا امثلة من الرعيل الاول ننتقل مباشرة الى العصر الحديث الذى يعاني أزمة سجون ليس لقلتها فعددها كبير جدا وانما لكثرة المعتقلين؟ فأي طاغية في أى بلد حتى البلد الاسلامي يزج بالعلماء والدعاة والشباب الاسلامي رجالا ونساء — في السجون، بل يزج بكل من يرى مؤديا للصلاة أو حاملا للمصحف، والمتتبع لأخبار المسلمين والحركات الاسلامية عبر العالم يعلم أن الحكـــام يختلقون تهما ويفتعلون حوادثا يتم على أثرها اعتقـــال عشرات الآلاف من أبنـــاء الصحوة الاسلامية وقادتها المرة بعد الاخرى — بدون محاكـــمة أو بمحاكـــمة شكلية باطلة تتراوح فيها الاحكام بين السجن والاشغال الشاقة والاعدام — وممارسة أبشع أنواع التعذيب الوحشي عليهم: الضرب، الحرق، الجوع، البرد، التفتيش، المنع من النوم أو الحـركة، حرمان المريض من الأدوية أو حتى من الماء، قطـــع الزيارات والخطابات إلا الحاملة للأخبار السيئة، تشريد الأبناء، تطليق الزوجات... أى كل الضغوط المادية والمعنويـــة التي عبر عنها الشيخ يوسف القرضاوى حفظـه الله أحسن تعبير في قصيدة.

الواجب على الدعاة التنبيه الى أمر هام وهو: أن الطواغيت يستهدفون دائما قادة الحركات الاسلامية والعناصر الفعالة فيها، أى المحـرك الأساسي لها ليضعوا أيديهم على تنظيـم الحركة ثم توقيف عملها. فان لم تتوقف طاش صوابهم وعمدوا الى الاعتقالات الجماعيـــة ..

— هذه الاخيرة تخدم الدعوة لأنها تكشف بسرعة فائقة عن عمل الطغاة وحقيقـة نواياهم عكس الاعتقال الفردى الذى تستطيع اخفاءه لمدة معينة) —، لذا فعلـى الدعاة أن يجعلوا الحركة كخلية نحل لكل عنصر فيها مهمـــة، حسب الطاقـــة والتخصص والتفاعل والتجربة — حتى اذا ما ماتت ملكة النحل حلت محلهـــا آوتوماتيكيا ملكة أخرى وتتابع العمل لان النشاط غير متمركز عند عنصر واحد وانمـــا موزع على كل العناصـــر.

ان ما يحدث داخل السجون يوهم المرء أنها بداية التصفية الجسدية ونهايـة الدعوة الاسلامية لكن في الواقع هي مدرسة إلهية يتربى فيها الجيل الرسالـــي بالاحـداث تربيـة صحيحة يفقه فيها القرآن، يدرك قصص الانبياء، يفهم معانـــي الأخوة والصفاء والوحـــدة — تجريبيا —، يلمس حقيقة الايمان ويوطن على الصبـر والتضحية والثبات. ويؤكد هذه الحقيقـــة الأستاذ مصطفى مشهـور حفظـــه الله في كتابه: طريق الدعوة بين الاصالة والانحـراف: ((كما أن السجن وان كان تضييقا وتعطيلا للطاقات ولكنه مدرسة نافعة لأصحاب الدعوات وفرصة لاعداد العناصر الممحصة المتجـردة الصابرة، التي تضرب المثل والقدوة في الثبات على الحق رغـم الشدائد وطول الزمن. واذا انحسر نشر الدعوة بعض الشيء أثناء المحن وهو الانتاج الافقي فانه يحدث تعويض بالانتاج الراسي في التربية والتكوين وصقل النفوس وتركيتهـــــا))(1).

---

1 — مصطفي مشهور، طريق الدعوة بين الاصالة والانحراف، باتنة، الجزائر، دار الشهاب، 1404 هـ - 1984م، ص85.

الصــــــورة 7 : التعذيـــب

العجز أمام اهل الحق شعور يجعل الطاغية يستخدم كل جديد من وسائــــل الايذاء والتنكيل ويصب على سالكي طريق الدعوة ألوانا من التعذيب و الاضطهـــــاد ما تقشعر لذكره الأبدان و تعجز عن وصفه الألسنة . و التاريخ الاسلامي حافــل بألوان كثيرة من التعذيب يمكننا ذكر بعضهـــــا :

أ — الضـــــرب :

أول انسان يجدر بنا التحدث عن ضربه هو قدوتنا و حبيبنا محمد صلى اللـــه عليه وسلم اذ أنه تعرض للضرب في الطائف عندما ذهب طالبا النصرة فأغرى بــــه أهلها سفهاءهم فرموه بالحجـــارة حتى أدموا رجليه الشريفتين .

— كمـا ضرب أبو بكر رضي الله عنه و المسلمون ضربا شديدا وهم يدافعــــون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صدع رأس أبي بكر . قال ابن اسحـــــاق: وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر ، أنها قالت : رجع الينا أبو بكر يومئذ وقـد صدعوا فرق رأســـــه ، مما جذبوه بلحيتــــه وكان رجلا كثير الشعر)) (1).

واخرج ابن سعد عن أنس رضي الله عنه قال : .. فوثب عمر — قبل اسلامــه — على ختنه فوطأه وطأ شديدا فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحـــة فدمى وجهها)) (2).

عن اسحاق القروى قال : ((ضرب مالك بن أنس رضي الله عنه . ونيل منــه وحمل مغشيا عليه)) (3).

— ((روى عن داود بن راشد الواسطي أنه قال : كنت شاهدا حين ضرب الامام (أبو حنيفة بن النعمان رضي الله عنه) كان يخرج كل مرة فيضرب عشـــرة أسواط حتى ضرب مائة وعشرة أسواط فلما تتابع عليه الضرب قال مثنيا : (اللهـــــم أبعد عني شرهم بقدرتك) فلما أصر على موقفـــه ، دسوا له السم فقتلوه)) (4).

ب — التعذيـــب بالنـــار :

تعرض المسلمون للتعذيب بالنار منذ فجر الاسلام . أخرج الامام أحمد وابـــن ماجه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أول من أظهر الاسلام سبعة رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم و أبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب و بلال ، و المقـــداد رضي الله عنهم .. وأما سائرهم فاخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديـــد وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد الا وقد أتاهم على ما أرادوا الا بلالا)) (5).

1 — ابن هشام ، المرجع السالف الذكر ج 1. ص 259 .
2 — الشيخ الكند هلوي ، حياة الصحابة ، ج 1. ص 297 .
3 — الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي ، الفضل المبين ص 230 .
4 — فتحي يكن . قوارب النجاة في حياة الدعاة باتنة ، الجزائر ، دار الشهاب ص 44 .
5 — الشيخ الكاند هلوي ، المرجع السالف الذكر ج 1. ص 2[illegible] .

— وأخرج أيضا عن عمر بن ميمون قال : أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار. قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به ويمر يده على راسه فيقول: يا ناركوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم عليه السلام ، تقتلك الفئة الباغية)) (1).

— وعند أبي نعيم في الحلية عن الشعبي قال : قال (((خباب واصنا تحذيبة: أوقدوا لي نارا ، فما أطفأها إلا ودك (الشحم) ظهري)) (2).

3 — الربط والعلاج:

وهو نوع آخر من التعذيب استعمله الكافرين مع المسلمين .((أخرج ابن سعد عن محمد بن ابراهيم التميمي قال : لما أسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذه عمه الحكم بن العاص بن أمية فأوثقه رباطا)) (3).

— أخرج أبو النعيم في الحلية عن أبي الأسود قال : .. كان عم الزبير — بن العوام - يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار . وهو يقول : ارجع الى الكفر فيقول الزبير : لا اكفر أبدا)) (4).

4 — التغريق في الماء :

لون آخر من التعذيب الذى ذاقه أهل الحق : أخرج أيضا محمد عن النبي صلى الله عليه وسلم لقي عمارا وهو يبكى ، فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول : أخذك الكفار فغطوك في الماء ، فقلت كذا وكذا . فان عادوا فقل ذلك لهم)) (5).

5 — التعذيب بالأحبة :

وهو من أقسى أشكال التعذيب وأمرها على النفس لأن الفرد يستطيع أن يتحمل التعذيب في نفسه لكنه لا يقبل ولا يتحمل تحذيب ابنه أو زوجه أو شيخه ، وهذا ما جادت به قريحة أبي جهل عندما كان ((يسمع سمية تردد هذه الكلمات . أحد أحد — تزداد ثورته ويتفنن في ضروب الانتقام من آل ياسر دون جدوى ، بالغ في تعذيب ياسر الزوج ليثير تعذيبه اشفاق زوجته ولا فائدة . عذب الابن ليثير تعذيبه حنان أمه ولا جدوى . وكانت اللحظات الحرجة تمر ، وقد راحت الرمال الساخنة تلهب جسدها ، وهي لا تبالي ويرتفع صوتها مرددا أحد أحد)) (6).

6 — التجويع والعطش والتعري :

يموت قلب المرء ويفقد انسانيته فيصبح كالوحش الكاسر الذى لا يفرق بين الحي والجماد

---

1 — 2 — المرجع السابق ج 1 . ص 292 .
3 — نفس المرجع السابق ج 1 . ص 286 .
4 — نفس المرجع السابق ج 1 . ص 287 .
5 — نفس المرجع السابق ج 1 . ص 292 .
6 — الشيخ عساف خ... مة الذكر (4 47).

يقطع أعضاء انسان مثله وينزع لحمه عن عظمه و ينشره بالمنشار لا تباع عقيدته الدفين . هذا ما وقع للمؤمنين وخاصة الصحابي الشهيد حبيب بن عاصم رضي الله عنه ما أبى الانصراف عن دينه فغضب مسيلمة الكذاب ((وأمر جلاده أن يقطعه عضوا عضوا فمات)) . (1)

عن خباب بن الارث رضي الله عنه قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له حفرة فيجعل فيها فيجاء بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ، فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله و الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)) . (2)

قال ابن قدامة : وما زال الناس يبتلون في الله ويصبرون ، وقد كانت الانبياء تقتل وأهل الخير في الامم السابقة يقتلون ويحرقون وينشر أحدهم بالمنشار وهو ثابت على دينه)) . (3)

7 ـ التجويع والتعطيش :

لقي رجال الاسلام بالاضافة الى أنواع التعذيب الأخرى التجويع و التعطيش حتى مايستطيع أحدهم أن يغادر مكانه من شدة الضعف و الضرر .

أخرج ابن اسحاق عن حكيم عن سعيد بن جبير قال : قلت لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أكان يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله ان كانوا ليضربون أحدهم ، ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر الذى به)) (4) . وقال ابن اسحاق : ((.. فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب و الجوع و العطش برمضاء مكة اذا اشتد الحر)) . (5)

بعد الوقوف على صور التعذيب في العصور الخالية لنا ان نتساءل : هل هي نفس وسائل التعذيب في العصر الحاضر ؟. إنها نفس الوسائل لكن المبطلين المعاصرين لم يكتفوا بها فأخذوا يتفننون في ابتكار أبشع وسائل التعذيب الوحشية وممارستها على الشعوب الاسلامية عامة وأبناء الصحوة الاسلامية خاصة. ونستطيع اجمال هذه الوسائل فيما يلي :

1 ـ دق مسامير طويلة في الرأس حتى تصل المخ .
2 ـ احراق المسجون بعد صب البترول عليه و اشعال النار فيه .
3 ـ جعل المسجونين هدفا لرصاص الجنود يتمرنون عليه .
4 ـ حبس المسجونين في أماكن لا ينفذ اليها هواء ولا نور وتجويعهم الى أن يموتوا .

---

1 ـ عبد العزيز الشناوى ، المرجع ال[illegible] ص 412 .
2 ـ رواه البخارى في صحيحه سبق [illegible] ج [illegible] ص 619 .
3 ـ الشيخ جمال الدين القاسمي ، ا[illegible] ع الس[illegible] الذكر ص 280 .
4 ـ الشيخ الكاند هلوى ، المرجع السابق الذكر ج 1 ص 303 .
5 ـ ابن هشام ، المرجع السابق الذكر ج 1 . ص 277 .

5 ـ وضع خودات معدنية على الرأس وامرار التيار الكهربائي فيهما .

6 ـ ربط الرأس في طرف آلة ميكانيكية وباقي القسم في ماكينة أخرى ، ثم تدار كل من الماكينتين . في اتجاهات مضادة ، فتعمل كل واحدة مقتربة من أختها حينا ومبتعدة حينا اخر ، حتى يتمدد الجزء من الجسم الذى بين الالتين ، فاما أن يقر المعذب واما أن يموت .

7 ـ كي كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد مسخنة الى درجة الاحمرار .

8 ـ صب زيت مغلي على جسم المعذب .

9 ـ دس مسامير أو ابر الجراموفون في الجسم .

10 ـ تسمير الأظافر بمسمار حديدى حتى يخرج من الجانب الآخر .

11 ـ ربط المسجون على سرير ربطا محكما ثم تركه لايام عديدة .

12 ـ اجبار المسجون على أن ينام عاريا فوق قطعة من الثلج أيام الشتاء .

13 ـ نتف كتل من شعر الرأس بعنف ، مما يسبب انتزاع جزء من جلد الرأس .

14 ـ تمشيط جسم المسجون بأمشاط حديدية .

15 ـ صب المواد الحارقة والكاوية في فم المسجونين وأنوفهم وعيونهم بعد ربطهم ربطا محكما .

16 ـ وضع صخرة على ظهر المسجون بعد أن توثق يداه إلى ظهره .

17 ـ ربط يدى المسجون وتعليقه بهما الى السقف وتركه ليلة كاملة .

18 ـ ضرب أجزام الجسم بعصا فيها مسامير حادة .

19 ـ ضرب الجسم بالكرباج حتى يدميه ثم يقطع الجسم الى قطع بالسيف والسكين .

20 ـ احداث ثقب في الجسم وادخال حبل ذى عقد واستعماله بعد يومين كمنشار لتقطيع قطع من أطراف الجرح المتآكل .

21 ـ ولكي يضمنوا أن يظل المسجون واقفا على تدميه طويلا يلجأون الى تسمير اذنيه في الجدار .(1)

22 ـ تعذيب الزوجة و الابن و البنت أمام المعذب حتى يعترف .

23 ـ تهشيم الرأس على الجدار حتى الموت . أو دفنه حيا .

24 ـ حبس المعتقل مع الكلاب لفترات طويلة . أو إلقاء الكلاب الجائعة على المعذب لتمزقه بأنيابها .(2)

25 ـ ارغام المعتقلين على شرب البترول وماء جافيل وتسليط الكهرباء على الاجزاء الحساسة من الجسم .

---

1 ـ حسين بن محسن بن علي جابر، الطريق الى جماعة المسلمين ،ص(260 ، 261) .

2 ـ جابر رزق ـ مذبح الاخوان في سجون ناصر ،ط 2 القاهرة، مصر : دار النشر للطباعة الاسلامية ،1406هـ ـ 1986م .ص(66 ، 134 ، 265) بتصرف .

26 ـ الارغام على مشاهدة التعذيب وعمليات الاعدام والابادة.[1]

أما النساء فانهن يتعرضن لنفس التعذيب بالاضافة الى الضرب على الأثداء وهتك الاعراض وطرق أخرى أكبر من أن توصف وأشد من تتصور يأبى القلم كتابتها حياء وعفة .

وأخيرا ان الهدف من هذا التعذيب هو : حمل الاسلاميين على الاعتراف بجرائم لم يرتكبوها ـ ارغامهم من التخلي عن الحركة والتعامل مع الطغاة. تخويفهم وشل حركتهم وارهاب الناس من الالتحاق بهم ـ فتنتهم عن دينهم ـ غسل مخهم من أفكارهم ـ اضعاف أجسامهم وتشويهها حتى يقل جهادهم ان ثبتوا ـ دفعهم الى الانهيار العصبي أو الجنون ـ اظهار قوة الطغاة وبطشهم ((تحطيم نفسية الدعاة واذلالها وقهرها)).[2]

ان اعداء الاسلام لم ولن يحققوا أهدافهم ، وكل صنوف التعذيب هذه لم ولن تجد في ايقاف المد الاسلامي وانما زادت الاسلاميين شموخا وثباتا لأن قوة العقيدة أعظم من أن تضعف أمام الأذى المادي والمعنوي مهما اشتد ، وأكبر دليل على ذلك هو ثبات الشعب الجزائري في ثورة التحرير وثبات الشعب الفلسطيني أمام الصهيونية .

القتل :

عندما يلتحم الداعية بدعوته وتمتزج بدمه وروحه امتزاجا لا انفصام بعده يستحيل على الطاغية أن يصده عنها حتى وان استخدم كل وسائل الترهيب بكل صورها والترغيب بكل انواعها، فانه لايجد أمامه بعدما أعنته الحيلة وفشلت خطط المكافحة[3] إلا الحكم عليه بالاعدام إما شنقا أو رميا بالرصاص ، أو بالسم أو الشنق ، أو الذبح أو الصلب ، ظنا منه أن الدعوة ستنتهي بانتهاء رجالها .

تذكر كتب السيرة والتفسير : أن اليهود قتلوا الانبياء يحي وزكرياء، وحاولوا قتل عيسى ((وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)).[4] قال الله تعالى : ((ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)).[5]

ـ ان الطاغية ألقى بابراهيم عليه السلام في النار عندما أعدم الحجة القوية التي يدحض بها حججه ، قال الله تعالى : ((فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار)).[6]

وان طاغية آخر أمر بحرق كل من تمسك من شعبه بدينه. قال الله تعالى ((قتل

1ـ بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية والارهاب الاستعماري. ط2. بيروت: دار النفائس 1406 هـ ـ 1986 م. ص(57و85).

2ـ محمد عبد القادر أبو فارس، الابتلاء والمحن في الدعوات ص 90.

3ـ انظر نموذج من مكافحة أعداء الاسلام للتيار الاسلامي في كتاب : علي جريشة ، في الزنزانة. ط 2. دار الشروق 1975.

4ـ سورة النساء الاية 56. 5ـ سورة آل عمران الاية 112.

6ـ سورة العنكبوت الاية 23 .

اصحاب الاخدود النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود ،وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)) . (1)

إن الكافرين واليهود حاولوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم مرات عديدة تارة بالسيف وأخرى بالقاء حجر على رأسه ، وثالثة بالسم ورابعة خنقا .. وما إلى ذلك من محاولات .قال الله تعالى : واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) . (2)

كما قتل المشركين آل ياسر سمية وزوجها وصلبوا خبيب بن عدى وغيرهم من المسلمين .

قال ابن اسحاق : — وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر ، وبأبيه وأمه، وكانوا أهل بيت اسلام اذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : فيما بلغني صبرا آل ياسر، موعدكم الجنة. فأما أمه فقتلوها ، وهي تأبى الا الاسلام)) . (3)

وقال ابن اسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب رضى الله عنه حتى اذا جاؤوا به الى التنعيم ليصلبوه .. ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه .قال : اللهم أنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا . ثم قال : اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا ، ثم قتلوه)) . (4)

أما عن موكب الشهداء في القرن الرابع عشر فان عدد ركابه أكبر من أن يحصى لان القتل أصبح دين الطغاة وديدنهم والإبادة حرفتهم . فما من داعية أو شعب يثبت على الحق أو يقاوم الظلم والقهر الا وكان القتل بسياط التعذيب أو بطلقات الرصاص أو بوضح الدم أو بالدفن حيا ، أو بالطعن غدرا أو على حبل المشنقة هو مصيره الوحيد ، وهكذا قضى كثير من الدعاة وأبناء الصحوة والشعوب الاسلامية نحبهم على أيدى زبانية سخروا كل الطاقات والاموال لاستئصال الوجود الإسلامي ، وتتابعت قوافل الشهداء الواحدة تلو الأخرى .

هذا ما جعل طريق الله مفروش بأشلاء آلاف الضحايا من رواد الحركة وأبناء الصحوة الاسلامية وأبناء الشعوب التي ثارت تدافع عن دينها وعرضها ووطنها في كل أرض اسلامية ، في الجزائر وافغانستان ، ولبنان ، والهند وأريتيريا ... وخاصة فلسطين .

وعلى هذا فاني أذكر دعاة الاسلام وحماة العقيدة بما يلي :

1 — أن استشهاد حملة الرسالة برهان صدق على إخلاصهم ، وزاد تستمد منه الاجيال اللاحقة قوتها وثباتها ، ووقودا تتغذى به الدعوة الاسلامية فتزداد به صلابة واتساعا .

---

1 — سورة البروج الايات (5 . 8) 2 — سورة الانفال الاية 30
3 — ابن هشام ، المرجع السالف الذكر ج 1 . ص 279 .
4 — الشيخ الكاند هلوى ، المرجع السالف الذكر ج 1 . ص 524 .

2- أنه لن يثبت أمام هذه المحن إلا من ((تحررت قلوبهم من عبود يتها للحياة فلم يستذلها حب البقاء وهي تعاني الموت بهذه الطريقة البشعة ، وانطلقت من قيود الارض وجواذبها جميعا .. وارتفعت على ذواتها بانتصار العقيدة على الحياة فيها)) .(1)

3- ان صور الابتلاء التي ذكرت سابقا تتكرر مع الدعوة في كل جيل لذا على الدعاة أن يعرفوا الشباب الاسلامي بها حتى لا ينحرف فكريا أو عقائديا أو حركيا اذا ما تعرض لها. أي يعرفوه بمعالم الطريق وطبيعتها ورجالها حتى يتخذوهم قدوة لهم وخاصة الشهداء الذين مضوا وكل قطرة دم من دمائهم الزكية تردد ((انا أصحاب هدف نسعى اليه فلا نقيم وزنا للأشواك التي تعلق بثيابنا أثناء السير ولا بالصخور التي توضع في طريقنا في السير إلى صاحب العزة و الجلال ولأن يموت الرجل واقفا مرفوع الرأس أمام خصومه أفضل و أشرف من أن يموت جاثيا تحت قدميه)).(2)

وأن يربوه على عدم استعجال النصر فقد يطول بهم الامتحان وعلى الثقة في نصر الله لحملة رسالته الصادقين وان طال الزمن واشتد البلاء . قال الله تعالى ((حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين)).(3)

وأخيرا يمكن القول أن الابتلاء يكون على ثلاثة مستويات: الأول في ممتلكات الانسان (الباساء)، والثاني في بدنه (الضراء)، والثالث في نفسه أو عقيدته (الزلزلة). قال الله تعالى: ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول و الذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)) (4).

وأما الشهيد سيد قطب رحمه الله فقد أجمل أهم أنواع الفتن(5) فيما يلي:

آ - من الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل واهله ، ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه ولا يملك لنفسه ولا لغيره المنعة .

ب - هناك فتنة الأهل و الأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الاذى بسببه وهو لا يملك عنهم دفعا ، وقد يهتفون به ليسالم أو ليستسلم ، وينادونه باسم الحب و القرابة و اتقاء الله في الرحم التي يعرضها للأذى و الهلاك .

جـ - وهناك فتنة اقبال الدنيا على المبطلين ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين تهتف لهم الدنيا وتصفق لهم الجماهير ، وتتحطم في طريقهم العوائق ، وتصاغ لهم الامجاد ،

1- سيد قطب. معالم في الطريق . الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية بدون ذكر التاريخ . ص174 .
2- مصطفى العدوى . عمر التلمساني بين حماس الشباب وحكمة الشيوخ ص114 .
3- سورة يوسف الاية 110 4- سورة البقره الاية 214
5- بن علي جابر، الطريق الى جماعة المسلمين ص(228 . 229) ،
- احمد نائر، طريق الدعوة في ظلال القرآن ج 1. ص224 .
- سيد قطب ، في ظلال القرآن م 2. ص(10 ، 106) باختصار .

وتصفو لهم الحياة . وهو مهمل منكر ، لايحس به أحد ، ولا يحابي منه احد ،

د — وهناك فتنة الغربة في البيئة والاستيحاش بالعقيدة ، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله ، وكل من حوله غارقا في تيار الضلالة وهو وحده موحش غريب طريد .

و — وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة في هذه الأيام فتنة أن يجد المؤمن أمما ودولا غارقة في الرذيلة وهي مع ذلك راقية في مجتمعها ، متحضرة في حياتها ، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الانسان ، ويجدها غنية قوية وهي مشاقة لله .

ز — وهناك الفتنة الكبرى أكبر من هذا كله وأعنف ، فتنة النفس والشهوة وجاذبية الأرض ، وثقلة اللحم والدم ، والرغبة في المتاع والسلطان .

ح — ومنها فتنة ابطاء النصر وطول الطريق .

خ — ومنها فتنة الغرور والاتكال على النفس بعد النصر .

هذه الانواع كلها تعرض للمؤمن في هذه الطريق ، والفائز هو الذى يستطيع أن يتجاوزها وهو في طريقه الى الله تعالى وجناته .

الفصل الثالث

أثر الابتلاء

وفيه مبحثان

المبحث الأول : أثر الابتلاء في الأفراد.

المبحث الثاني : موقف الناس من المبتلين.

شاء الله عز وجل لحكم لا ندرك معظمها أن يصيب المؤمنين بابتلاءات تمتحن قلوبهم لينظر: ايصبرون فيكونون أهلا لفضله ونعمه أم ينفرون فتنزل عليهم نقمته ويسلط عليهم غضبه ؟

هي اذا ظاهرة صحية تنتاب أتباع الحق بين الفينة والفينة وتزن ايمان النفوس : هل هي مجرد كلمة يلوكها اللسان أم هي ثقل يسكن في سويداء القلب ؟

ولئن كان طعمها مرا فان ثمارها يانعة وعاقبتها الصافية : نرى أن المحنة ((تصبح عامل صحة للفرد والجماعة و المجتمع في المستويات الثلاث ، صحيح أن طعمها مر ، ولكن الاستيقاظ الصباحي أيضا في الأول يكون مزعجا فإذا ذهبت وهلة النوم الأولى أدرك الفرد ما للصحو من بركة)) (1) .

وهي ايضا تمحيص للقلوب تزيل الغبش عن العيون وتنفي الصف بتمييز الطيبين من الخبيثين ، مثلها كحريق امتدت ألسنته المحرقة في بناء ((فيخرج من الحريق لبنات صلبة متينة تتحمل الضغط الشديد ، ولبنات هشة غير متماسكة ، كذلك اثر المحنة على الافراد يصقل البعض ويكسبهم صلابة وقوة ويزدادون إيمانا مع ايمانهم لا تثنيهم الشدة ولا تغريهم العافية ، والبعض الآخر تؤثر فيه المحنة تاثيرا آخر فتضعف إرادتهم وتوهن عزيمتهم)) (2) .

إذن أثر الابتلاء يقسم الناس إلى أصناف عديدة حسب مواقفهم تجاهه واتجاه المبتلين . فأول ما نبدأ الحديث عنه هو أثر الابتلاء في الافراد :

المبحث الأول

أثر الابتلاء في الأفراد

مما سبق تأكدنا أن الدعوة لابد أن تواجه الأذى و الابتلاء ، فيفتتن من يفتتن وينحرف من ينحرف ، ويرتد من يرتد ، ويثبت من يثبت ، ويصبر من يصبر فيمضي في دعوته حتى يحكم الله بينه وبين قومه بالحق وهو خير الفاتحين ، وحتى يمكن الله له دينه في الأرض . لذا حاولنا تصنيف المبتلين الى :

أ — الصابر

هو التلميذ الناجح الذي تخرج من مدرسة الابتلاء بعدما تربى فيها على الشدائد وتدرب فيها على التحمل ، وكشفت له عن حقيقة معدنه ، إذ أن النفس تصهرها الصعاب فتنفي عنها الخبث ، وتضطرها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل ، ولا يبقى صامدا

---

1 ــ خالص جلبي ، المرجع السالف الذكر . ص 42 .
2 ــ مصطفى مشهور ، طريق الدعوة . ص (84 ، 85) .

الا أصلبها عودا ، وأقواها ليقينه ، وأعمقها ايمانا ، ذلك أن الثبات رغم المحن مظهر من مظاهر الايمان ، فالايمان القوي ، هو الذي يصمد في ساحة النصر اما الايمان السقيم العليل فسرعان ما تكشفه المحن وتصدعه .

إن الثبات على العهد مع الله ، لا تفله الظروف ولا ينكثه ما تحت وطأة بريق خاطف لان الايمان يعصمه من النكوص أو تولي الدبر ، وزلة الأقدام ، وغفلة القلوب ، والاتصال الوثيق بالله يضمن له الصمود على الطريق دون كلل أو ملل ، فلا يتحول عنه قيد أنملة تحت كل الظروف ، حتى يلقى الله وهو على طريق الدعوة غير مبدل ، ولا مغير ، ولا ناكث لعهده مع الله ، مستبشرا ببيعه الذي بايع الله عليه مترقبا إحدى الحسنيين : إما نصر وسيادة وإما شهادة وسعادة .

وإن ((العقيدة هي الركيزة الثابتة في حياة المؤمن تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على الركيزة وتتجاذبه الأحداث والدوافع فيتشبث هو بالصخرة التي لا تتزعزع وتتهاوى من حوله الاسناد فيستند هو إلى القاعدة التي لا تحول ولا تزول))[1].

وهكذا يمضي المؤمن في درب الله كما مضى أسلافه مجاهدا ، يحتسب أجر ما يلاقيه عند ربه ، ثابت الجنان ، عظيم الثقة في الطريق ، شديد العزيمة ثتيت السير نحو هدفه ، لا تثنيه المنعرجات عن بلوغ مرسله ولا تلهيه المنعطفات عن سلامة قصده لانه علم أن الابتلاء إنما يجيء لحكمة هي استكمال حقيقة الايمان ومقتضياته من الاعمال .

وانها لنعمة وأية نعمة أن يثبت المؤمن حيث يرى من حوله حيارى شارد ين يستبد بهم القلق ويغمرهم الفزع ، وتتقاذفهم الزوابع بينما هو بعقيدته ثابت القدم مطمئن الفؤاد ، مرتاح البال ، رطب اللسان يذكر خالق الاكوان ، واثقا بوعد الرحمن.

والذى يجدر التنبيه إليه أن هذه النوعية التي صهرتها المحن فثبتت هي القاعدة الصلبة التي يقوم عليها الكيان الاسلامي من جديد ، وهي اللبنات القوية التي تشد وترسي قواعد البناء ليكون متينا متراصا مستقرا لا تهده العواصف ولا تهزه الزلازل ، ولا تنال منه معاول الهدم إلى أن يؤدي واجبه على أكمل وجه ويدفع تكاليف الايمان وتبعات النصر .

ب = الفتـــــــــــــنة

اذا كانت المحنة صقل للمؤمنين وتقوية لعزائمهم فإنها منعطف خطير بالنسبة لصنف من الافراد ، اضطربت موازين الفهم في عقولهم فتطرفوا في وسائل دعوتهم وجلبوا المضرة لدينهم

---

1 ـ سيد قطب : في ظلال القرآن م 4 ص 2412 .

من حيث أرادوا النفع ، وكانوا معاول هدم في طريق الدعوة .

هذا الانحراف قد يصيب الجانب الفكري أو هو خلل يعتري الفهم ، وقد يحدث في الجانب الحركي أو الميدان العملي .

أ — الجانب الفكري :

((إن المنعطف الفكري أشد خطرا من المنعطف الحركي إذ في ظل الفكر الصحيح يمكن أن نصحح الحركة ونعدل عن الخطأ ، أما إذا كان الانحراف في الفكر فكل حركة تصدر من خلال هذا الفكر المنحرف لا تأتي بخير وتضر ولا تنفع))[1] .

ونظرا لأهمية الفهم ومدى خطورته حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تصحيح للرعيل الأول باستمرار حتى أكسبهم الفهم السليم للاسلام و التصور الصحيح للحركة . كما حرص الامام الشهيد حسن البنا رحمه الله على جمع المسلمين عليه فجعله الركن الأول من أركان البيعة ووضع له الأصول العشرين حفظا له من الانحراف والتطرف .

والمتأمل لما يدور على الساحة الاسلامية من صيحات ودعوات ليدرك جليا كم جنت على أمتنا من ويلات ، وكم عطلت الركب من شق الطريق . ولعل أهم المنعطفات التي تجدر الاشارة إليها نذكر :

منعطف التكفير :

إن الواقعين في هذا الانحراف يتهمون عامة الناس بالخروج من ملة الاسلام ويشككون في حقيقة إيمانهم ، ويكفرون كل من عصى الله أو أصر على ارتكاب معصية ولم يتب منها ، كما أنهم يكفرون الحكام الذين لم يحكموا بشريعة الله ، والعلماء الذين لم يكفروهم وأيدوهم على ظلمهم أو سكتوا عنه ، ويكفرون الشعوب التي رضيت بهذا الحكم وبالحكام الظلمة .

((مع أن تكفير المسلم أمر خطير يترتب عليه حل دمه وماله والتفريق بينه وبين زوجه وولده وقطع ما بينه وبين المسلمين فلا يرث ولا يوالي وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يدفن في مقابر المسلمين))[2] . وبالرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم شدد في التحذير من هذا الحكم في الحديث الصحيح : ((من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما))[3] .

والمبررات[4] التي يستند عليها أصحاب هذا الاتجاه لخوض لجة التكفير هي :

1 — انتشار الكفر والردة الفكرية جهرة في مجتمعاتنا الاسلامية واستطالة أصحابها وتبجحهم بباطلهم دون أن يجدوا من يزجرهم عن ضلالهم وغيهم .

---

1 — مصطفى مشهور، طريق الدعوة ، ص45 .

2 — يوسف القرضاوي، فتاوى معاصرة، باتنة الجزائر : دار الشهاب للطباعة و النشر، بدون ذكر التاريخ ص111 .

3 — أخرجه البخاري في صحيحه/فتح الباري، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال . رقم الحديث 6103 . م 10 ، ص514 .
وأخرجه الترمذي في سننه باب من رمى أخاه بكفر، رقم الحديث 2774 ج 4، ص132 .

4 — نفس المرجع السالف الذكر، فتاوى معاصرة، ص 188 بتصرف .

2- تساهل بعض العلماء في شأن هؤلاء الكفرة وعدهم في زمرة المسلمين والاسلام منهم بـــراء .

3- المعاناة التي تعرض لها الدعاة إلى الله عز وجل وحملة الفكر الاسلامي من اضطهاد وتضييق وقتل وتشريد .

إن هذا الفكر يؤدي بحامله إلى التعالي عن الجماهير فتتوقف متابعتهم لهم والاتصال بهم والتعرف على مشاكلهم . وهذا يسبب انفصال الحركة عن الجماهير الذين هم حقل الدعوة .

لاشك أن أصحاب هذا الفكر رجال حق واصلاح مخلصين لربهم ،غيورين عن دينهم تدعز عليهم ما آلت إليه أمتهم من ردة فكرية واستبداد سياسي وتفسخ أخلاقي وانسلاخ عقائدي وظلم لاصحاب الدعوة الاسلامية الا أنهم اخطأوا وانحرفوا عن الجادة وذلك لجملة أسباب :

1- ان الاقدام على الحكم بكفر مسلم إقدام في غاية الخطورة . ((إن احدنا لو سمع عن مريض أو رآه ، وقد أقعده المرض فانه لايستطيع أن يحكم بموته ويأمر بدفنه حتى يتأكد من أنه فارق الحياة فعلا ، ولو عومل معاملة الموتى قبل الوفاة الحقيقية لاعتبرت جريمة قتل رغم سوء الحالة الصحية لهذا المريض . فاذا كان التحرز الشديد مطلوب لهذا الجسد الفاني ، فالواجب ان يكون التحرز في أمر العقيدة أشد ، فنزع حكم الاسلام من فرد مسلم أعظم حرمة وأكبر أثرا وأشد خطرا من الحكم على إنسان حي بالموت)) (1) .

صحيح أن الحال التي تسود أوضاع المسلمين حال يرثى لها ، لكن لعلاج هذه الأوضاع المتردية وايجاد السبل الكفيلة بالنهوض بهذه الكبوة لابد من يد حانية تربت على أكتاف هؤلاء التائهين . ((وان واجب الدعاة أن ينظروا الى العصاة نظرة إشفاق ورحمة ، فهم يرونهم على حافة واد عميق سحيق في ليلة ظلماء يتأنون عليهم من السقوط ويحاولون جهدهم لتخليصهم من الهــلاك)) (2) .

2- ثم إن ((رمي الناس بالكفر ولو كانوا عصاة منحرفين لايصلحهم ولا يقربهم من الخير بل هو أحرى ان يبعدهم عنه وأولى من هذا الموقف السلبي أن يتقدم داعي الحق منهم فيدعوهم أو يدعو لهم)) (3) ، ويتردد اليهم ويشعرهم بأنه يحب الخير لهم ، وأن لاغرض له إلا رضا الله عز وجل ، فيكون بذلك سببا في هدايتهم والا يُفجر الداعية حقل دعوته بيديه ، هذا ما بينه الداعية الاسلامي مصطفى مشهور في كتابه اذ أنه اعتبر المسلمين هم ((حقل الدعوة الذي نعمل فيه ونستخرج منه العناصر المؤمنة التي تحمل الدعوة وتضحي في سبيلها فاذا ... علموا أننا نعتبرهم كفارا نفروا منا ، ولم يسمعوا لنا واكتسبنا عداوتهم وبذلك نكون قد فجرنا حقل

1- مصطفى مشهور، طريق الدعوة، ص(47-48) بتصرف .
2- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، بغداد : مكتبة المنار الاسلامية 1396هـ-1976م ص348 .
3- يوسف القرضاوي، الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف، ط2 قسنطينة، الجزائر: دار البعث 1404هـ-1984م، ص228 بتصرف .

الدعوة بايدينا وسرنا في طريق مسدود)) .(1)

- وحتى يجتاز الداعية هذا المنعطف لابد له من الأخذ بجملة من الاسباب تحفظ الفهم من الانحراف وتقي التضرر من الزيغ والضلال .

- لابد أن يعامل الناس باعتبارهم بشرا على الأرض ، وأن من صفة البشر الخطأ والنسيان فان آدم خطاء واقكل بني آدم خطاء ، وعلى داعي الحق أن يفتح لهم باب الأمل في عفو الله وغفرانه .

- أن يعمل بما أمره الله فيحكم بظاهر الأعمال ويترك الخبايا لعالم الغيوب وما تخفي الصدور . وأن لا يكلف نفسه بما لم يكلفه به الله إذ أننا أمرنا بالدعوة ولم نؤمر بالحكم على الناس فنحن دعاة ولسنا قضاة كما قال المرشد حسن اسماعيل الهضيبي رحمه الله عندما سارع الى تصحيح فهم المنحرفين .

- أن يتيقن بأن كل مؤمن يحمل بين جنباته بذرة خير حتى وإن عصى وأذنب وينتظر من يبرزها وينميها ويأخذ بيده حتى يصطبغ بصبغتها .

- أن يعرف دينه على بصيرة ويفقهه على بينة لأن تبصير الناس بالاسلام يحتاج إلى فقه دقيق له .

- أن يؤمن بأن الابتلاء سنة الله في الدعوات ، لا يمكن أن ينجو منها مؤمن إلا إذا تخلى عن إيمانه ودعوته وباع آخرته بدنياه . كما أن أي جهل بهذه السنن أو تجاهل لها سيؤدى إلى الانحراف والزيغ .

هناك انحرافات فكرية أخرى كثيرة حول المحن أصابت الشباب الاسلامي الذي سلك طريق الدعوة وعانى من التعذيب والابادة ما يفوق التصور ولعله من المفيد الاشارة إلى بعضها إشارة بسيطة . وهذه الانحرافات تتمثل في بعض التساؤلات والشكوك حول أصالة الطريق وصحة الأسلوب وحقيقة الدعوة :

لماذا ينتصر الباطل على الحق ؟ أليس الحق أولى بالانتصار ؟ لو كان حقا فعلا لما انتصر عليه الباطل ؟

فيم هذا الأذى الذى يلقاه الدعاة وهم على الحق ؟

لماذا لم يعصمهم الله وهم جنوده وعباده الصالحين الذين يعملون على نشر دينه ويجاهدون في سبيله ؟

لماذا يبتلى أهل الحق وينجو أهل الباطل ؟

لو كانوا على حق لما هزموا ولما غلبوا ، ولما بقي الباطل منتفشا قاهرا ؟

لو كانوا حقيقة أنصار الاسلام ما خذلهم الله لأنه وعد أنصاره بالنصر والغلبة !! .

وهكذا ينقلب الباطل إلى حق والحق إلى باطل .

إن الجواب قد سبق وهو أن الابتلاء والمحن طبيعة الدعوات الالهية وتأكيدا لذلك نقول :

---

1 - مصطفى مشهور، طريق الدعوة ص49 .

ان الله عز وجل يقصد هذا التشكيك بسنته وحكمه بأن لا يريد بأهل الباطل خيرا حتى يبتليهم ، وقد اشتروا الكفر بالايمان ، وانما ... للب ... خيرة رأس ، ويملي له حتى يرتكب أبشع الآثام وأقذر الذنوب فيستحق بذلك الـ العذاب بينما يبتلي الحق حتى لا يبقي في الصف الاسلامي خلل ولا في بنائه د... وحتى يحظى له الثواب بالصبر و الثبات ويختم له بالنصر و التمكين .

قال تعالى : ((ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين . ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله ، وان تومنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم)) (1) .

ثم إن للباطل صولة ثم يزول ، قال تعالى : ((كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)) (2) .

والسؤال الذى نطرحه على أمثال هؤلاء هو :

((لقد كان طغيان آل الكفر قد رمى بابراهيم عليه السلام في النار ، وكان جبروت الفراعنة قد ألجأ موسى إلى إقتحام البحر بمن آمن به .. وكانت خبيثة اليهود وتصميمهم سببا في محاولة صلب عيسى وتشريد حوارييه ، وكان ظلم قريش للرسول صلى الله عليه وسلم وما وصل اليه مكرهم من تآمر على قتله و القضاء على دعوته ، قد اضطره للهجرة في ظروف من المشقة والخطر)) (3) . فهل كانت هذه المحن دليلا على أنهم لم يكونوا على حق فيما دعوا إليهم أو أنهم انحرفوا عن الطريق ؟

وهل قتل الانبياء أمثال يحي وزكريا وتمكن أعداء الله منهم دليلا على أنهم لم يكونوا على حق فيما دعوا اليه ؟

وهل استشهاد أصحاب الأخدود وبقاء الطغاة دليلا على أن المؤمنين لم يكونوا على حق ، وأن الطغاة المبطلين على حق ؟

كلا ، انها سنة الله في الدعوات ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وصدق من قال ((والله لو نهشتنا السباع ، أو تخطفتنا الطير ماشككنا أنكم على الباطل وأننا على الحق .. ووالله ما ذل ذو حق ، ولو تما لأعليه من بأقطارها . ووالله ما عز ذو باطل ولو طلع من جبينه القمر)) (4) .

---

1 ــ سورة آل عمران الآيتين (178-179)
2 ــ سورة الرعد الآية 17
3 ــ عباس مدني ، أزمة الفكر وحيويات الحل الاسلامي . ط1 ، الجزائر : مكتبة رحاب 1409 هـ - 1989 م ، ص 36 .
4 ــ يوسف القرضاوي ، الصحوة الاسلامية بين الجحود و التطرف ، ص 96 .

ومن الانحرافات الفكرية أيضا : أن كثيرا من سالكي طريق الدعوة اعتقدوا أن المحن نتيجة أخطاء أو انحرافات ، ويمكن للدعاة تفاديها ((المحن)) بشيء من الكياسة والسياسة والتقليل من النشاط الاسلامي . وهذا فهم خاطئ يمكن تصحيحه بالرجوع الى الكتاب والسنة وسيرة أصحاب العقيدة عبر كل العصور والدهور التى أثبتت أن الابتلاء أمر طبيعي ، وسنة ربانية جارية في الحركات ، ودليل بين على أن الدعاة على الحق . كما لا يعقل أبدا أن نحكم بأن ابتلاءات كل الرسل والانبياء والذين آمنوا معهم كانت نتيجة أخطاء صدرت منهم ، وأن الله لم يحل بينهم وبين هذه الابتلاءات لأنهم انحرفوا عن الطريق الصحيح .

صحيح قد يخطئ الدعاة في بعض الاحيان فيلحق بهم الأذى كما لحق الجماعة المسلمة الأولى في غزوة أحد عندما أخطأ بعض الصحابة — رضوان الله عليهم — وعصوا أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقصروا في التزامات الايمان وشروط النصر. قال تعالى : ((أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم . أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، ان الله على كل شيء قدير ، وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله . وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا)) (1)

وقال : ((وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير . وما أنتم بمعجزين في الأرض ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير)) (2) .

لكنها حالات استثنائية يجرى فيها الله سبحانه وتعالى سنته على أوليائه ليصحح لهم الفهم ويذكرهم بشروط النصر والهزيمة ، ويوضح لهم أن مايلترنه من نتائج لخطئهم وصوابهم صائر بهم إلى الخير ماداموا على طريقه تعالى .

من هنا لزم على الدعاة التفريق بحسم بين المحنة الأولى والمحنة الثانية أى التي بواعثها أخطاء العمل حتى يتسنى لهم :

أ — القيام بعملية تحليلية لما حدث .

ب — تجلية الأخطاء لتعديلها والاعتبار بها حتى لاتتكرر في المستقبل . كما حلل القرآن حادثة أحد وأشار إلى نقاط الخطأ حتى لا يقع فيها الصحابة مرة أخرى . بقوله سبحانه : ((ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة . ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين)) (3)

كما لزم على الجماعة الاسلامية إعتماد مبدأ المراجعة الدقيقة والنقد الذاتي حتى تتمكن من وضع يدها على مكمن الداء — الذى إن سُكت عنه سيقود هذه الجماعة إلى مضاعفات لاحد لها — وبالتالي اتخاذ الموقف المناسب له ثم استئناف سيرتها على ضوء ذلك .

---

1 — سورة آل عمران الايات (165 — 167)
2 — سورة الشورى الايتين (28 — 29)
3 — سورة آل عمران الاية 152

وان الدعاة لايمكنهم تفادى الابتلاء بشيء من السياسة والكياسة والتقليل من النشاط الاسلامي كما يعتقد إلا إذا تنازلوا عن دعوتهم،وحادوا عن الطريق المستقيم، وباعوا آخرتهم بمتاع الدنيا الزائل — وهذا هو الانحراف الحقيقي — عندئذ سيتوقف أذى أعداء الله لهم .

قال الله عز وجل : ((وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا إليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا)) (1) .

2- الجانب الحركي :

إن أصحاب الانحراف الحركي هم فئة من الأفراد الذين طغى عليهم الحماس، حز في نفوسهم مايرونه من تناقض مجحف، بين واقع المسلمين المعاش والصورة التي يرسمها الاسلام لهم ،وما ينالهم من اضطهاد وتضييق فجال بخاطرهم تساؤل كان هو بداية الانحراف ،إلى متى نرضى بهذا الظلم والاضطهاد ؟ إلى متى نصبر على هؤلاء الطغاة ؟ لابد من المواجهة والانتقام — ولو على حساب الدعوة — وهكذا انطلقوا من وحي عاطفتهم يريدون التغيير . لكن أى تغيير وسط فوضى العمل ،وأى ثمرة ترجى في جو حرق الاشواط والتسرع والارتجال ،عوامل لاتقيم أبسط بناء، فما بالك بإقامة مجتمع إسلامي متكامل الجوانب متين الاركان .

عبء ضخم ،وتبعات ثقيلة تستوجب على ((المنتمين للحركة الاسلامية أن يعتمدوا سياسة النفس الطويل فتكون الدعوة الى الله على بصيرة بقصد مرضاته فلا يتعسفوا الطريق ولا يستعجلوا الثمرة قبل نضوجها)) (2) ،واذا سلمنا بضخامة هذه الامانة ،أدركنا أن الواجب لايتم بمجرد اجراء ترميمات بسيطة على واقع لا يمت الى الاسلام بصلة.إنما هم الدعاة الى الله هو اضفاء طابع التغيير الجذرى لكل مظاهر الحياة التي يحياها المسلمون وهم يحيدون عن الاسلام . ((وبالتالي فإن الحماس المندفع ليس هو سبيل إقامة دولة اسلامية عالمية بل لابد من الصبر على الايذاء والثبات مع الحق والاصرار على تبليغ الدعوة . ولقد أثبتت التجارب والابتلاءات أن الحماس الشديد ليس دليلا على قوة ايمان صاحبه ولكنه يدل على قصر نفسه وعدم استعداده للصبر على مشاق الطريق وتبعاته)) (3) .

وعليه لابد من :

1- النظرة الثاقبة العميقة لطبيعة التغيير ،ولا بد من فقه الواقع الذى نريد تغييره . فالأمر أعظم من أن يكون استجابة لحماسات خاطفة أو انفعالات مؤقتة .

1- سورة الاسراء الاية 73

2- فتحي يكن،ماذا يعني انتمائي للاسلام . باتنة:دار الشهاب،بدون ذكر التاريخ، ص119.

3- مصطفى مشهور،طريق الدعوة،ص39 .

2- مراعاة المرحلية و التدرج في الدعوة الى الله ، وهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم يعلمنا كيف نحطم الأصنام بعد 13 سنة من التربية و الاعداد . ألم يكن قادرا على تحطيمها قبل ذلك وهو يطوف بالكعبة ، وهي منتصبة والناس حولها عكوف ؟! بلى . ولكنها السياسة الحكيمة و التخطيط الدقيق لمعالجة ركام الجاهلية واستئصال شأفتها إلى الأبد . ((لو أن أية مقاومة بدت من الرسول صلى الله عليه وسلم في فجر الدعوة لكانت الشرارة الأولى التي تشعل برميل البارود فتنفجر الموقف تفجيرا عنيفا . ولن يكون ذلك في صالح الداعية و الدعوة نظرا لقلة أصحابه وكثرة عدوه وقوته ، ، ، انه بقي* متحملا للأذى لايبدي أية مقاومة حتى يصلب عوده ويستكمل قوته ويقيم دولته وعندئذ يبدأ الصدام بقوة تمكنه من انتزاع النصر بفضل الله عز وجل)) (1) .

وكذلك لابد أن نكون لمرعى الحمى ونوفي العهد .

3- ادراك أن التغيير يتم بترسيخ العقيدة في قلوب الناس وليس باستخدام القوة و العنف وتحطيم الحانات وأماكن اللهو لأن قلوب الجماهير مازالت متعلقة بها والأولى بالداعية أن ينزعها من عقولهم قبل أيديهم .

4- التنبه الى انحراف آخر قد يصيب العامل في الحقل الاسلامي الذي يجتنب الوقوع في المنعطف الأول وهو الابتعاد عن ساحة الدعوة و الاختفاء عن الأنظار واعتزال الناس حرصا منه على متابعة العمل وتوقيف الابتلاء . وفي الحقيقة أنه أراح الأعداء منه بغير تكاليف ، ونفذ تدبيرهم بدون وعي لأن عمله توقف واتصاله بالجماهير انقطع . هذه الجماهير التي - بغيابه لم تجد من يبين لها الحق ويزيل عنها الشبهات - التبس عليها الأمر فصدقت أن سبب الاختفاء ((هو الشعور بالجريمة فلولا أنه مذنب ما اختفى فمن يشعر بالشرعية لايختفي بل يتحمل مسؤولية مايقوم به لأنه يمارس أمرا غير مشروع)) (2) .

ج - المصلحية

((ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه)) (3) .

الآية تصور نموذجا من الناس حسب العقيدة صفقة تجارية يتعامل وفقها بميزان الربح والخسارة ، ونسي أن خسران الآخرة هو الخسران المبين .

---

* في الاصل : سيقى

1- علي بن جابر الحربي ، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية . ط 1 . القاهرة : الزهراء للاعلام العربي ، 1406 هـ - 1986 م : ص 342 .

2- خالص جلبي . المرجع السالف الذكر ص 91 .

3- سورة الحج الآية 11 .

وأنه هذا الفرد أنه يعلن الايمان ويظل في الطريق مادامت الريح رخاء، والسماء صاحية والجو صافيا ، أما اذا اكفهرت الاجواء وتلبدت السماء بالغيوم وعصفت الرياح تولى الدبر ونكص على عقبيه/ نوبة شك في الله وارتيابه فهو من الذين وصفهم صاحب مدارج السالكين :

((ساروا مع ركب الايمان فلما رأوا طول الطريق وبعد الشقة نكصوا على أعقابهم ورجعوا وظنوا أنهم يتمتعون بطيب العيش ولذة المنام في ديارهم، فما تمتعوا به ولا بتلك الهجعة انتفعوا . عرفوا ثم أنكروا وعموا بعدما عاينوا الحق وأبصروا))(1).

فباءوا بالخسران المبين - ثمن ردتهم وانتكاسهم عن الهدى - اذ أنهم خسروا الطمأنينة و الرضى الى جوار خسارة المال والصحة . . . وخسارة الآخرة أيضا فيما من نعيم . والضلال البعيد اذ أنهم أعرضوا عن عبادة الله النافع الضار واتجهوا الى عبادة الاصنام و الأوثان .

قال الله تعالى : ((خسر الدنيا و الاخرة ، ذلك هو الخسران المبين ، يدعو من دون الله/ وما لا يضره/ وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير))(2) .

ان هذا الصنف المرتد حسب أن الطريق الذى سار فيه عرضا قريبا وسفرا قاصدا ، فاذا به يجده يستلزم من سالكه التضحية بالنفس، النفيس ، والانفاق من الحمراء و البيضاء فبعدت عليه الشقة وتخلف عن الركب .

قال تعالى : ((لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة))(3) ، كما حسب أن كلمة الايمان خفيفة الحمل ، هينة المؤونة فاذا ماكثرت التكاليف و ثقلت التبعات واشتدت الابتلاءات جزع، واختلت عنده القيم، واهتزت في نفسه العقيدة ، وتساءل : علام الصبر؟ فكان موقفه التخاذل والسقوط وسوء التقدير و التصوير ، والنسيان بأن الله علاّم الغيوب و الخفايا وانما ابتلاه ليكشف نفاقه وغشه ويريح الصف الاسلامي منه .

قال الله عز وجل : ((ومن الناس من يقول آمنا فإذا أوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن : إنا معكم . أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين؟ وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين))(4).

إن أسباب هذا المرض الخطير و الداء العضال — الذى يمكن أن يجرد المؤمنين من إيمانهم ويلقي بهم في هاوية من الضياع و التيه ليس لها قرار — تكاد تنحصر فيما يلي :

1— ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين. ط 2. بيروت لبنان : دار الكتاب العربي ، 1393 هـ — 1973م ، ج 1، ص 350 ،

2— سورة الحج الايات (11 ـ 13). 3— سورة التوبة الاية 42 ،

4— سورة العنكبوت الآيتين (9 ، 10).

1- الخوف على الناس : ((الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)) (1).

2- الخوف على الرزق : ((سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا)) (2).

((وهذا السبب بليغ وكبير في النفس البشرية حيث يؤدي إلى إحباطها وزرع الوهن فيها .. والشيطان يدخل من هذا الباب على المؤمنين والعاملين، والدعاة، يخوفهم، يعدهم ويمنيهم ((وما يعدهم الشيطان إلا غرورا)) (3). ((انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين)) (4))) (5).

3- حسب هؤلاء أن الجنة لمن هب ودب : ((أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم)) (6).

4- ونسوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية . ألا إن سلعة الله الجنة)) (7).

5- ركنوا الى شهواتهم في دنياهم، وبها ستعظم شقوتهم يوم القيامة.

6- فقدوا الثقة في الله ونصره فكانوا ممن قال الله فيهم : ((من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة، فليمدد بسبب إلى السماء، ثم ليقطع، فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ)) (8).

لقد شبه الأستاذ الداعية مصطفى مشهور هذه النوعية بتلك اللبنات ((التي اسود لونها من شدة اللهب وتغير شكلها ولم تحافظ على استقامتها، وربما التصقت بغيرها وكونت كتلة لا يمكن فصلها عن بعض بسهولة، ولا تصلح للاستفادة منها في البناء وإن كان ظاهرها الصلابة. قد يستفاد من بعض اللبنات الضعيفة بقدر طاقتها، أما هذه اللبنات فلا يستفاد بها لأنها تحدث خللا في الصف بسبب إعوجاجها)) (9).

إن تساقط المرتدين ظاهرة صحية تعفي الجماعة من وجود ناشزين تحملهم بدل ان يحملوا دعوتها.

1- سورة آل عمران الآية 168. 2- سورة الفتح الاية 11. 3- سورة النساء الاية 119.
4- سورة آل عمران الآية 175. 5- فتحي يكن، المتساقطون على طريق الدعوة. كيف. لماذا ؟ مطبقة امزيان بدون ذكر السنة ص 84.
6- سورة المعارج الآية 38. 7- أخرجه الترمذي في السنن أبواب صفة القيامة. رقم الحديث 2567 ج 4. ص 51. هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث أبي النضر.
8- سورة الحج الاية 15. 9- مصطفى مشهور طريق الدعوة ص 85.

ويقووا ساعدها ، وهل يؤثر هذا التساقط الا كما يؤثر تساقط الأوراق اليابسة التي نضب معين الحياة من عروقها من الشجرة الباسقة ((بل إن سقوطها يزيد في بهاء الشجرة ونقائها وحسن منظرها)) (1) . اذ ما لا شك فيه أن المحن التي تصيب الأفراد تسقط على الجماعة التي يكون انتماؤهم لها . وما تعرضت جماعة للضربات الا كانت ، على جانب كبير من الحق . واذا كانت الفتنة تصهر نفوس الافراد لتنفي عنها القبيح ، لتشتد و تتقوى فكذلك تفعل الشدائد بالجماعات .

المبحث الثاني

موقف الناس من المبتلين

((انها سنة جارية أن ينتدب الله في كل قرية نفرا من أكابر مجرميها فيها يقفون موقف العداء من دين الله ، ذلك أن دين الله يبدأ من نقطة تجريد هؤلاء الأكابر من السلطان الذى يستطيلون به على الناس ، ومن الربوبية التي يتعبدون بها الناس ، ومن الحاكمية التي يستذلون بها الرقاب)) (1) ، فيقع الصدام بين أصحاب العقيدة و هؤلاء المجرمين، ويبدأ الابتلاء ، وتختلف المواقف باختلاف الأشخاص وأهدافهم ومصالحهم : فمن مؤيد للحق مهما عجرف الباطل ، إلى محايد مخافة أن تلحق به غطرسة الطاغوت ، إلى نفعي يجرى وراء المنفعة أينما كانت . إذن فأول ما يصادف دعاة الحق من الناس :-

أ - المعاندون :

وهم أعداء الله وأعداء دعوته وأعداء دعاته ، عرفهم الأنبياء قديما متمثلين في منكرى دعوتهم من مشركين ومنافقين . ونعرفهم اليوم بألقاب مختلفة وإن كانت حقيقتهم واحدة وهم : الشيوعيون الملاحدة ، والصليبيون و اليهود وما شاكلهم واهتدى بهديهم من أذناب الباطل .

فأما الأعداء ، فحربهم ظاهرة وعداوتهم للاسلام لا تحتاج الى إبانة ، لأنهم درسوا ما فيه من أسباب القوة ، فخشوا على مصالحهم من الانقراض إن تقه المسلمون هذه الاسباب واسترجعوا بها عزهم ومجدهم ، فهم يحاربون جهرة ، ويؤكدون أن الحرب القائمة بينهم وبين هؤلاء المسلمين ليست في حقيقتها خلافات دولية حول قطعة أرض من يقطنها أو طمعا في الثروات التي تزخر بها أراضي المسلمين كما يعتقد البعض وإنما هي حرب بين الكفر و الاسلام فيقول أحد هؤلاء المتحاملين (مورو بيرجر) :

---

1 - أنور الجندى . حسن البنا، الداعية الامام والمجدد الشهيد . ط 1 . بيروت : دار القلم 1398 هـ - 1978 . ص 341 بتصرف .

2 - احمد فائز. طريق الدعوة في ظلال القرآن . ص (233-234) .

((إن اهتمامنا بالامة العربية ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب بل بسبب الاسلام ، ويقول آخر : وما هذه الحروب المتنوعة إلا حرب بين الحضارة الاسلامية و الحضارة المسيحية)) (1) .

وأما المتحاملون من بني الحومة فهم يحاربون الدعاة لا لشيء الا لإختلاف في المبدأ أو التصور و لأمراض تعشعش في النفوس وأهواء تغلب عليهم كالكبر ذلك الخلق الذميم و الآفة العظيمة التي تمنع صاحبها من الاعتراف بالحق والانقياد له ، ((و الغرور الذى يجعل من هوى النفس حقا يتبين ومن الظن في تقديرها مستوى تقاس به الفضيلة)) (2) ، وبدافع حب الزعامة و الرياسة وخوفهم على مراكزهم ومكانتهم .

ومن هذا المنظار ، تكون قلوبهم في أكنة لا تتأثر بالحق ، وعلى أعينهم غشاوة لا تبصر النور ، فتحادى الحق عن جهل .

إن هذا الصنف من الناس حتى إن لم يكن هو المنفذ لخطة الأذى والابادة لأن أصحاب الحق ليسوا تحت سلطته فانه يقف من هؤلاء الدعاة المبتلين موقف تشفي وتحامل ولا يألو جهدا بزيادة الطين بلة ب :

1 ـ تحريض صناع المحن لزيادة الأذى و التضييق ب :

أ ـ تضخيم خطورة الدعاة على السلطة .

ب ـ نصح الصناع بالقضاء عليهم قبل أن يصيروا قوة لا تقهر .

ج ـ التنويه بدورهم وقدرتهم على قمع هؤلاء المجرمين (الدعاة) .

د ـ اللجوء الى الضغط إن تساهلوا في عملية الاضطهاد و القهر .

هـ ـ المساعدة بالتخطيط و التدبير لوضع خطة محكمة تمكنهم من إنهاء الدعاة ودعوتهم .

2 ـ قلب الحقائق بحملات الاعلام المسعورة في الداخل و الخارج ل :

أ ـ التمويه على عامة المسلمين وتخويفهم من مساندة المبتلين أو الدفاع عنهم .

ب ـ اعطاء التبرير للاجراء التمحي الفظيع الذى قام به صناع المحن .

3 ـ تشكيك الجندية في قيادتها بايهامها أن الابتلاء نتيجة جهل الدعاة وسوء تصرفهم وتصادمهم بالسلطة وعدم مرونتهم مع الواقع ومسايرتهم للعصر وتعميق انحراف المبتلى بذلك وبالتأكيد له أن المحن ظلم لابد من ازالته .

4 ـ التنويه بموقف المرتد وتزيين أعماله واعتبار هذا الموقف موقفا شجاعا لابد من الاقتداء به .

---

1 ـ محمد محمد الدهان، قوى الشر المتحالفة وموقفها من الاسلام. ط 1. دار الوفاء للطباعة والنشر 1406 هـ . 1986 م . ص 11 .

2 ـ صلاح شادى، تأملات في كتاب مدارج السالكين. ط 2. 1406 هـ ـ 1986 م . ص 141 (بدون ذكر الناشر) .

5 ـ تقبيح موقف الثابت ووصفه بالخيانة والتعصب والتطرف وبأنه يجهل أين مصلحته للتأثير عليه وبالتالي يغير موقفه ، وتحذير الناس من عدواه والتأسي به. حتى يخلو الجو للجلادين ((من المسلمين وراثة)) فيعبثوا به كيفما أرادوا . لكن هذا الثابت بفضل الله يبقى مستمسكاً بموقفه لأن عقيدته تأبى مسايرة الجاهلية ولو بخطوة واحدة .

ب ـ النفعيون :

هذا الصنف من الناس يجعل العقيدة صفقة في سوق التجارة ، ومناصرة الحق والجماعة المؤمنة متوقف على المنفعة التي تجلبها اليه ، فإن أصابه خير فرح والتزم بها. وقال أن الايمان يعود على صاحبه بالخير وأن الدعوة حق لا بد من ممارستها والدفاع عنها مهما بلغت التضحيات. وإن أصابته فتنة وناله ابتلاء عدّها مقعدة عن مواكبة المسير وارتد على أعقابه متشبثا بخيوط واهية تربطه بدنياه . فتراه لا يقر له قرار ولا يهنأ له بال ، مع الذين وصفهم الله :

((مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)) (1)

أو هو كالشاة العائرة بين غنمين : ((تَيْعَر إلى هذه مرة وإلى هذه مرة ولا تستقر مع إحدى الفئتين فهم واقفون بين الجمعين فهم ينظرون أيهم أقوى وأعز قبيلا)) (2) . فإن كانت القوة و الغلبة للجماعة المؤمنة كانوا مع الحق للحصول على الربح ، وإن غلبت في جولة من جولات المعركة تخلوا عنها وابتعدوا عن دعاتها كأن لم يتصلوا بها يوما من الايام ولم ينعموا بخيراتها قط. ثم بحثوا عن جماعة أخرى أدر ربحا وأيسر حصيلة حتى وإن كانت ألد أعداء الله.

لقد تجاهل هؤلاء أن الربح و الخسارة يصلح للتجارة لكنه لا يصلح للعقيدة بالرغم من أن الله صارم في النهي عن المتاجرة بالعقيدة ، وكسب المال واعتلاء المناصب من خلالها .

قال تعالى : ((من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون)) (3) .

وغفلوا عن العبرة في الانتماء إلى دعوة الله ، وأن سالكيها لا يرضون بغير الجنة أجرًا ، فلا الدنيا تبهرهم ولا المغانم تستهويهم وتحيد بهم عن هدفهم أو تقعدهم عن غايتهم ، ((قد سهرت عيونهم والناس نيام وشغلت نفوسهم والخليون هجع وأكب أحدهم على مكتبه من العصر الى منتصف الليل عاملا مجتهدا ومفكرا مجدا ولا يزال كذلك طول شهره حتى إذا ما انتهى الشهر جعل مورده موردا لجماعته ونفقته نفقة لدعوته وماله مالا خادما لغايته ولسان حاله يقول لبني قومه الغافلين عن تضحيته : لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الله)) (4)

---

1 ـ سورة النساء الآية 143
2 ـ ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين. ص 350 .
3 ـ سورة هود الآيتين (15 ، 16)
4 ـ الامام الشهيد حسن البناء مجموعة الرسائل. ص 36 .

ولمثل هؤلاء ليس لنا مانقوله الا ماقاله الأستاذ البنا رحمه الله : ليس لنا ما نقدمه لكم و الجزاء فقط عند الله .

وعليه فعلى الدعاة الاستغناء عن هؤلاء النفعيين التسلقيين ، وعدم انتظار مساندتهم وقولهم كلمة حق وقت الشدة لأن هذه المواقف لا يقوم بها الا رجال عرفوا الحق فضحوا من أجله .

ب - المستضعفون :

عادة يمثلون معظم الناس وهم الطبقة المحكومة التابعة للطبقة الحاكمة كما أنهم غالبا مايكونون من الفقراء و الضعفاء وأصحاب المهن و الحرف وبعبارة أخرى ((يمثلون جمهور الناس ويكونون مرؤوسين للملاء وتابعين لهم)) (1) .

والصفة التي تميز جمهور الناس عن الملاء أنهم أسرع من غيرهم للاستجابة إلى الحق ذلك لأنهم خالون من موانع القبول الموجودة في الملاء : كحب الرياسة و التسلط والأنفة من الانقياد للغير لكبرهم النفسي و بالتالي يكونون أسرع إلى الاجابة للحق و الانقياد له من غيرهم)) (2) .

لكن رغم أن الجمهور مهيأ للاستجابة السريعة فإن هناك إحتمالا لتأثره بمكائد الملاء والسير وراء تضليلهم وأكاذيبهم كما حصل لقوم فرعون فقد تابعوه على باطله وناصروه عليه .

قال الله تعالى : ((فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين)) (3) .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا :

لماذا هناك احتمال لتأثر الجمهور بالملاء مع وضوح الحق وعدم وجود موانع للاستجابة عنده ؟

ان ذلك يرجع لجملة من الاسباب نذكر بعضها :

1 - الخوف :

إن الملاء الكافر الذى يجمع بين الملك و الرئاسة و الاموال من ناحية والقوة و النفوذ من ناحية أخرى، يستطيع أن يخيف الجمهور إن خالف رأيه أو قام بما لا يرضيه. وهذا الرعب والخوف يثبط الهمم ويقتل العزائم ويفتر روح الجهاد والتصدى والرفض عند عامة الناس طلبا لسلامة أنفسهم من الاذى ، خاصة حينما يرون مايجري للدعاة من تعذيب واضطهاد واعتداء على الاعراض و الممتلكات . وهذا يدفعهم للوقوف موقف الحياد و السكوت حتى وان كانوا رافضين للظلم و الاستبداد ، متعاطفين مع الاسلام و الدعاة .

1_ عبد الكريم زيدان، المرجع السالف الذكر، ص378 .
2_ هذا التعليل أشار اليه القرطبي في تفسيره، نفس المرجع السابق ص379 .
3_ سورة الزخرف الاية 54 .

2- الإغــراء بالمــال :

وهو منعطف ذا بال ، قد ينزلق فيه بعض من مشى في ركب الدعوة فكيف بمن فرغ قلبه من العلم النافع و الهدى العاصم و العقل الراجح ، وعانى من الحرمان والفقر ؟ لذا فالملأ يعملون على إغراء الجمهور بما يملكون من مال وأسباب الحياة المادية إذ يعطونها من يوافقهم على باطلهم . قال تعالى :

((قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا)) . (1)

3- المجــالات الدعــائية :

يرى جمهور الناس بعد حملة الدعايات أن جماعة الحق قد تصلح، وقد لا تصلح بعد فيض الاكاذيب التي أشيعت في حق الجماعة المؤمنة . وتكون الحرب الدعائية مؤثرة أكثر على بعض الناس الذين لم يعرفوا أولياء الرحمن ولم يجتمعوا بهم . وقد روت لنا كتب السيرة أن افتراءات الطواغيت قد تجعل جمهور الناس لا يرغبون حتى في مجرد السماع للدعاة . وقد بلغ الحد بالطفيل بن عمرو الدوسي أن يضع القطن في أذنيه حتى لا يسمع للرسول صلى الله عليه وسلم . لكن لا تلبث أن تزول هذه الحالة وهذا التأثير بمجرد الاجتماع بالرسول صلى الله عليه وسلم و الاستماع منه . (2)

إن الشبهات على بطلانها إذا اجتمعت بالاغراء بالمال و بالاخافة بالقوة فانها تؤثر في الجمهور وتزيد في تضليله . والانسان بفطرته يحب الحياة و التمتع فيها ، ويخاف الأذى والحرمان فتتجمع الشبهات مع هذه الغرائز الانسانية فيقع التأثير في أكثر الجمهور ولا ينجو منه الا القليل منهم .

لذا فان أول ما يجب أن يعمل له الدعاة تجاه هذه الأصناف هو :

1- أن يتصفوا بطول النفس وسعة الصدر و الصبر الجميل على طول الطريق وكثرة قطاعه والتفاف أشواكه ، دون إعارة الاهتمام لافتراء المفترين وشبهات المتحاملين .

2- أن يحرصوا على تقديم الحق لهم واستمرارية الاتصال بهم حتى يصلحوا ويقووا ، كما يحاولوا كسبهم من جديد .

3- أن يسلّموا بأن الناس أعداء لما جهلوا . فلا ييأسوا مع صلاح النفوس واستجابة القلوب مهما أعرضوا وتمادوا في غيهم . وأنه بالحكمة والموعظة الحسنة و القدوة الصالحة يمكن إزالة الأغشية التي تراكمت بعضها على بعض حتى يسهل النفاذ الى الفطرة ومخاطبتها ، فاذا هي سلسلة الانقياد ، مجيبة لداعية الحق عن طواعية وطيب نفس .

1- سورة نوح الاية 21 . 2- انظر ابن هشام ، المرجع السالف الذكر، ص(372 - 385)، وابن كثير السيرة النبوية، ص(72 - 76).

4- أن يعمل على تفنيد الشبهات وإظهار زيفها وبطلانها لأنها حواجز تحجب الاحساس بالداء للاقبال على التداوى وتكون الازالة بالحجة الدامغة والصراحة الواضحة لأن ((مهمة الداعي إزالة الشبهات وإزالتها كمهمة الطبيب العالم الناصح الشفيق ، لاتستفزه صيحات المرضى وكرههم رؤية الطبيب ، بل ولا يمنعه شتمهم له وطعنهم فيه من الاستمرار في معالجتهم)) (1) .
هذا ما أثبته الامام الشهيد بقوله : ((فنحن قوم لا يزيدنا جهل الجاهل علينا إلا حلما ولا يخرجنا عدوان الناس عن خطة الاناة والتثبت بالرفق)) (2) .

5- أن يثبتوا على الحق ويضحوا من أجله ، فالدعوة بقدر تضحيات أصحابها وقادتها بقدر ما تزداد أعداد المريدين و الأنصار لها ، وأعظم التضحيات وأبلغها أثرًا : دم الشهيد في سبيل دعوته ، انه وقود الأجيال على مر العصور والعصا السحرية التي إن لا مست شغاف القلوب آمنت بريها ، إنه أبلغ وعظ واعمق آثر . فكم من ميت أحياه منظر الدم القاني وهو يخضب طريق الدعوة وكم من متردد انضم الى القافلة وهو يشهد بأم عينيه أوسم صورة للتضحية من أجل المبدأ .

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله مبينا هذا الأثر عن الامام الشهيد :
((ويمضي حسن البنا إلى جوار ربه ، يمضي وقد استكمل البناء أسسه ، يمضي فيكون استشهاده عملية جديدة من عمليات البناء ، عملية تعميق للأساس وتقوية للجدران وما كانت ألف خطبة ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهب الدعوة في نفوس الاخوان كما ألهبتها قطرات الدم الزكي المهراق)) (3) .

6- لابد أن يعمل الداعية على إبطال تأثير تساقط العناصر أو انحرافهم على الشباب الاسلامي حتى لايكون مصير هذا الأخير السقوط أو الانحراف .

* تنبيه - لابد من إزالة التباس قد يقع للبعض وهو أن محاولة كسب الداعي للمتحاملين أو المحايدين مرده لقلة أتباع الحق . وهذا فهم خاطئ في قاموس الداعية الذى يدفعه الواجب إلى أن يزرع الفسيلة ولو جاءته أشراط الساعة . الواجب الذى يحتم عليه أن يدرك أمانة التبليغ للعالمين ، وأن يعمل لهذه الغاية حتى يحققها أو يهلك دونها . لقد نصح الامام الشهيد بهذا فقال :
((يا أخي إنك إنما تعمل لغايتين : لتنتج وتؤدى الواجب ، فإن فاتتك الأولى (أى لم يستجب لك الناس) ، فلا تفوتنك الثانية (أى أداء الواجب)) (4) .

وأخيرا يمكن القول : أنه ما من تكليف إلا وتفاوت الناس إزاءه وكذلك هم أمام الابتلاء ، وتفاوت الأثر في نفوسهم تبعا لنظرتهم له . ولو أن الشباب الاسلامي هضم آثار الابتلاء

1- عبد الكريم زيدان ، المرجع السالف الذكر ، ص412 .
2- أنور الجندى ، حسن البنا الداعية الامام و المجدد الشهيد . ط2 ، بيروت : دار القلم ، 1398 هـ - 1978 م ، ص83 .
3- نفس المرجع السابق ص341 . 4- مصطفى مشهور ، طريق الدعوة ، ص118 .

النافعــة ،وأدرك أن ((طبيعــة العذاب الذى يلقاه الداعية المسلم في طريقــه إلى الدعوة الى اللـــه وإلى اقامــــة المجتمع الاسلامي لعلم أنه ليس فـــي حقيقتـــه عقبات أو ســـدود تصـد السالك أو المجاهد عن بلوغ الغــايـــة -كمــا يتوهـم البعض - بل هو سلوك في الطريـــق الطبيعـي الذى خطه اللـــه تعالى بين المسلم و الغاية التي أمره بالمسير إليها ، فبمقـدار ما يجد الداعيـة من المشقة يجد الغايـــة)) (1) ، لما استحال أن تتكرر صورة السابقين الاولين من الصالحين ، وأن تقام الدولة الاسلامية العالميـــة من جـديد .

وقبل أن انتقل إلى الفصل الأخير لابد من الاشارة إلى أن هناك صنــــف المؤيدين الذى يمكن إضافته إلى الأصناف السابقة الذكر لكنني لم أتطرق اليـه لأنني أعتبره من المبتليـــــن .

1 - على بن جابر الحربي، المرجع السالف الذكر، ص 356 بتصـــرف .

الفصل الرابع

عوامل الثبات

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الاول : العامل النفسي

المبحث الثاني : العامل التاريخي

المبحث الثالث : العامل الواقعي

ان الامة المحمدية بعد سقوط الخلافة الاسلامية وتعطيل شرع الله فقدت شهادتها على الناس ،وقيادتها للبشرية ،وأضحت تعاني من الاضطهاد والابادة والتبعية .وهذه المعانات كفيلة بأن تحرك المسلم لتغيير الوضع ،وخاصة أن الاسلام لا يرضى للمسلمين الدنية والضعة ،ويفرض عليهم النهوض من هذه الكبوة ،والعمل على تمكين دين الله واعادة الخلافة واقامة دولة الاسلام التي تحمي حرمات المسلمين من كيد الاعداء وظلم الطغاة ،وتسترد الاراضي الاسلامية المغتصبة وعلى رأسها المسجد الاقصى . لكن تحقيق الهدف المنشود والتغيير المطلوب لا يمكن أن يحدث في يسر وانما نتيجة معاناة مريرة، وصراع شديد بين الحق والباطل .لان هذا الأخير يأبى الاستسلام أمام الحق . وكيف يستسلم وغايته تغييب الاسلام عن جميع مناحي الحياة وابادة المسلمين أي استئصال الاسلام وأهله ؟ .

لذا نجد الحركة الاسلامية التي تعيش هموم أمتها وتعمل على احداث التغيير واقامة الكيان الاسلامي وتحقيق النصر تلاقي من العنت والاذى والابتلاء مالا تلاقيه أية حركة أخرى — خاصة بعدما بدأ الاسلام يكتسح العالم من جديد — وهذا الابتلاء هو بداية النصر المؤزر ومقدمة الفتح المبين .

وعليه لابد للعنصر الاسلامي الذى التحق بهذه الحركة أن يوطن نفسه على الثبات على الطريق،والصمود أمام التحديات،وعدم التخلي عن دعوته،والعمل في سبيل غايته مهما بعدت المدة وكثرت العقبات،وتنوعت الابتلاءات حتى يلقى الله وهو عنه راض ،لانه حقق عاملا من عوامل النصر وطبق أمرا من أوامر الله ألا وهو الثبات والاستمساك بالحق.

قال تعالى : ((فاستمسك بالذى أوحي إليك إنك على صراط مستقيم)) (1)

وقال : ((ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)). (2)

إن الاية الكريمة 1 — أمر صريح للرسول صلى الله عليه وسلم خاصة وللدعاة الذين سلكوا طريقه عامة بالثبات والتحمل مهما أوذوا لانهم على حق وعلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف. ولأهمية هذا العامل جعله الامام الشهيد حسن البنا ركنا من أركان البيعة فقال : ((وأريد بالثبات)) أن يظل الأخ عاملا مجاهدا في سبيل غايته مهما بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز باحدى الحسنيين : فاما الغاية واما الشهادة في النهاية.

((من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا — الاحزاب — والوقت عندنا جزء من العلاج ،والطريق طويلة المدى بعيدة

1— سورة الزخرف الاية 43
2— سورة محمد الاية 7

المراحل كثيرة العقبات لكنها وحدها التي تؤدى الى المقصود مع عظيم الأجر وجميل المثوبة)) .(1)

لكن العنصر الاسلامي لايتيسر له الثبات على طريق الدعوة دون زيغ أو انحراف إلا إذا حقق عوامل الثبات المتمثلة فيما يلي :

1 ـ العامل النفسي .

2 ـ العامل التاريخي .

3 ـ العامل الواقعي .

المبحث 1

العامل النفسي

إن السر وراء تحديد مواقف الداعية إلى الله أمام التحديات و الابتلاءات أثناء مسيرته الربانية يكمن في الشعور النفسي و القوة الروحية التي لايمكن أن يمتلكها إلا إذا توفر لديه زادين :

آ ـ زاد الايمان و التقوى.

ب ـ زاد الصبر و التحمل.

آ ـ زاد الايمان و التقوى :

((ان هذا الزاد من الايمان وتقوى الله يفجر ينابيع الخير من داخل النفوس، ويولد الطاقات،ويشحد الهمم و العزائم.فتسهل الحركة وتخف جواذب الارض وتتخطى العقبات،وتتفادى المنعطفات،وتتضح معالم الطريق ،ويكون الصدق و الاخلاص والعزم والثبات،ويتحقق ما يشبه المعجزات من الانجازات على الطريق)) (2) لانه المرتكز الاول للدعوة والأساس المكين و القاعدة الصلبة في البناء ،ومتى استقر في القلب وتمكن في جوانب النفس وأغوارها وأعماق فؤاد الداعية الى الله.تكشفت له حقائق الانسان و الكون والاسلام ،واتضح له منهجه في العمل والحركة ، وتولدت لديه الهمة العالية والارادة القوية و الاخلاص الصادق و الشعور بالمسؤولية والترفع عن سفاسف الأمور ومغريات الدنيا ،والارتفاع فوق كل غاية الا رضا الله، وهذه بداية النصر و النجاح .

بهذا جزم الامام الشهيد حسن البنا فقال : ((ان الاخلاص أساس النجاح وان الله بيده الأمر كله ،وان أسلافكم الكرام لم ينتصروا الا بقوة ايمانهم وطهارة أرواحهم ،وذكاء نفوسهم وإخلاص قلوبهم ،وعملهم عن عقيدة واقتناع جعلوا كل شيء وقفا عليه ،حتى اختلطت نفوسهم

---

1 ـ حسن البنا،مج الرسائل.ص363.
2 ـ مصطفى مشهور،زاد على الطريق ،باتنة،الجزائر، دار الشهاب 1987م ،ص10.

بعقيدتهم ، وعقيدتهم بنفوسهم ، فكانوا هم الفكرة ، وكانت الفكرة اياهم ، فان كنتم كذلك ففكروا ، والله يلهمكم الرشد والسداد ، واعملوا ، والله يؤيدكم بالمقدرة والنجاح)) (1) .

ان هذا الزاد يضمن لصاحبه :

1 – معية الله الدائمة :

قال تعالى : ((وأن الله مع المؤمنين)) (2) وقال : ((واعلموا أن الله مع المتقين)) (3) .

2 – العزة : قال تعالى : ((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)) (4) .

3 – الرحمة والهداية : قال تعالى : ((فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ، ويهديهم اليه صراطاً مستقيما)) (5)

4 – الفرقان والمغفرة : قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)) (6) .

وقال : ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)) (7) .

5 – محبة الله : قال تعالى : ((بلى من أوفى بعهده ، واتقى فإن الله يحب المتقين)) (8) .

6 – التسليم والرضا بالقدر : قال الله تعالى : ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)) (9) .

7 – الأجر العظيم والبعد عن الخوف : قال الله عز وجل : ((وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا أجرعظيم . الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)) (10) .

8 – الرزق : قال تعالى : ((ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه)) (11) .

وقال : ((ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)) (12) .

---

1 – محمد أحمد الراشد ، العوائق ص122
2 – سورة الانفال الاية 19
3 – سورة التوبة الاية 36
4 – سورة المنافقون الاية 8
5 – سورة النساء الاية 175
6 – سورة الانفال الاية 29
7 – سورة الحديد الاية 28
8 – سورة آل عمران الاية 76
9 – سورة الاحزاب الاية 36
10 – سورة آل عمران الايات (173 ، 174 ، 175)
11 – سورة الطلاق الايتين (2 ، 3) .
12 – سورة الطلاق الاية 4

٩ — واقعيا القومسيات : قال تعالى : ((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)) (1) وقال : ((إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا)) (2).

ثم النصر والتمكين : قال تعالى : ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) (3). وقال ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا)) (4).

فما أحوج طلائع البعث الاسلامي اليوم إلى هذا الزاد : زاد التقوى والايمان ، الايمان المحرك ذو الفعالية الذى يبعث في قلب الواحد منهم حرقة لن تهدأ حتى ترى دولة الاسلام قائمة ، وشريعة الله مطبقة ، وأستاذية العالم للمسلمين ، الايمان القوى الذى يفجر الطاقات ويحمل صاحبه على البذل والتضحية ، واحتمال المصاعب ومقاومة الخطوب ، ويجعله أكبر من المحنة وأعظم من الابتلاء وأثبت على الحق ولسان حاله يقول للطغاة والجبابرة : ((فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا ، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى)) (5).

والتقوى الدائمة اليقظة التي تتضمن دوام مجاهدة النفس ومحاسبتها ، ومراقبة الله في السر والعلن أى تتضمن الاخلاص بداية ووسطا ونهاية ، ((التقوى التي تحيي القلوب وتوقظها وتستجيش فيها أجهزة الحذر والحيطة والتوقي)) (6).

ولا يفوتنا في هذا الموقف أن نشير إلى أمر هام هو ، أن الايمان لابد أنه يتصل بأمور ثلاث : العمق ، النمو ، الوعي :

أ — العمق : ينبغي أن يكون الايمان عميقا لانه هو الذى يصنع الرجولة التي تحتاج اليها الدعوة ، ويبعث الحرارة والحمية والحركية ، ويوقد الحماسة في صدر صاحبه ، وهو السبب الاساسي للتأثير على الناس ولنجاح الخطة الموضوعة .

ب — النمو : وينبغي أن يكون ناميا ، وأن يظل حافزا للمسلم كي يزداد تعلقا بالاسلام والدعوة له وهكذا يكون سببا لاستمرار الدعوة والثبات عليها .

ج — الوعي : كما يجب أن يكون ايمان الداعية ، ايمان الواعي للفكرة المقتنع بها ، المتعلم ، المتنبه ، الفاهم ، العالم وبذلك يكون سببا للسلامة من كل انحراف وزيغ (7).

ان الوضع الفردي والمجتمع الجاهلي الذى يعيش فيه الداعية قد يعرض هذا الزاد الثمين

---

1 — سورة ابراهيم الآية 27   2 — سورة الانفال الآية 12
3 — سورة الروم الآية 47   4 — سورة النور الآية 55
5 — سورة طه الآية 72، 73   6 — سيد قطب ، في ظلال القرآن م 3 ج 9 ص 1499 .
7 — محمد الصباغ ، من صفات الداعية ، ط 4 ، بيروت : المكتب الاسلامي 1405 هـ ، 1985 م ، ص (13 — 20) بتصرف .

الى النقصان . لذا أرشدنا الله سبحانه وتعالى الى الوسائل التي تحافظ بهـــا على هذا الكنز العظيـــم وهي :

ا ـ القـــرآن :

ان القرآن هو النبع والمعين الذى يستمد منه المؤمن القوة الخارقة المؤثـــرة التي يستطيع بها تغيير العالم كما غير الرعيل الاول ـــ واضاءة الطريق للمنحرفيـــن والضالين والكافرين ، اذ أنه يجد فيه التوجيه ، الارشاد ، التذكير ، التقويـــم والرحمـــة والهدايـــة .

قال تعالى : ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم)) (1) . وقال : ((وننـــزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)) (2) . وقال : ((يا أيها الناس قد جاءتكـــم موعظة مـــن ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمـــؤمنيـــن)) (3) ، وقـــال ((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانـــه سبل الســـلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيـــم)) (4) .

كما أن القرآن الكريم بالاضافة إلى أنه وسيلة لتقوية الايمان فانه عامل من عوامل الثبات . قال تعالى ((وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلـــك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)) (5) . وقال : ((قل نزله روح القدس من ربك بالحـق ليثبـت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلميـــن)) (6) .

لذا وجب على الداعية أن يضع لنفسه وردا قرآنيا يوميا ، وأن يلتزم بالقرآن فهمـا ، حفظا وعمـــلا ، وأن يتخـذه منهجـا ودستورا .

2 ـ دوام التفكـــــر :

إن التدبر في خلق الله وآياته وآلائه ، والتفكـر في أسمائه وصفاته الحسنـــى يؤدى إلى زيادة الايمـان بالله ، ويوصل إلى معرفته سبحانه وتعالى معـرفة حقـــة ، هذه المعرفـــة التي اذا مست القلب البشرى تغير ، وغمره النور الرباني فاستمســك بالعـروة الوثقى واتصل بالله اتصالا وثيقا لا انفصـام بعده ، وتحرك ليغير الامـــة ويقودها الى صراط الله المستقيـــم .

قال تعالى : ((ان في خلق السموات و الأرض واختلاف الليل و النهار لآيـــات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلـــق السموات و الأرض ، ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)) (7) .

---

1 ـ ســـورة الاسـراء الاية 9 ، 2 ـ ســـورة الاســـراء الاية 82
3 ـ ســـورة يونـــس الاية 57 ، 4 ـ ســـورة المائـدة الايتين 15 /16
5 ـ ســـورة الفرقـــان الاية 32 ، 6 ـ ســـورة النحـــل الاية 102
7 ـ ســـورة آل عمـران الايتين (190 ، 191) .

3- المحافظة على العبادات :

((ان المنهج الاسلامي منهج عبادة ، والعبادة فيه ذات أسرار ومن أسرارها انها زاد الطريق وأنها مدد الروح وأنها جلاء القلب)) (1) ، ومن أقامها وحافظ عليها توثقت صلته بالله وتحددت طاقته الروحية وازداد ايمانه وتقواه واشتد تصميمه على مواصلة الطريق مهما اشتد لهيب الخطوب .

من هنا وجب على الداعية الاسلامي أن يحافظ على الفرائض ويكثر من النوافل وخاصة قيام الليل الذى أرشدنا اليه الله عز وجل لما فيه من خير وزاد يعين على تحمل أعباء الدعوة الثقيلة وتكاليفها الشاقة ، ولما يمد به القلب من أنس وطمأنينة واخلاص ومجاهدة وصبر وتجرد وقوة وعزيمة ، فوالنفس بعد قليلا .

قال تعالى : ((يا أيها المزمل ، قم الليل الا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ، إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ، إن لك في النهار سبحا طويلا ، واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ، رب المشرق و المغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا)) (2) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((افضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)) (3) .

4- الاكثار من الذكر والدعاء :

اذا كان الذكر والدعاء من الأمور اللازمة لكل مؤمن فهما للداعية ألزم وهو لهما أحوج ، فالذكر - من تسبيح ، تكبير ، تهليل ، الاستغفار ، الثناء ، الحوقلة ، الحمد ، الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم قلبا ولسانا - هو الحصن المتين الذى يحفظه من الزيغ و الانحراف ، والفتنة والطغيان ، وهو الاتصال المحرك الذى يقوى الايمان ويبث في النفس السكينة و الاطمئنان لذا حث الله عز وجل عليه فقال :

((فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون)) (4) . وقال : ((يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا ، هو الذى يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما)) (5) . وقال : ((الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)) (6) . وقال : ((ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)) (7) .

1- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 1، ص 142. 2- سورة المزمل الايات 1-9
3- أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصيام ، باب فضل صوم المحرم ، ج 8 ، ص 56 وأخرجه الترمذى في السنن ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : ما جاء في فضل صلاة الليل رقم الحديث 436 ج 1، ص 277 .
4- سورة البقرة الاية 152 5- سورة الاحزاب الايات 41 ، 43
6- سورة الرعد الاية 28 7- سورة الحجر الايات (97 ، 98 ، 99).

أما الدعاء فهو مصدر العبودية والاعتراف ، الخضوع والتسليم ، الانكسار والتضرع الذي يحيي القلوب ويشرح الصدور فتزداد ايمانا لهذا أكد عليه الله عز وجل ((فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الدعاء هو العبادة ثم قرأ : ((وقال ربكم أدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)) (1)(2).

قال تعالى : ((أدعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ، ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين)) (3).

وقال : ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)) (4).

أ- الجماعة المؤمنة :

ان الجماعة المؤمنة خير معين لصاحب الدعوة أثناء تبليغ رسالته فهي المحضن الذي يتربى فيه فيزداد فهما ، وايمانا ، والتزاما وثباتا ، وابتعادا عن الشبهات والترهات ، ووعيا بقضايا أمته وهمومها ، وعملا لتطبيق شريعة الله ، كيف لا ؟ وهي تكسبه الفهم السليم للاسلام والتصور الصحيح للعمل الاسلامي ، وتحثه على الجهاد في سبيل الله وهي تزوده بالقوة الدافعة لمواصلة المسير ، وتبين له معالم الطريق وأساليب الدعوة ووسائلها حتى تكون دعوته مؤثرة مثمرة .

ب- زاد الصبر والتحمل :

ان الطريق الطويل الشاق الذي يسير فيه الداعية الى الله ، والجهد الضخم الذي تقتضيه دعوته يتطلبان منه قوة وثباتا ، وهذه القوة وهذا الثبات لا يأتيان الا اذا تسلح بعدة التحمل التي تعطيه القدرة على امتلاك الحياة وتسخيرها لله ، وعلى مواجهة المشقات والتحديات ، ويزاد الصبر الذي يضيء له الطريق ويطرد عنه الجزع ويوصله الى الغاية ((وما يمكن أن يقوم على هذه الدعوة أحد إلا والصبر زاده وعتاده ، والصبر جنته وسلاحه ، والصبر ملجؤه وملاذه فهي جهاد ، جهاد مع النفس وشهواتها وانحرافاتها وضعفها وشرودها وعجلتها وقنوطها .. وجهاد مع اعداء الدعوة ووسائلهم وتدبيرهم وكيدهم وأذاهم .. ومع النفوس عامة وهي تتفصى من تكاليف هذه الدعوة ، وتتفلت ، وتتخفى في أزياء كثيرة ، ومن تخالف عنها ولا تستقيم عليها والداعية لا زاد له الا الصبر أمام هذا كله)) (5).

1- سورة غافر الاية 60
2- أخرجه الترمذي في السنن .أبواب تفسير القرآن سورة المؤمن .رقم الحديث 3299. ج 5 .ص 52 .حديث حسن صحيح .
وأخرجه ابن ماجه في السنن .كتاب الدعاء .باب فضل الدعاء .رقم الحديث 3827. م 2 .ص 1258 .
3- سورة الاعراف الايتين (55 ، 56)
4- سورة الاعراف الاية 180
5- سيد قطب في ظلال القرآن م 6 .ج 29 .ص 3747 .

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الطهور شطر الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله و الحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء و الأرض ، و الصلاة نور ، والصدقة برهان والصبر ضياء ، و القرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)) (1) .

من هنا وجه الله عز وجل رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وأمته الفاضلة الى الصبر على الدعوة وتكاليفها الباهظة .

قال تعالى : ((واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ، وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا)) (2) . وقال : ((واستعينوا بالصبر و الصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين)) (3) . وقال : ((وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور)) (4) .

وبين الله عز وجل أن صاحب هذا الزاد يفوز بـ :

1- المعية الإلهية : قال الله تعالى : ((ان الله مع الصابرين)) (5) .

وقال : ((واصبروا ان الله مع الصابرين)) (6) .

2- الصلوات و الرحمة والهداية : قال تعالى : ((وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)) (7) .

3- المغفرة : قال الله عز وجل ((ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم)) (8) . وقال ((الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير)) (9) .

4- الأجر بغير حساب : قال تعالى : ((انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)) (10) .

5- المحبة : قال سبحانه وتعالى : ((والله يحب الصابرين)) (11) .

6- الحفظ : قال تعالى : ((وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا)) (12) .

7- العزم : قال تعالى : ((وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور)) (13) .

1- ر ... ، البيان في شرح الاربعين النووية للامام النووي ، خالد البيطار ، باتنة ، الجزائر : دار الشهاب ص 140 . أخرجه مسلم كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، ج 1 ، ص 140 ، وأخرجه الترمذي في السنن ، باب أبواب الدعوات ، رقم الحديث 3583 . هذا حديث حسن صحيح ج 5 ، ص 196 .

2- سورة المزمل الايتين (10 ، 11) .
3- سورة البقرة الاية 45
4- سورة لقمان الاية 17
5- سورة البقرة الاية 153
7- سورة البقرة الايتان (156-157) .
8- سورة النحل الاية 110
9- سورة هود الاية 11
10- سورة الزمر الاية 10

[illegible] : قال الله : ((والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)) (1) .

9- الامامة : قال عز وجل : ((وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)) (2) .

10- الفلاح : قال تعالى ((يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)) (3) .

11- وأخيرا النصر : قال الله تعالى : ((بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم)) (4) .

12- الجنة : قال الله عز وجل : ((وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا)) (5) .

وقال : ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)) (6) . كما أوضح الله سبحانه وتعالى - إضافة الى الوسائل التي تحافظ على زاد الايمان والتقوى التي ذكرت آنفا - مايعين على الصبر في عدة أمور منها :

1- معرفة طبيعة الدنيا :

ان معرفة الحياة الدنيا على حقيقتها ، وبأنها مكان عبور ومتاع غرور قال تعالى : ((وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)) (7) ، وبأنها ((دار أولها بكاء ، وأوسطها عناء ، وآخرها فناء)) (8) . قال تعالى : ((يا أيها الانسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه)) (9) . وقال : ((لقد خلقنا الانسان في كبد)) (10) ، وبأنها دار اختبار وابتلاء يمر بها الانسان ليصل الى الآخرة وهي دار القرار والبقاء ، دار النعيم أو الشقاء تدفع الداعية الى الصبر على بلوائها وبأسائها ، ((وبألا يغتر بالحياة الدنيا ويغفل عن الهدف الذي أوجدت من أجله بل يحاسب نفسه ، ويعمل فيها على أنها دار استعداد موقت ، فيبقى جادا يقظا ، صبورا على الشظف ، مغامرا تقدميا لا يقف طموحه عند حد ، بل يتجاوز الاهداف الدنيوية القريبة .. ويجد كل عدته منازلة أعداء الفضيلة والخير)) (11) .

1- سورة العصر الاية 3 . 7- سورة آل عمران الاية 185
2- سورة السجدة الاية 24 8- القرضاوي ، الصبر في القرآن ص92 .
3- سورة آل عمران الاية 200 9- سورة الانشقاق الاية 6 .
4- سورة آل عمران الايتين (125 ، 126) 10- سورة البلد الاية 4
5- سورة الانسان الاية 12 . 6- سورة آل عمران الاية 142 .
11- د . عبد الرحمن النحلاوي ، اصول التربية الاسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة المجتمع ، ط1 ، دمشق : دار الفكر ، 1399هـ-1979م . ص49 .

2- اليقين بحسن الجزاء :

ان ادراك الداعية لمنزلة الصبر والصابرين عند الله عز وجل واليقين بحسن الجزاء والثواب يولد في نفسه قدرة على التحمل والصبر ينقلب بها الألم الى لذة والمرارة الى حلاوة والعذاب الى نشوة ((إذ أنه مالا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر)) (1).

هذا ما جزم به ابن القيم الجوزية فقال : ((ملاحظة حسن الجزاء ، وعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء لشهود العوض ، وهذا كما يخف على كل متحمل مشقة عظيمة حملها ، لما يلاحظه من لذة عاقبتها وظفره بها ، ولو لا ذلك لتعطلت مصالح الدنيا والآخرة ، وما أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة الا لثمرة مؤجلة ، فالنفس موكلة بحب العاجل)) (2).

قال تعالى : ((ماعندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون)) (3). وقال : ((أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما)) (4). وقال : ((نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون)) (5).

وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما : ((..ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر)) (6).

3- اليقين بالفرج واليسر :

ان الداعية حين يؤمن ايمانا جازما بأن المستقبل لهذا الدين وبأن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا ، وأن كل ضائقة لابد لها من زوال ، وحين يوقن بأن فرج الله آت لا محالة ، وأن بعد العسر يسرا ، وبعد الصبر نصرا وبعد البلاء عافية ، وبعد الضيق سعة ، ويثق بأن الحق لابد أن ينتصر على الباطل ، وأن الله لن يخلف الميعاد ، قال تعالى : ((فاصبر ان وعد الله حق ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)) (7) ، وقال : ((فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا)) (8).

وقال : ((سيجعل الله بعد عسر يسرا)) (9).

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((واعلم ان النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا)) (10).

1- أبو حامد الغزالي ، المرجع السالف الذكر ص 58.
2- ابن القيم الجوزية ، مدارج السالكين ص 166.
3- سورة النحل الآية 96. 4- سورة الفرقان الآية 75
5- سورة العنكبوت الآية 58 . (5). 6- النووي ، المرجع السالف الذكر ص 25 ، أخرجه مسلم في الجامع الصحيح ، كتاب الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر ج 3 ، ص 102 . وأخرجه الترمذي في سننه ، باب ماجاء في الصبر ج 3 ، ص 252 ، رقم الحديث 2093 .
7- سورة الروم الآية 60 8- سورة الانشراح الآية 5 ، 6.
9- سورة الطلاق الآية 7. 10- خالد البيطار ، البيان ص 118.

فان هذا الايمان واليقين والثقة يكون له بمثابة ماء يطفئ نار قلقه ، وقبسا من نور يضيء ظلمة همومه ، وقوة تعينه على الصبر ، وفسحة أمل تمسح عن قلبه أدران اليأس وتدفعه الى مواصلة السير .

4- الرضا بالقضاء والقدر :

ان ايمان العنصر الاسلامي بأن الأمر كله لله عز وجل ، وأن مقاليد كل شيء بيده وهو على كل شيء قدير ، وأنه الضار والنافع ، المذل والمعز ، ولا يملك لنا أحد رد الضر أو النفع ، يساعده على مواجهة الابتلاء بالرضا والتسليم ، والصبر على حكم الله وقدره وهو يردد قول الله تعالى : ((قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)). (1)

وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ياغلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فأسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وأن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف)) رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح. وفي رواية غير الترمذي : ((احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك)). (٢)

ان أخوف ما يخاف على الشباب الاسلامي اليوم أن يلتبس عليه الأمر في موضوع الصبر وينصرف تصوره له فيعتبر الرضا بالذل صبرا ، وبالخنوع تحملا ، وبالظلم نزولا لقضاء الله وقدره . تنتهك أعراض نسائه ، يقتل إخوانه ، يقتل بأطفاله ، تداس مقدساته تغتصب أراضيه . . تسلب قطعة قطعة — فمن فلسطين الى لبنان ، ومن تركستان الى أفغانستان ، ومن روما الى ارتيريا الى كل أرض اسلامية يذكر فيها اسم الله محاولة لاخماد صوت الحق والقضاء على المؤمنين المتمسكين بدينهم — وهو لا يحرك ساكنا ولا يهب لنصرهم ، قد أهمل الجهاد الذي هو سنام الاسلام ، واستغرق في حياة الذل والدعة ، ظنا منه أن ذلك صبرا سيثاب عنه — انما هو صبر مذموم نهانا الله عنه ، بالرغم من أن الله عز وجل قد بين بأن الطريق الوحيد للعزة والخلاص هو الرجوع اليه ونصرة دينه والجهاد في سبيله ، ألم يقل سبحانه وتعالى : ((يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم

1- سورة التوبة الاية 51 .
2- خالد الهيطار المرجع السالف الذكر ص 117.
الحديث أخرجه الترمذي في السنن أبواب صفة القيامة رقم الحديث 2635 هذا حديث حسن صحيح ج 4 ص 76 .

وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)).(1)

هب أن نارا اشتعلت في بيت ولم ينهض صاحبه ليطفئها ظنا منه أن هذا ابتلاء ولا بد عليه بالصبر فهل كانت النار لتنطفئ قبل أن تأتي على اليابس والاخضر ، أو أن سيارة صدمت رجلا فأصيب بنزيف داخلي خطير في المخ ولم يؤخذ الى الطبيب اعتقادا أن ذلك امتحانا لابد من تحمله فهل كان الدم ليتوقف رحده قبل أن يقضي على حياته . وهب أن الشعب الجزائري لم يسلك سبيل الجهاد ورضي بالاستعمار واعتبر ذلك صبرا ، هل كان سينعم بالحرية يوما ما ؟ لا ، أبدا .

إن النار والاصابة والاستعمار ابتلاء فعلا لكنه يتطلب من الفرد الحركة والجهاد والمواجهة لأن باستطاعته الدفع والتغيير لهذا فان الصبر هنا مذموم .

وخلاصة القول : ((أن أحدا لا يستطيع انكار ما للروح المعنوي — واشراقات الارتباط بالله — من أثر باهر لدى الافراد والجماعات ، فالجيوش التي يحسن بلاؤها وتحتلم بسالتها انما تستمد طول مقاومتها من رسوخ العقيدة وقوة الصبر اكثر مما تستمده من وفرة السلاح والعتاد)).(2)

---

1 — سورة الصف الآيات (10 ، 13) .
2 — الشيخ الغزالي ، جدد حياتك ، ص 106 .

المبحث 2

العامل التاريخي

أن تاريخ الامم السابقة وتجارب الجماعات المؤمنة وقصص الأنبياء والمرسلين عامل رئيسي من عوامل الثبات لما يحمله في طياته من خير كثير يكشف لسالك طريق الدعوة معالم رسالته وطبيعة مسلكه ، ويعرفه بمنهج أصحاب الدعوات في مواجهة الجاهلية بأنواعها المختلفة في كل عصر ومصر ، وبمعاناتهم وصبرهم وثباتهم أمام التحديات . كما يبصره بسنن الله في النفس والحياة والكون ، وبعاقبة المؤمنين و الكافرين .

وان الناظر للقرآن يجد أنه كلما اشتدت محنة الرسول صلى الله عليه وسلم وآذى قومه له قص الله عليه ((من أحسن القصص وأصدقه عن اخوانه الانبياء و الرسل السابقين كابراهيم وأبيه ، وموسى وأخيه ، وعيسى وأمه ، ونوح وابنه ، ويوسف واخوته وما لاقوا من أقوامهم من تكذيب وتعذيب ، وكيف صبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصر الله وأخذ الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يكسبون)) (1) ، ترشيدا له الى اتباع هداهم وسلوك طريقهم في احتمال المشاق وفي الصبر عليها ، وفي نصرة دعوتهم وتمكينها له في ابتداء عتبا ، وتسلية عما يلقاه وتثبيتا له وللصحابة المؤمنة معه . فان كانوا قلة مستضعفين ، فسيأتي اليوم الذى ينتصرون فيه كما انتصر من سبقهم من الامم المؤمنة .

قال تعالى : ((وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)) (2) .

وقال : ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول و الذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)) (3) .

وقال : ((كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد أتيناك من لدنا ذكرا)) (4) .

وقال : ((تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين)) (5) .

فسورة يوسف عليه السلام مثلا جاءت ((في تلك الفترة العصيبة من حياة الرسول الكريم وفي ذلك الوقت الذى كان يعاني فيه الرسول والمؤمنون ، الوحشة و الغربة ، والانقطاع في جاهلية قريش ، كان الله سبحانه ينزل على نبيه الكريم هذه السورة تسلية له ، وتخفيفا لآلامه بذكر قصص المرسلين)) (6) .

1- أحمد محمد جمال ، القصص الرمزي في القرآن ، ط 5 ، الجزائر ، مكتبة رحاب 1407هـ - 1987م ، ص 5 .
2- سورة هود الآية 120   3- سورة البقرة الآية 214
4- سورة طه الآية 99   5- سورة هود الآية 49
6- محمد الصابوني ، صفوة التفاسير ، 2 ، ص 39 .

قال تعالى : ((وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون ، حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين . لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)).(1)

ولقد كان الله عز وجل يورد قصص الانبياء مجتمعة ومتفرقة ، جملة وتفصيلا في كل القرآن بطريقة متكررة مغطيا بذلك كل مراحل الدعوة. فسورة العنكبوت على سبيل الذكر ـ الواردة بصدد الثبات أمام الفتن و المحن . بعد الحديث عن الايمان والابتلاء ، وعن تكاليف الايمان الحقة التي تكشف معادن الرجال ، يستعرض قصص الانبياء ، قصة ابراهيم ولوط مفصلة بعض الشيء ، وقصة نوح وشعيب مجملة وقصص عاد وثمود وقارون و فرعون وهامان استعراضا سريعا ، يصور فيه أنواعا من الفتن و الابتلاء في طريق الدعوة على مر الأجيال و ذلك مواساة للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل من سلك مسلكه عن ايذاء وفتنة الكافرين لهم، وصدهم عن سبيل الله ، وتأكيدا له ولكل داعية اسلامي عبر كل العصور و الدهور أن سائر الامم الجاهلية تفعل مثلما فعل فرعون وهامان وغيرهما من الطغاة ، وبأن أهدافهم واحدة وأساليبهم ووسائلهم واحدة كما أن نهايتهم واحدة .

قال تعالى : ((قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)).(2)

وقال : ((وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين ، وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون)).(3)

وقال : ((أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها)).(4)

وكذلك سيرة الرسول الله صلى الله عليه وسلم هي الأخرى تزخر بمثل هذه الصور و المواقف و الأمثلة ، وان أنس فلن أنسى أبدا كيف تفنن النبي صلى الله عليه وسلم في سرد قصة أصحاب الأخدود بالتفصيل على أصحابه زيادة في التوجيه و التوضيح لما ذكر الله عز وجل في سورة البروج عنهم في قوله تعالى : ((قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على

1ـ سورة يوسف الايات (109 . 111) 2ـ سورة آل عمران الايات (137 . 139).
3ـ سورة القصص الايات (58 . 59) 4ـ سورة محمد الاية 10 .

مايفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات و الأرض و الله على كل شيء شهيد . إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)). (1)

فعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : اني قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه وكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فإذ أتي الساحر ضربه فشكا ذلك الى الراهب فقال : اذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر فبينما هو على ذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا . فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها . ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره . فقال له الراهب : أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي ، وكان الغلام يبرئ الأكمه و الأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء . فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ههنا لك أجمع ان أنت شفيتني فقال : اني لا أشفى أحدا انما يشفى الله تعالى فان آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك ، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى . فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربي ، قال أولك رب غيرى ؟ قال : ربي وربك الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك : أى بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه و الابرص و تفعل وتفعل فقال : إني لا أشفي أحدا انما يشفي الله تعالى . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجيء بالراهب فقيل : له ارجع عن دينك فأبى . فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه . فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك . فقال له الملك : مافعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى . فدفعه الى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك ، فقال له الملك : مافعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم

---

1 — سورة البروج الايات (4 - 10).

الله تعالى . فقال للملك : انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال : ما هو؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل : بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال : بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه فمات . فقال الناس : آمنا برب الغلام فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك . قد آمن الناس، فأمر بالاخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم فيها النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امراة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أمه اصبري فانك على الحق))[1].

وكذلك :[2]

أ — تطمينا لهم ولكل الدعاة من بعدهم وتخفيفا لآلامهم وتسرية عنهم لأن النفس البشرية اذا أحست بأن هناك من قاسمها و يقاسمها معاناتها و آلامها بل ومسيرها فانها لا تبالي بما يصيبها ويهون في نظرها كل ما تتلقاه فتتحمله وتصبر عليه وتستعذبه مستهدفة بذلك مرضاة الله عز وجل ، وهذا هو دائما شأن أصحاب المبادئ شعورهم بلذة العذاب كشعور أصحاب الدنيا بنشوة الحياة .

ب — تهيئة لنفوسهم وللعصبة المؤمنة من بعدهم لاعداد العدة التي يستطيعون التصدي بها لجموح القوم ولجاجهم في العناد و الكفر .

جـ — اعطاءهم القدوة التي يتأسوا بها في مسيرتهم ويلجأون الى ظلالها الوارفة كلما أقضهم وأضجرهم حر الفتن .

د — تذكيرهم بقيمة العقيدة وتكاليف الايمان وحقيقة الدعوات ، وتجسيد معاني التجرد للفكرة و الذوبان في المنهج — حتى تنصهر النفس في العقيدة و العقيدة في النفس ويصبحا شيئا واحدا — وعظمة التضحية وحلاوة بذل الدماء و النفوس من أجل العقيدة لتكون مشعلا ينير الطريق فيهتدي بها الناس لان ((أفكارنا وكلماتنا تظل جثثا هامدة حتى اذا متنا في سبيلها أو غذيناها بالدماء انتفضت حية وعاشت بين الاحياء))[3].

وأخيرا امسانا في تثبيتهم وكل العاملين الاسلاميين عبر التاريخ وتوضيحا لهم بأن طريق الرسل طريق واحد منذ أن خلق الله عز وجل آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الارض ومن عليها : سنن الله فيها واحدة ، معالمها واحدة ، ضريبة النصر فيها واحدة ، طبيعة أعدائها

---

1 — النووي : المرجع السالف الذكر ص(27 ، 29)
2 — نذكر بعض العبر التي يمكن استخراجها من هذه الحادثة لأن الوضع لا يسمح لنا بذكرها جميعا. 3 — جمال ماضي ، غزوة بدر ، ط 2 ، الجزائر ، مكتبة رحاب 1408هـ — 1988م ، ص 7.
— تابع رقم 1 — أخرجه مسلم في الجامع الصحيح ، كتاب الزهد و الرقاق ، باب قصة أصحاب الاخدود والساحر والراهب والغلام ، م 2 ، ج 8 ، ص 229 و أخرجه الترمذي في السنن ، قال : هذا الحديث حسن غريب رقم الحديث 3398 ، ج 5 ص(107 ، 110).

واحدة .وكأنه يقول لهم : يجب عليكم أن لا تتزعزعوا حيث ثبتوا ، ولا أن تفرغوا حيث صبروا ولا أن تفزعوا حيث احتملوا .

ان التاريخ وقصص الانبياء وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وتراجم أصحاب الدعوات من بعدهم زاد يستنبط من وحيه الداعية الاسلامي الصبر و التضحية و الثبات تاو يستجلي منه تجارب الامم التي تصحح مسار دعوته ، وتوفر له كثيرا من الجهد و الوقت ، ويقتبس منه الهدى و النور للروح و الفكر و القلب باستمرار ، ويستقي منه سر الخلود و الانتصار ، ويجد فيه القدوة الراشدة قد لقيت من العنت أشده فما ضعفت ولا هانت وخاصة إذ كانت هذه القدوة هو سيد الخلق أجمعين محمد الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم الذي تحج*((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر)).(1) وقال : ((لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ومن يتولى فان الله هو الغني الحميد)) (2) ،فانها تحفزه تحفيزا و تدفعه دفعا ،وتحمله حملا على ((التأسي أو على الاقل المحاكاة و المشابهة على حد قول القائل : فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح)).(3)

لهذا لا يقدر أي فرد من الأفراد ،ولا شعب من الشعوب ،ولا حركة من الحركات ولا أمة من الامم أن تتخلى عنه لكونه جزء من حياتها يربط حاضرها بماضيها كما أنها تحرص على توريثه لأبنائها ليكون لهم مشربا يعبون منه و ثروة ينهلون منها . اذ ان ((التاريخ لا ينسب أهميته إلا اذا اتخذ ميدان دراسة وتفحص وتأمل تثبيت واعتبار ـ بحيث يستخلص منه القوانين حتى يمكن فهم الحاضر و المستقبل على هداها)) (4) .

قال تعالى : ((سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)).(5)

1ـ سورة الاحزاب الاية 21
2ـ سورة الممتحنة الاية 6
3ـ السيد محمد نوح ، المرجع السالف الذكر،ص77.
4ـ د . نعمان عبد الرزاق السامرائي ، التفسير الاسلامي للتاريخ ، باتنة : دار الشهاب بدون ذكر التاريخ ص14.
5ـ سورة فصلت الاية 53
*ـ سيرة دعوته بمواقف الثبات و الصبر و الصمود . قال تعالى :

الرابع

العامل الواقعي

لاشك أن للواقع الذى يعيشه الانسان تأثيرا كبيرا على تصرفاته ومواقفه وتصوره- ومن هنا أخذ العامل الواقعي أهميته في حياة الداعية ومصير دعوته ، فمتى يرى أن الجاهلية تتجلد لتحقيق مآربها الآنية الزائفة ، ولا تدع وسيلة ولا سبيلا لتحقيق أهدافها الا وسلكتها ، وتبقى تحت وطأة المعاناة للحفاظ على سلطانها وجبروتها واستبقاء باطلها ، وتضحى بأموالها ومستقبل وأرواح أبنائها من أجل مبادئها ، وتصبر على تحمل المشاق لهوى نفسها ؛ قال تعالى : ((إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها)) (1) . كما يراها تحرص على تثبيت من معها من الجماهير واغراقهم في الاباطيل ، التى تضمن لها القوة والملك، وذلك تارة بالتمويه والايهام بأنها ساهرة على مصالحهم ، وتارة أخرى باخفاء الحقيقة وقلب الموازين، قال تعالى : ((وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد)) (2) ، تتفجرت في نفسه (هذا الداعية) قوة من الرفض والتحدى والتصميم، وطاقة من الاصرار والعناد والتصدى ، فيزداد غيرة على دينه ، وثباتا على مبادئه وصبرا على ابتلاءاته ، ((فاذا أصر الكفار على المعركة ، فما أجدر المؤمنين ان يكونوا هم اشد اصرار ، واذا احتمل الكفار آلامها ، فما اجدر المؤمنين بالصبر على ما ينالهم من الآلام . وما أجدرهم كذلك أن لا يكفوا عن ابتغاء القوم ومتابعتهم بالقتال ، وتعقب آثارهم ، حتى لا تبقى لهم قوة ، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)). (3)

قال تعالى : ((ولا تهنوا فى ابتغاء القوم . ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون . وكان الله عليما حكيما)). (4)

وقال : ((يأأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)). 5

لقد ادرك الاستاذ أبو الاعلى المودودى، أمير الجماعة الاسلامية في باكستان قيمة هذا العامل ومفعوله في النفوس فأكد عليه في توصياته لأتباعه ، وأعده من لوازم المجاهدة في سبيل الله فقال : ((قد أمرتم بالمصابرة)) (6) أيضا ، وهي أن الصبر الذى تكافح القوى المعادية في سبيل غايتها الباطلة متسلحة به ، عليكم أن تتسلحوا به أيضا وتفرقها فيه حتى تكسروا شركتها وتخضعوها لأمر الحق .. إن الذين تدعون القيام في وجههم ومقارعتهم لرفع لواء

1- سورة الفرقان الاية 42. 2- سورة ص الاية 6
3- سيد قطب في ظلال القرآن م 2 ج 5 ص 750. 4- سورة النساء الاية 104.
5- سورة آل عمران الاية 200. 6- المصابرة مغالبة الأعداء في الصبر .

الحق ،عليكم أن توازنوا بين صبركم وصبرهم . فلعلكم لاتجدون أنفسكم جديريـــن بدعوى تسلحكم بعشر صبرهـــم)) (1) .

ان خير مثال على صبر ومثابرة الاعداء على باطلهم وثباتهم عليه : الصهيونية العالمية التي منذ أن جاء الاسلام إلى هذه الارض وهي لاتأل جهدا في محاولة القضاء عليه بشتى الطرق مهما بلغت من خسة وتذارة ونذالة ،فرغم هـزائمهـــا المتتالية ،ونكساتها المتكررة ،ونكباتها المتوالية لا تمل ولا تكل من السعي الـــى هدفها.فلم تترك شقا الا وحاولت الدخول اليه ،ولا مكانا الا وحاولت الوصول اليـــه والسيطرة عليه . كل هذا ولد في نفس الشعب الفلسطيني الرفض و العناد والثبا ت فارتفع صوته مدويا بالجهـــاد — أن لانوم بعد ،لاشهي رقاد حتى تثبيت شرع الله واسترداد الحرية — رغم القهر و التنكيل و التقتيل ومحاولة التهويد و الاقصاء وخيانة الاعراب يدندن بقول الشاعر :

الحقل هناك ينادينـــــــا وطيور الدوح تغنينـــــــا
ودماء شهيد ملتحــــــف في السفح تـراب فلسطيـــن
وسترجع يوما يا وطنـــي وسنغرف فيك أمانينــــــا
يا وطني أنت العنـــــوان يا وطني حبك ايمــــــان
فلنخس كل قراصنـــــة الدنيا فحماتك ما هانــــوا
نذروا لله دماءهـــــــم ومضى للقدس فتيــــــان
من يملك بيعك ياوطنــــي وثراك يدمنا يـــــزدان
وربوعك باركها القـــرآن وشمس هداها القـــرآن
هل يملك بيعك ياوطنـــي في هذا العالم انســــان
هل يملك بيعك أقــــزام قد قاد خطاهم شيطـــان
في هذا العصر وكــــم فيه ياوطني نذل وجبـــان.

فعلى الشباب الاسلامي أن يخوض غمار الواقع ويعيش هموم أمته وقضاياهـــا وأن ينظر الى هذا الواقع نظرة ثاقبة تمكنه من الرؤية الواضحة و التغيير اللازم ، والدراية الشاملة لما يدور حوله فيأخذ منه الزاد للتثبيت عقيد ته ،ووضع الخطـــة المناسبة لتحقيق هدفه المنشود ولمقاومة مخططات الاعداء والحيلولة دون تحقيـق اغراضهـــم .

وخلاصة الأمر ، أن ضخامة العبء وثقل المسؤولية وعظم الرسالة وخطورة الـدور الملقى على عاتق المسلمين عامة و الدعاة خاصة يؤكد أن الطريق الى الله صعـــب والرحلة طويلة شاقة

---

1 — ابو الاعلى المودودي — تذكرة الدعاة ،لاهور باكستان : دار السراية للنشـر 1385 هـ-1966م .ص38 .

بالاخطار ، والدعوة شاقة والمعاناة مريرة وثمن النصر باهض ، وأنه يحتاج الى نفوس حية صابرة وقلوب ذكية نقية ، وحرارة ايمانيه محركة ، ومشاعر غيورة ملتهبة ، وارادة مصممة فلاذية ، وطبائع صلبة ثابتة . لذا وجب على الماضي فيه أن يعد الرصيد الذى يعينه على مواجهة المحن ومقاومة الابتلاء ، ذلك الرصيد الذى غزا به الرسول صلى الله عليه وسلم المعمورة مع قلة العدد و العتاد وعظيم الجهد ، الرصيد (المعنوى والمادى) الذى يصله بقوة الله التي لا تغلب ، والتى تمنحه الفهم السليم والتصور الصحيح للاسلام . فيزداد التزاما بكتاب الله واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واستمساك باقتفاء أثره أثرا ، أثرا ((فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام لله والدعوة اليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع اليه وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ، ولا سبيل الى الوصول الى السعادة والفوز الاكيد الا بالعبور على هذا الجسر)) (1) ، كما يزداد استقامة على الطريق وابتعاد عن الزيغ و الانحراف ، وولاء لله ولدعوته وللجماعة المؤمنة ، واخلاصا للفكرة وتجردا للمنهج وتضحية في سبيله وثقة بالدعوة ، ووضوحا في الرؤية ، واستشعارا بالمسؤولية ، وتحديا للطاغوت ، وتحررا من الجبن و الخور ، وقدرة على مواجهة المواقف فلا يستكين لشيطان ولا ينقاد لعدو مهما بلغت مغرياته واشتدت مضايقاته فهو ليس بالإمعة انما يزن الامور بميزان الله ، ومعايشة لهموم الامة و آلامها وآمالها ، واحاطة بحقيقة القضايا وظروف العالم الاسلامي وغير الاسلامي ، وفهما لمعطيات العصر وادراكا لطبيعة المعركة ، فلا تلهيه القضايا الهامشية التي تعمل الجاهلية على استدراجه إليها ليحيد عن هدفه ويكون محول هدم لأمته وسببا لتمزيق وحدتها وذهاب ريحها ، وثباتا على المبادىء ، هذا الثبات الذى لا يكون الا بتأييد الله سبحانه وتعالى . قال تعالى : ((ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا)) (2) .

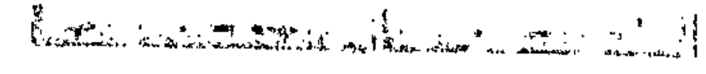
وقال : ((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء)) (3) . ويقينًا بالعاقبة التى وعد الله بها الا وهي النصر وما النصر الا من عند الله ، ((وان وعد الله لقائم لكل السالكين في الطريق ، وانه ما من أحد يؤذى في سبيل الله ، فيصبر ويستيقن الا نصره الله في وجه الطغيان في النهاية ، وتولى عنه المعركة حين يبذل ما في وسعه ويخلي عاتقه ويؤدى واجبه)) (4) .

قال تعالى : ((انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)) (5) .

---

1 ــ د . صادق امين ، الدعوة الاسلامية . فريضة شرعية وضرورة بشرية . القاهرة : دار التوزيع و النشر الاسلامية بدون ذكر التاريخ . ص 88
2 ــ سورة الاسراء الاية 74
3 ــ سورة ابراهيم الاية 27
4 ــ سيد قطب ، ظلال القرآن ، م 5 ج 20 ص 2715 .
5 ــ سورة غافر الاية 51 .

واخيرا أؤكد على العصبة المؤمنة التي تريد للاسلام الصدارة من جديد ألا تغفل عن هذا الزاد طرفة عين حتى لا تكون كالداخل الى المعركة بدون سلاح وكالساعي لاطفاء النار بدون ماء، وكالخائض في البحر بدون زورق، وكبناء يريد إقامة كيان ضخم بدون عتاد .



إذ توصلت من خلال البحث الى النتائج الآتيـــة :

١ـ ان موكب الدعوة الى الله منذ فجر البشرية يمضي في طريقه أعداء العقيدة من كل جيل ويقاومه أهل الباطل وأولياء الشيطان في كل زمن ومكان ويصيب ركبها بصنوف من البلاء والمحن الوان والتعذيب والاضطهاد وما يلحقه فلا يصده ولا يحرفه ولا يثنيه بل يزيده قوة واستعلاء وثباتا ونهايته دائما النصر مهما طال هذا الطريق واشتدت ابتلاءاته وصعبت عقباته وعظمت تضحياته .

2ـ ان الابتلاء جزء أساسي من الدعوة جعله الله عز وجل ليحقق من ورائه نفع للدعوة والداعية فهو :

ـ تعميق للدعوة وامتداد رأسي لها اذ أنه يزيد الجذور عمقا أي يزيد العقيدة و الدّعوة رسوخا في نفوس أصحابها .

ـ نشر للدعوة وامتداد أفقي لها اذ أنه يزيد الأغصان امتدادًا أي يزيدها انتشارًا بين النـــاس .

ـ سياج للدعوة اذ انه يمنع ذوي الأغراض الرخيصة من الانتساب اليهـــا .

ـ صقل للعزائم وامتحان للقلوب واختيار لمدى حرصها على التضحية بأعـــز ما تملـــك .

ـ تنقية الصف من النفعيين و الانتهازيين والمتسلقين ، وتمحيص لعناصـــره وتمييز لحقيقـــة ايمان أفراده فهو اذن الضمان الأكيد لنظافة المنتسبين الى الدّعوة .

ـ تربية واقعية وممارسة ميدانية للتشريعات الربانية حتى تتربى النفـــوس وتصهر بطابع واحد لا نشوز فيه ولا نتوء ، فهو اذن مدرسة تدرب النفوس على الشدائد وتعودها على التحمل وتصهرها بالمحـــن .

ـ اعداد وتخليص العناصر المصطفاة المؤهلة لحمل الامانة فهو بهذا أداة بناء فعالة .

ـ وسيلة تحدد مواقف الناس من الدّعوة إما الاتباع أو المحاربة . . . .

3ـ الابتلاء يعلم الافراد كيف يكون المسلم جندي فكرة وعقيدة مهما بلغــت درجة الايذاء . فهو ابدا صابر محتسب ، وفي لعهده ، مخلص لجماعته يميز للاسـلا م ويسخر طاقاتـه لما يعزز نفوذه ويرفع بنيانه ويمكن لاقامتـــه في الأرض .

4ـ ان ما يتعرض أصحاب الدعوات من قتل وتشريد وتعذيب هو في حقيقتـــه دفع لموكب الدعوة . ولئن كان السجن و التقتيل أو التعذيب فلان هدأب الدعـــوات: التضحيات الجسام ومهما جسم الامر يبقى أمر تبليغ الأمانة هو الهدف الذي تـــذوب من اجله شموع غالية لتنير درب السالكين . انه درب شاق وطويل لكنها أمانـــة لابد من أدائها . وحتى تؤدى لابد لهـا من رجال يحملونها ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقامة شرعه في أرضه ، رجال من جنس الرجال الذين صاغتهم التربية الاولى في المجتمع الاسلامي الاول الفريد :

أي كان كل فرد يمثل لوحده أمــــة .

5ـ ان الابتلاء وإن كان شاقا وصعبا وفترته طويلة وشاقة ، وقد تمر أجيال دون تحقيق الأهداف المنشودة ، فلا يعني ذلك أن يكون سبيلا لابتعاد العامل الاسلامي عن دعوته وللعزوف عن المطالبة بحقوقــــه .

6ـ اذا لم يتحمل الداعية الى الله الابتلاء وآثر العافيـة على حساب دعوتـــه ورضي بالقعود عن مواصلة الطريق خسر شرف الانتساب الى موكب الدعاة وقافلــــة الرسل و المجاهدين ، واستبدل الله الدعوة بأحسن منه . قال الله تعالى :

((وإن تتولّوا يستبدل قوما غيـركم ثمّ لايكونوا أمثالكم)) (1)

7ـ لايصح للداعية الذى تعرض للابتلاء في مسيرته الربانية وثبت أن يعتقد بأنه اصبح في مأمن من هذه المحن ، وبأنه بلغ درجة من الثبات و القوة تمكنه من تجــــاوز أي ابتــــلاء أو محنــــة أو فتنــة تعترض طريقه ، لأنه مادام الكفر موجودا قد يفاجــــأ بما لم يضعه في الحسبان فلا يطيقــه .

8ـ ان الابتلاء كما يكون بالضراء قد يكون بالسراء ، وعلى المؤمن أن يصبــــر اذا كانت الضراء ويشكر اذا كانت السراء .

9ـ لايمكن للداعية أن يتفادى الابتلاء والاذى بالدبلوماسية مع الاعداء لأنهــم لن يكفوا عن حربه الا اذا اعتزل دعوته أو تبرأ من جماعتــه أو تعامل معهم علــــى حساب عقيدته وحركته كأن يتنازل عن شيء من أصولها أو مبادئها أو أهــدافها ومـــا شابه ذلك .

10ـ ان الاعتقادات القائلة بأن الابتلاء غضب رباني يسلطه الله على المغضــوب عليهم نتيجة مخالفة أو خطأ ارتكبوه أو هو نسيان من الله لعباده أو أنه هدم لما تــم بناؤه . فما الفائدة من مواصلة الطريق ، وأن الدعوة والجهاد في سبيل اللـــه همـــا السبب الاصلي للابتلاء لذا وجب اعتزالهما ماهي الا مغالطات وأفهام خــاطئـــــة حاكتها أيدى رهيبة ضد الشباب الاسلامي حتى يفقد روح الجهاد و تحمل المسؤوليـة وقوة التصدى ، وينشأ بروح انهزامية تقعده عن مواصلة الطريق لأبسط عرقلــــة أو لمجرد احتمال الفشل ان كان قد بدأ المسير ، أو يعرض عنها اطلاقا ان كان يزمع سلوكهــــــا .

11ـ ان الابتلاءات تجارب لزم على الداعية دراستها و تحليلها واستنبـــــاط العبر منها حتى يستفيد منها في دعوته ويفيد بها غيره من العاملين في الحقـــــل الاسلامي . من هنا فانها تعد زادا للدعاة في طريقهم الشاق الشائك .

12ـ ان تسلط أولياء الشيطان في مرحلة من المراحل ، لايعني أن اللــــه ناصرهم فالله لاينصر أعداءه ، وانما هو ابتلاء للدعاة سينتهي الى نصرهمــــا اشتد وطال . هذا هــو طريق

1ـ ســـورة محمــــد الاية 38

الانبياء والرسل ، وهذه هي الدعوة : فكرة ، وحركة ، فابتلاء ، فصبر ، فثبات ، فنصر ، فنضـــــارة .

13 ـ ان الاعتقاد القائل : أن الابتلاء شهوة في التعذيب ، ورغبة في التنكيـــل وتمجيد للآلام لذاتها ، واظهار للقوة والبطش ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيـــرا ـ اعتقاد خاطئ لابد من تصحيحه .

قال الله تعالى : ((مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكـــرا عليما)) [1] ، مابال هذا ؟ قالوا : نذر أن يمشي . فقال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : ان الله عن تعذيب هذا نفسه لغني ، وأمره أن يركب)) [2] .

14 ـ ان الدعاة الاسلاميين أولى من الكافرين ـ الذين يموتون لتوريث كفرهـــم وابقاء راية الباطل مرفوعة ـ بالتحمل والبذل أيا كان البذل ، وبالتضحيات مهمـــا غلت ، وبالصبر والتحمل مهما اشتدت الابتلاءات والمحن لتكوين جيل اسلامي يحمـــل راية الاسلام من بعدهم .

15 ـ من واجب الحركة الاسلامية تنبيه عناصرها الى أن : الابتلاء أمر ضـــروري لكل عمل اسلامي حتى تبصرهم بطبيعـــة الطريق وتعدهم لتوطين نفوسهم على مايلاقونـــه من صعوبات وعراقيل ، وتخفف على المبتلين ما يعانونه من نصب وعنت .

16 ـ ان مواجهة الاعداء تقتضي من الدعاة والحركات الاسلامية الصبـــر والاعداد والقدرة لان نتائج المواجهة بدون ذلك خطيرة جدا لما يترتب عليهـــا من أضرار فهي فضلا عـــن امكـــان اجتثاث الدعوة والدعاة فانها :ـ

1 ـ تبقي الجسد الاسلامي خامدا لمدة طويلة وبذلك تؤخر مسيرة الحركـــة لعشرات السنين .

2 ـ تعطي مبررات للانظمـــة الكافرة والضالة للقضاء عليهم .

3 ـ تفقد ثقة الجماهير بالحركة فينفضوا عنها باعتبارها عاجزة عن المواجهـــة ولا ينتظر منها انقاذهم مما هم فيه .

4 ـ تورث التردد في نفوس المسلمين وتفقدهم الثقة في النصر .

5 ـ تبعث اليأس والخلاف والعجز في الصف الاسلامي فلا يقوى على جمع شمـــل أفراده ناهيك عن تجديد المواجهة .

17 ـ ان الأعداء يجتهدون في توريط الشباب الاسلامي واستدراجه الى :

أ ـ غيـــر هـــدفه .

ب ـ معارك فرعية تلهيه عن المعركة الاصلية .

---

1 ـ سورة النساء الاية 147 ـ 2 ـ أخرجه البخاري في صحيحه ـ فتح الباري ـ كتاب : الايمان والنذور ، باب : النذر فيما لا يملك وفي المعصية رقم الحديـــث 6701 ج 11 ، ص585 .
وأخرجه ابن ماجة في السنن ـ كتاب : الكفارات ، باب : من نذر أن يحج ماشيا برواية مختلفة رقم الحديث 2135 ، م2 ، ص689 .

* وعن أنس بن مالك قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخا يهادى بين ابنيه ، فقال :

ب ـ الظهور قبل اكتمال الاستعداد ، حتى يتمكن من تسديد الضربات القاضية المبررة في الوقت المختار دون عناء .

ولا يمكن لهذا الشباب الافلات من هذا الخطر المهدد الا باستيعاب خصائص التكوين : الصبر، الثبات ، عدم الاستدراج المستعجلة من قوله تعالى :

((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان أمره فرطا)) (١).

18 ـ ان الصورة الصحيحة للدعوة الاسلامية في مرحلتها الأولى ، وسر حياتهما وضمان بقائها وامتدادها هو امتثال الصبر على الايذاء ، ومجالدة الاعداء ، والثبات على الحق والاصرار على تبليغ الرسالة ومواصلة الطريق .

19 ـ ان الباطل مهما انتفش وعلا وتجبر لا يقدر على الصمود أمام قوة الايمان والاستمساك بالعقيدة وثبات أصحاب الدعوات .

20 ـ ان تحقيق المجتمع الاسلامي المنشود جد عسير ولا يمكن أن يتم الا بتحقيق أمرين : أ ـ القاعدة الصلبة ـ الأساس ـ التي تحمل الدعوة وترسي البناء الاسلامي

ب ـ الرأى العام الاسلامي ـ البناء ـ الذى يتقبل هذه الدعوة ويضمن لهما النجاح والاستمرار .

21 ـ ان هدف الدعوة هو تكوين القاعدة الصلبة التي يقوم عليها الكيان وتقوى بها الحركة ، وهذه القاعدة تحتاج الى نوعية خاصة من التربية والاعداد ، والى مستوى معين من الصلابة والوعي ، والى درجة خاصة من الثبات والاصرار ، ولا يمكن أن تتم التربية والاعداد الا بالمعاناة العملية للمشاق ، ولا يمكن أن تصل الى المستوى المطلوب والدرجة اللازمة الا اذا أصهرتها المحن والابتلاءات وربتها الشدائد والفتن .

22 ـ لابد للحركة الاسلامية التي تريد حقا التمكين للاسلام أن تسلك نفس الطريق التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل ـ ايمان وعمل ، محبة واخاء ـ دون تبديل أو تغيير ، ودون تفريط أو افراط ، وأن تراعي طبيعة المنهج الرباني المحمدى الذى سارت عليه الجماعة الاولى .

23 ـ ان أخطر ما تصاب به الحركة في مرحلة الابتلاء وجود المتهورين والمتسرعين في صفها ، اذ بتصرفاتهم الحمقى يجرونها الى صدام قد ينتهي بهلاكها . لذا وجب عليها أن تضع عناصرها على محك الاختيار قبل أن تقبل التحاقهم بها .

---

1 ـ سورة الكهف الاية 28 .

24- ان عدم طاعة الجندية للقيادة في مرحلة الابتلاء وقيامها بتصرفات فردية لاترضى عنها الجماعة قد يؤدى بهذه الاخيرة الى الوقوع في معركة دامية تزهق فيها الارواح، وتشرد فيها الاطفال وتستحي فيها النساء . لذا وجب على القيادة أن تكون حازمة في أمرها حتى لاتفقد مقوم هام من مقومات الجماعة و بالتالي تفقد القدرة على تحقيق أهدافها المرجوة ، اذ لا إسلام الا بجماعة ولا جماعة الا بامارة ولا امارة الا بطاعة .

25- ان ثبات القدوة والقيادة له تأثير بالغ على معنويات الجندية وقوة عزيمتها وصلابة صمودها . وعليه ينبغي على القادة والقدوة ادراك أهمية هذا الثبات وخطورة أثره على العمل الاسلامي فيوطنوا أنفسهم عليه.

26- عندما يغمر الايمان قلب المرأة المسلمة ، وينشرح صدرها إليه، وتعتقد اعتقادا جازما بصحة فكرتها وأحقية دعوتها ،تقدم على بذل كل ما تملك في سبيلها وانها لقادرة على أن تقف مواقف الرجال بل قد تفوقهم صبرا واحتسابا وثباتا .

27- ان اقتناع المسلم الى درجة اليقين الجازم بأن المستقبل للاسلام ، وبأنه الدين الوحيد المؤهل لانقاذ البشرية مما هي فيه ، والمنهج الفريد الذى لاتصلح الحياة البشرية ولا تستقيم الا به . يحفزه على تحمل أعباء الرسالة و الصمود في وجه العقبات الشاقة ، والتكاليف المضنية ، والمقاومة العنيدة ، و الاضطهاد الذى يتجاوز الطاقة البشرية .

28- مما ينبغي أن يفهمه الدعاة الاسلاميون المعاصرون ان دعوتهم للناس للعودة الى الاسلام وتطبيق الشريعة الربانية، تستدعي منهم أن يدعوهم أولا : الى ترسيخ العقيدة ، ويوضحوا لهم أن الاسلام هو أولا وقبل شيء : اقرار شهادة أن لا اله الا الله بمدلولها الحقيقي حتى ولو كانوا مسلمين وراثة .

29- ان الداعية الى الله ملزم بمعرفة منهجه و المراحل التي يمر بها من أين يبدأ ، والى أين ينتهي - فالبدء بالأصل قبل الفرع ، وبالاساس قبل البناء وبالتخلية قبل التحلية - وبرسم الاهداف وتحديد الوسائل و الاساليب التي تحققها.

30- ان الاسلام لم يصل الينا صدفة ، والصحوة الاسلامية لم تكن عفوا وانما بعد جهود وتضحيات باهضة : من أموال وأولاد ودماء - بذلتها الاجيال السابقة. لهذا وجب على الشباب الاسلامي خاصة والمسلمين عامة التمسك به والحفاظ عليه والعمل على توريثه لمن بعدهم من الاجيال .

31- ان البناء يحتاج الى لبنات قوية متينة، وكلما كان البناء ضخما كلما احتاج الى لبنات من نوع خاص . وهل هناك أضخم من قيام دولة اسلامية تسود العالم ، وترشد الانسانية

كلهـــا الى نور الاسلام ، وتقيم أعظم حضـارة عرفهـا التاريخ بعد أن أقلعت الظلـم البشـــرية ؟

ان ضخامة هذه التبعة لاتقوى على حملها الا أمة سلكت بها المحن كل مسلك من شأنه أن يعدها للمجاهدة والمرابطة و الجهاد ، وينأ بها عما يخلد بهـا الى الارض ، ويعود ها حياة الدعة والخنوع . و الله عز وجل يريد من أمـة الاسلام أن تكون على رأس البشريـة لتقودها قيادة راشدة ، وتقر منهج اللــه في الارض في صورته المثالية الواقعية ، ولا يتم لها ذلك الا اذا ارتفعت الى مستوى الدور المختـار لها .

32 ـ ان ثبات المبتلي متوقف على ثـلاثة أمور :

ا ـ قوته الروحية المستمدة من زاد الايمان و التقوى ، وزاد الصبر .

ب ـ معرفته بتاريخ الامم و الجماعات ، وقصص الانبياء و المرسلين ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهج أصحاب الدعوات .

ج ـ فقهه للواقع ومصابرته للاعداء .

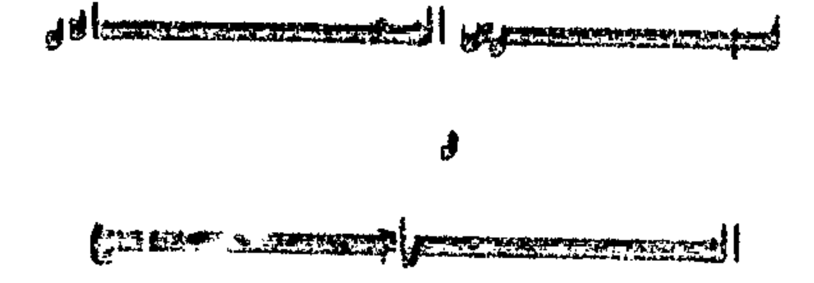
وفي ختام هذا البحث لا أزعم أنني قد أتيت بجديد أو بلغت درجة من الكمال . كل ما في الامر أني حاولت تقديم هذا الموضوع وفق هذه الصورة فان أصبت فبتوفيـق الله عز وجل وان أخطأت فتلك طبيعة البشر ، وأستغفر الله عز وجـــل .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه و التابعين ومن دعا بدعوته الى يوم الديـــن .

الفهارس

فهرس الموضوعات

الباب الثاني :


فهرس المصادر
و
المراجع

01 ـ القـــرآن الكـــريم

02 ـ الابتلاء والمحن في الدعوات ، محمد عبد القادر أبو فارس ، ط 1 عمان : دار الفرقان 1407 هـ ـ 1986م

03 ـ ابن باديس حياته وآثاره ، الد / عمار طالبي ، ط 1 ، دار اليقظـــة العربية للتأليف والترجمة والنشر 1388 هـ ـ 1968م ج 1 ـ ج 3 .

04 ـ اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، الشيخ محمد المصري بك ، تحقيق عبد المنعم العاني ، ط 1 ، بيروت : دار الكتب العلمية . 1403 هـ ـ 1983م .

05 ـ آثار ابن باديس ، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، ط 1 . قسنطينــة ، الجزائر : دار البعث للطباعة و النشر 1406هـ ـ 1985م ، ج 4 .

06 ـ أحكام المرأة في القرآن ، الد / سيد الجميلي ، باتنة : شركـــة الشهاب ، بدون ذكر التاريخ .

07 ـ أحكام النساء ، الحافظ عبد الرحمان بن علي بن الجوزي ، ط 2 ، صيدا ، بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، 1400 هـ ـ 1980م .

08 ـ احياء علوم الدين ، الامام أبي حامد الغزالي ، دار الكتاب العربـــي بدون تاريخ ، م 4 ، ج (1 ـ 12 ـ 15) .

09 ـ الاخوات المسلمات وبناء الاسرة القرآنية ، محمود محمد الجوهـــري ومحمود عبد الحكيم خيال ، الاسكندرية : دار الدعوة للطبع والنشـــر والتوزيع ، 1980 م

10 ـ الاخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، رؤية من الداخـــل . محمود عبد الحليم . الاسكندرية : دار الدعوة للطبع و النشـــر والتـوزيع ، 1398 هـ ـ 1978 م ، ج 1 .

11 ـ الاخوان المسلمون ، أعدها : ريتشارد ب . ميتشل ، ترجمـــة عبد السلام رضوان . تقديـم : صلاح عيسى ، ط 1 ، بيروت ، لبنـــان دار القلم ، 1978 م .

12 ـ الاخوان المسلمون في سطور ، بدون ذكر الكاتب و الناشر ، 1398 هـ ـ 1978 م

13 ـ أزمة الفكر ومبررات الحل الاسلامي ، عباس مدني ، ط 1 ـ الجزائـــر : مكتبة الرحاب ، 1409 هـ ـ 1989 م

14 ـ أسس في التصور الاسلامي ، محمد عبد القادر أبو فارس ، ط 4 ، باتنة،
الجزائر: دار الشهاب ، 1406 هـ ـ 1987م .
15 ـ الاسرار الحقيقية لاغتيال الامام الشهيد : جابر رزق ، ط 2، الاسكندرية:
دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، 1404 هـ ـ 1984 م
16 ـ الاسلام بين العلماء والحكام ، عبد العزيز البدري ، المدينة المنورة:
منشورات المكتبة العلمية لصاحبها محمد نمنكاني ، 1966م .
17 ـ الاشاعة ، د/ أحمد نوفل ، ط 1 ، عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع،
1403 هـ ـ 1983م.
18 ـ الاصابة في تمييز الصحابة ، تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد
ابن علي ابن حجر العسقلاني ، وبهامشه الاستيعاب في معرفة
الأصحاب لابن عبد البر النميري القرطبي، ط 1، مصر: مطبعة
السعادة ، 1338 هـ .
19 ـ أصول التربية الاسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد
الرحمان النحلاوي ، ط 1 ، دمشق : دار الفكر ، 1399 هـ ـ 1979 م
20 ـ أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان ، بغداد : مكتبة المنار الاسلامية
1396 هـ ـ 1976 م .
21 ـ أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، عمر رضا كحالة ، بيروت: مؤسسة
الرسالة ، ج 5 ، ج 4 .
22 ـ آفات على الطريق ، د/ السيد محمد نوح ، باتنة ، الجزائر: دار الشهاب
1988 م.
23 ـ اليك أيتها الفتاة المسلمة ، منير محمد الغضبان ، ط 2 ، الأردن، الزرقاء:
مكتبة المنار 1402 هـ ـ 1982 م.
24 ـ أيام من حياتي ، زينب الغزالي الجبيلي ، ط 9، القاهرة : دار الشرق
1407 هـ ـ 1987 م .

ـ ب ـ

25 ـ البداية والنهاية ، الحافظ أبو الفداء بن كثير الدمشقي ، ط 6، بيروت:
مكتبة المعارف ، 1405 هـ ـ 1985 م ، ج 1 ، ج 5
26 ـ بدعة الطرائق ، الامام الشيخ العربي التبسي ، اعداد : د/ أحمد الرفاعي
الشرفي ط 1 ، قسنطينة، الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر
1402 هـ ـ 1982 م .

27 ـ البيان في شرح الاربعين نووية للامام النووي، خالد البيطار، باتنـــة: دار الشهاب بدون ذكر التـــاريخ .

ــ ت ــ

28 ـ تاريخ الخلفاء، الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكـــر السيوطي، بيروت: دار الفكر، 1394 هـ ـ 1974 م.

29 ـ تأملات في كتاب مدارج السالكين، صلاح شادي، ط 2. بدون ذكر الناشر والمكـان 1406 هـ ـ 1986 م.

30 ـ تذكرة الدعاة، الامام أبو الاعلى المودودي . لاهور باكستان: دار السراية للنشر، 1385 هـ ـ 1966 م .

31 ـ التصوير الفني في القرآن، سيد قطب. ط 8، بيروت: دار الشروق 1403 هـ ـ 1983م.

32 ـ تفسير البغوي، الامام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغـــوي الشافعي . ط 1. بيروت، لبنان: دار المعرفة 1406 هـ ـ 1986م ج 1ج 2.

33 ـ تفسير ابن كثير، الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيـــل ابن كثير القرشي الدمشقي . ط 2، بيروت، لبنان: دار الاندلس للطباعـــة والنشر، 1406 هـ ـ 1986 م، ج 1.

34 ـ تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي . ط 3 . بدون ذكر المكان و الناشـــر 1394 هـ ـ 1974 م، م2، م4، م7، م9.

35 ـ التفسير الكبير، الامام الفخر الرازي . ط 3 . بيروت: دار احياء التـــراث العربي بدون ذكر التاريخ . ج 3، ج 4.

36 ـ التفسير الاسلامي للتاريخ، د/ نعمان عبد الرزاق السامرائي . باتنـــة: دار الشهاب بدون ذكر التاريـــخ .

ــ ج ــ

37 ـ الجانب العاطفي من الاسلام، الشيخ محمد الغزالي . باتنة، الجزائـــر: دار الشهاب بدون ذكر التاريخ .

38 ـ جدد حياتك، الشيخ محمد الغزالي . ط 3 . قسنطينة، الجزائر: دار البعث 1406 هـ ـ 1986 م.

39 ـ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنيـــة الجزائرية (1931 ـ 1945)، الاستاذ: أبو الصنصاف عبد الكريـــم: ط 1، قسنطينة، الجزائر: دار البعث، 1401 هـ ـ 1981م.

40 ـ الجامع الصحيح للامام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيـــري النيسابوري 25 رجب سنة 261 نيسابوري ، 55 سنة . القاهرة: مؤسســة الطباعة لدار التحرير للطبع والنشر عام 29 .1 هـ . ج 1 . ط 1. بيـروت: دار احياء التراث العربي. 1347 هـ ـ 1929م، م1، م2، م6.
ج (1 . 3 . 5 . 8 . 12) .

ـ ح ـ

41 ـ حسن البنا الداعية الامام والمجدد الشهيد ، أنور الجندي ، ط 1، بيروت : دار القلم . 1398 هـ ـ 1978 م .
42 ـ حسن البنا ومواقف في الدعوة والتربية ، عباس السيسي ، ط 2. اسكندريـة: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع . 1401 هـ ـ 1981 م .
43 ـ حياة الصحابة ، الشيخ محمد يوسف الكاند هلوى ، حققه وعلق عليـــه الشيخ نايف العباس ومحمد على دولة . ط 2 ، دمشق : دار القلـــم 1403 هـ ـ 1983م . ج 1.

ـ خ ـ

44 ـ خطوات في العمل الاسلامي كما رسمها ابن باديس ، الاستاذ : أبو جـــرة سلطاني . ط 1. قسنطينة. الجزائر: دار البحث للطباعة والنشـــــــر 1404 هـ ـ 1983 م .
45 ـ خلاصة الاثر في سيرة سيد البشر ، الشيخ محمد احمد عساف. ط 4، بيروت : دار احياء العلوم . 1406 هـ ـ 1986 م .
46 ـ خلفاء الرسول ، خالد محمد خالد . ط 3 ، بيروت . لبنان : دار الكتـــاب العربي 1405 هـ ـ 1985م .
47 ـ خلق المسلم ، محمد الغزالي باتنة ، الجزائر: دار الشهاب . بدون ذكر السنة.

ـ د ـ

48 ـ دار معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى . . بيروت ، لبنان : دار المعـــرفة بدون ذكر التاريخ ، م7 .
49 ـ الداعية زينب الغزالي مسيرة جهاد وحديث من الذكريات ، ابن الهاشمي. الجزائر: دار الصديقية ، 1409 هـ ـ 1989 م .
50 ـ دراسة في السيرة ، الد/ عماد الدين خليل . ط 6، بيروت : دار النفائس 1402 هـ ـ 1982 م .
51 ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي . بيروت : دار المعـــرفـــة ج 4 ج 6 .

52 ـ الدعوة الاسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية ، الد/ صادق أمين ، القاهرة : دار التوزيع والنشر الاسلامية ، بدون ذكر التاريخ .

= ذ =

53 ـ ذكريات لا مذكرات ، عمر التلمساني . القاهرة : دار الاعتصام بدون ذكر التاريخ .

= ر =

54 ـ الرسول صلى الله عليه وسلم ، الشيخ سعيد حوى ، ط 3 ، بدون ذكر الناشر ، 1394 هـ ـ 1974 م ، ج 1 .

55 ـ رياض الصالحين ، الامام المحدث الحافظ محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي ، ط 1 ، بيروت ، لبنان : دار الكتاب العربي ، 1393 هـ ـ 1973 م .

= ز =

56 ـ زاد المعاد في هدى خير العباد ، الامام الحافظ أبي عبد الله بن قيم الجوزية . بيروت ، لبنان : دار الكتاب العربي ، م 1 ج 1 بدون ذكر السنة .

57 ـ زاد على الطريق ، مصطفى مشهور ، باتنة ، الجزائر : دار الشهاب ، 1987 م .

58 ـ زعماء الاسلام ، حسن ابراهيم حسن ، ط 2 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1966 م .

= س =

59 ـ سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح ، للامام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذي حققه ، وصححه عبد الوهاب (209 ـ 297) ط 2 . بيروت ، لبنان : دار الكتب العلمية ، سنة 1403 هـ ـ 1923 م ج (1 ، 3 ، 4 ، 5) .

60 ـ سنن ابن ماجة ، سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني بن ماجة (207 ـ 275 هـ) ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه واحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، 1395 هـ ـ 1975 م ، م 1 م 2 ، ج (1 ، 2) .

61 ـ السيرة النبوية لابن هشام قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد . بيروت : دار الجيل .

62 ـ السيرة النبوية لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، بيروت ، لبنان : دار المعرفة 1403 هـ ـ 1983 م ، ج 1 .

63 ـ السيرة النبوية ، الشيخ أبو الحسن على الحسيني الندوي ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، بدون ذكر السنة .

64 ـ السيرة النبوية دروس وعبر ، الد/ مصطفى السباعي ، ط 5 ، دمشـق:
المكتب الاسلامي . 1400 هـ ـ 1980م .

ـ ش ـ

65 ـ شرح رسالة التعاليم للامام ، تمهيد ، شرح عبد المنعم أحمد تعليب ، باتنة ، الجزائر: دار الشهاب للطباعة و النشر ، بدون ذكر التاريخ .
66 ـ شرح وتحليل الاصول العشرين للامام الشهيد حسن البنا ، اعداد محمد عبد الحكيم خصال ، الجزائر ، مكتبة رحاب 1988 .
67 ـ الشهيدان (حسن البنا ـ سيد قطب) ، صلاح شادى ، باتنة ، الجزائر: دار الشهاب للنشر و الطباعة ، بدون ذكر التاريخ .

ـ ص ـ

68 ـ الصبر في القرآن الكريم ، الد/ يوسف القرضاوى ، قسنطينة ـ الجزائر: دار البعث بدون ذكر السنة
69 ـ الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، ط 2 . القاهرة ، بيروت : دار العلم للملايين ص ب 1085 ، 1399 هـ ـ 1979م ، ج 6 .
70 ـ الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف . يوسف القرضاوى ، ط 2 . قسنطينة ، الجزائر: دار البعث ، 1404 هـ ـ 198؟ م .
71 ـ صفات الداعية ، محمد الصباغ ، ط 4 بيروت : المكتب الاسلامي 1405هـ ـ 1985 م .
72 ـ صفوة التفاسير ، محمد على الصابوني ، ط 4 . بيروت : دار القرآن الكريم 1402 هـ ـ 1981م ، م1 ، م2 ، م3 .

ـ ط ـ

73 ـ الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر 1400 هـ ـ 1980 م ، ج 8 .
74 ـ طريق الدعوة ، مصطفى مشهور ، القاهرة : دار الطباعة ـ النشر الاسلامية غـرة ربيع الأول 1399 هـ ـ فبراير 1979 م .
75 ـ طريق الدعوة بين الاصالة و الانحراف ، مصطفى مشهور ، الجزائر: دار الشهاب باتنـة 1404 هـ ـ 1984 م
76 ـ الطريق الى جماعة المسلمين ، حسين بن محسن بن علي جابر: ط 1 ، الكويت : دار الدعوة ، 1405 هـ ـ 1984 م .
77 ـ طريق الدعوة في ظلال القرآن ، أحمد فائز ، ط 1 . بيروت: مؤسسة الرسالة . 1401 هـ ـ 1981 م .

ظ

78 ـ ظاهرة المحنة محاولة الدراسة السننية ، د/ خالص جلبي ، ط 1، الكويت، دار القلم ، 1400 هـ ـ 1980 م .

ع

79 ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، للامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم جوزية . ط 4 . منشورات دار الافاق الجديدة . 1400 هـ ـ 1980م .
80 ـ العلم والعلماء ، أبو بكر جابر الجزائري ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية بدون ذكر التاريخ .
81 ـ عمر التلمساني بين حماس الشباب وحكمة الشيوخ ، مصطفى العدوي ، ط 1. كرادسة : دار الأقصى للكتاب . 1407 هـ ـ 1987م .
82 ـ عندما غابت الشمس ، عبد الحليم خفاجي ، ط 3 ، الكويت : مكتبة الفلاح 1403 هـ ـ 1983م .
83 ـ العوائق ، محمد أحمد الراشد ، ط 3 ، لبنان بيروت مؤسسة الرسالة . 1398 هـ ـ 1978م
84 ـ العواصم من القواسم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص) ، القاضي أبي بكر بن العربي ، لبنان ، بيروت ، المكتبة العلمية 1403 هـ ـ 1983م .
85 ـ عظماؤنا في التاريخ ، الد/ مصطفى السباعي ، بيروت دمشق : المكتب الاسلامي بدون ذكر التاريخ .

غ

86 ـ غزوة أحد ، محمد عبد القادر أبو فارس ، ط 1 . دار الفرقان للنشر والتوزيع 1402 هـ ـ 1982 م .
87 ـ الغزوات في ظلال القرآن ((غزوة بدر)) ، اعداد جمال ماضي ، ط 2. الجزائر: مكتبة رحاب 1408 هـ ـ 1988 م .
88 ـ الغزوات في ظلال القرآن . غزوة تبوك ، اعداد جمال ماضي ، ط 2. الجزائر: مكتبة رحاب 1408 هـ ـ 1988م .

ف

89 ـ فتاوى معاصرة ، يوسف القرضاوي . باتنة ، الجزائر ، دار الشهاب للطباعة والنشر بدون ذكر التاريخ .
90 ـ فتح الباري ، شرح صحيح البخاري للامام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دار الفكر . م6 م7 م10 ج (1 . 8 . 11)

91 ـ الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي ط 1، بيروت، دار النفائس، بدون ذكر التاريخ .

92 ـ فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ط 7، مصر/القاهرة، دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي عامر 1976 .

93 ـ فقه السيرة الد/ محمد سعيد رمضان البوطي، باتنة، الجزائر، دار الشهاب بدون ذكر التاريخ .

94 ـ الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الاخوان المسلمين . أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله، ط 1، جامعة الأزهر، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي 1404 هـ ـ 1984م .

95 ـ في ظلال القرآن ،سيد قطب، ط 12، بيروت، دار الشروق 1406 هـ ـ 1986م م1، م2، م3، م4، م5، م6 .

96 ـ في الزنزانة، المستشار علي جريشة، ط1، دار الشروق 1975

97 ـ في سبيل العقيدة الاسلامية، الشيخ عبد اللطيف علي السلطاني، ط 1، الجزائر، قسنطينة، دار البعث 1402 هـ ـ 1982 م

ـ ق ـ

98 ـ قافلة الاخوان المسلمين، عباس السيسي، ط 1، الاسكندرية، دار القبس 1409 هـ ـ 1989م .

99 ـ القصص الرمزي في القرآن، أحمد محمد جمال، ط 5 الجزائر، مكتبة رحاب 1407 هـ ـ 1987م .

100 ـ قوارب النجاة في حياة الدعاة، فتحي يكن، باتنة، الجزائر، دار الشهاب بدون ذكر التاريخ .

101 ـ قوى الشر المتحالفة وموقفها من الاسلام، محمد محمد الدهان، ط 1 الوفاء للطباعة والنشر، 1406 هـ ـ 1986م .

102 ـ قواعد الدعوة الى الله، همام عبد الرحمان سعيد، باتنة، دار الشهاب 1406 هـ ـ 1986 م .

ـ ك ـ

103 ـ كتاب المحن تأليف أبو العرب محمد ـ أحمد بن تميم التميمي تحقيق يحي وهيب الجبوري، ط 1، لبنان، بيروت، دار الغرب للاسلامي 1403 هـ ـ 1983م .

104 ـ كلمات القرآن تفسير وبيان، الشيخ حسنين محمد مخلوف، بدون ذكر التاريخ .

ل

105 — لسان العرب المحيط ، ابن منظور تقديم الشيخ عبد الله العلايلي اعداد وتصنيف يوسف خياط ، دار لسان العرب. دون ذكر التاريخ.
م1 ، م2 ، م3 .

102 — لماذا استقلت من حزب الوفد الجديد ، محمد علي الغزالي الجبيلي. مطبعة الوفاء 38 شارع فايدة كامل دار السلام . رجب 1407 هـ مارس 1987م .

م

106 — ماذا يعني انتمائي للاسلام ، فتحي يكن ، الجزائر ، باتنة : دار الشهاب . 1989 م .

107 — المتساقطون على طريق الدعوة . كيف — لماذا ؟ فتحي يكن ، مطبعة امزيان بدون ذكر التاريخ .

108 — مجالس التذكير من البشير النذير ، للامام الشيخ عبد الحميد ابن باديس . ط 1 ، الجزائر ، قسنطينة : دار البعث للطباعة والنشر . 1403 هـ — 1983م .

109 — المجاهدة الجزائرية والارهاب الاستعماري ، بسام العسلي ، ط 2 . بيروت : دار النفائس . 1406 هـ — 1986م .

110 — مجموعة الرسائل ، الامام الشهيد حسن البنا ، ط 2 ، بيروت : المؤسسة الاسلامية . 1401 هـ — 1981 م .

— مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي أبي بكر الهيثمي - بيروت : مؤسسة المعارف 1406 هـ — 1986م . ج 8 .

111 — محادثة شخصية مع الشيخ أحمد حماني ، رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، الجزائر ربيع الاول 1408 هـ — 30 اكتوبر 1988 م .

112 — مختصر ابن كثير ، محمد علي الصابوني ، ط 7 . بيروت : دار القرآن الكريم . 1402 هـ — 1982 م ، م1 .

113 — مختصر تفسير الامام الطبري ، (مصحف الشروق المفسر الميسر) ، ابن صمادح الاندلسي . بيروت : دار الشروق . 1402 هـ — 1982 م .

114 — مختصر سيرة الرسول (ص) ، محمد بن عبد الوهاب وعبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب ، بيروت : دار الفكر . بدون ذكر التاريخ .

115 — مختصر منهاج القاصدين ، الامام أحمد بن محمد بن عبد الرحمان ابن قدامي المقدسي ، ط 4 . بيروت ، دمشق المكتب الاسلامي . 1394 هـ .

116 — مدارج السالكين ، الامام السلفي العلامة المحقق ابن قيم الجوزية بتحقيق محمد حامد الفقي ، ط 2 ، بيروت ، لبنان : دار الكتاب العربي 1393 هـ — 1973م ، م2 .

117 - مذابح الاخوان في سجون ناصر أسرار رهيبة تنشر لاول مرة ، جابر رزق . مصر: دار النصر للطباعة الاسلامية . 1406 هـ - 1976 م .
118 - مذكرات الدعوة والداعية ، الامام الشهيد حسن البنا ، ط 4 ، بيروت/ دمشق: المكتب الاسلامي للطباعة والنشر .

119 - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الرحالة الكبير ابي الحسن بن علي الحسين بن علي المسعودي 87 ، بيروت ، لبنان : دار الاندلس 1404 هـ - 1984 م ، ج 2 .
120 - المستدرك على الصحيحين ، للامام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ج 2 ، ج 4 .
121 - مسند الامام أحمد ، ط 4 ، بيروت : المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، 1983 م ، ج 3 ، ج 5 .
122 - مشكلات الدعوة والداعية ، الد/ فتحي يكن ، ط 12 ، بيروت : مؤسسة الرسالة 1405 هـ - 1985 م .
123 - معالم في الطريق ، سيد قطب . الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، بدون ذكر التاريخ .
124 - معالم هادية على طريق الدعوة الى الله ، الطيب برغوث ، باتنة ، الجزائر : دار الشهاب ، محرم 1406 هـ - سبتمبر 1985 م .
125 - الملهم الموهوب أستاذ الجيل ((حسن أحمد عبد الرحمان البنا)) ، عمر التلمساني . دار الاعتصام ، بدون ذكر التاريخ .
126 - منجد في اللغة والاعلام ، ط 32 . بيروت : - دار المشرق ، بدون ذكر السنة .
127 - المنطلق ، محمد أحمد الراشد ، ط 2 ، بيروت ، لبنان : - مؤسسة الرسالة 1987 م .
128 - المنهج الحركي للسيرة النبوية ، منير محمد الغضبان ، ط 2 . الاردن ، الزرقاء : مكتبة المنار . 1405 هـ - 1985 م .
129 - منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية ، علي جابر الحربي ، ط 1 . القاهرة : الزهراء للاعلام العربي . 1406 هـ - 1986 م .
130 - منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ، بيروت : مؤسسة الرسالة . 1399 هـ - 1979 م .

131 ـ المنهج الاحمد في تراجم أصحاب الامام لابي اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد القليمي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد راجعه وعلق عليه : عادل نويهض. ط 2، بيروت عالم الكتب ، 1404 هـ ـ 1984 م ج 1

132 ـ المؤامرة على الاسلام مستمرة ،جابر رزق ، ط 1 ، القاهرة : دار الانصار ، 1398 هـ ـ 1978م .

133 ـ الموسوعة الحركية ،اعداد وجمع وتحقيق مؤسسة البحوث و المشاريع الاسلامية بإشراف فتحي يكن ،ط 2،عمان : دار البشر،1403 هـ ـ 1983م ، م1 ،

■ ن ■

134 ـ النبوة و الانبياء ، محمد على الصابوني ،ط 1 ، عالم الكتب 1985م ،

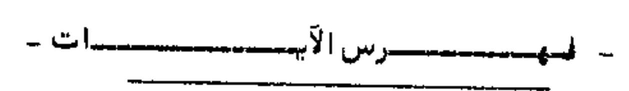
135 ـ نساء الصحابة ،عبد العزيز الشناوى ،القاهرة : مكتبة التراث الاسلامي ، 1988م .

■ هـ ■

136 ـ هداية البارى الى ترتيب صحيح البخارى ، السيد عبد الرحيم عنبر الطهطاوى، ط 5، بيروت:لبنان : دار الرائد العربي،1402 هـ ـ 1982م ،ج 2 . ٤٢٠٣٦٣

■ و ■

137 ـ واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، ط 2، جدة، المملكة العربية السعودية : مؤسسة المدينة للصحافة والنشر،1408 هـ ـ 1987م .



ـ فهـــــرس الآيـــــات ـ

الصفحة	رقم الآية	السورة
32،16،11،10	124	البقرة
16،10	247	
11،10	49	
13	190	
18،14،13	102	
183،123،23،16	155	
21	30	
136،188،23	214	
31	258	
81	153	
115	250	
120	156،155،154	
127	251،249،246	
128	107،217	
137	186	
140	217	
142	207	
181	152	
183	45	
183	157،155	
188	214	
126،16،10	154	آل عمران
164،16	152	
143.137،183،23،16	186	
115	147	
122،116	195	
123	142	
125	173	
126	179	
126	141	
142	174،172	
154	112	
163	179،178	
164	167،165	

الصفحــة	رقــم الآيــة	الســورة
168	168	آل عمـران
168	175	
178	76	
178	175،171	
180	191،190	
183	120	
183	146	
183	186	
184	200	
184	126،125	
184	185	
184	142	
189	139،157	
193	200	
16،10	6	النســاء
13	101	
53	62	
6	83	
54	56	
168	119	
171	143	
178	175	
193	104	
199	147	
13	43	المـائـدة
23،16	50	
16	96	
18	73	
28	56،55	
45	26	
66	83	
180	16،15	

السورة	رقم الآية	الصفحة
الأنعام	165	17
	54	18
	124	22
	112	22
	54	22، 238
	10	137
	34	138
	166	145
	15	145
الأعراف	168	11، 17
	26	13
	141	17
	163	17
	155	19
	59	26
	38	44
	148	[illegible]
	89	[illegible]
	126	115
	88	141
	82	141
	55، 56	182
	180	182
الأنفال	28	18، 131
	30	61
	60	128
	28	131
	30	148
	30	155
	19	178
	29	178
	12	179

السورة	رقم الآية	الصفحة
الأنفال	46	183
التوبة	126	18،12
	49	13
	127	18
	129	19
	33،32	31
	107	64
	40	70
	24	147
	42	167
	56	178
	51	186
يونس	83	13
	57	180
هود	7	23،17
	26،25	25
	27	26،25
	38	26
	32	26
	36	27
	32	27
	46،45،44،43	27
	35،13	53
	16،15	171
	11	183
	120	188
	49	188

السورة	رقم الآية	الصفحة
يوسف	15	34
	19، 20	34
	23، 25، 33	35
	37، 38، 49، 40	36
	50، 54، 55	36
	77، 92، 101	37
	87	67
	108	94
	32	147
	109، 111	189
الرعد	17	163
	28	181
ابراهيم	8	17
	27	179
	27	195
الحجر	94	50
	56	67
	97، 93، 99	181
النحل	110	13، 19، 183
	92	17
	41	17، 135
	120	29
	25	33
	95، 96	51
	97	107
	127	140
	102	180
	110	183

السورة	رقم الآية	الصفحة
ـل	[illegible]	185
ـراء	75	13
	90 الى 93	58
	81	143
	73	165
	9	180
	62	180
	74	195
ـف	7	17
	28	200
ـم	42، 45	29
	46	30، 141
	47	30
	7	121
	46	147
ـه	40	12، 19
	83	19
	89	19
	130	19
	39	40
	47، 48	41
	71	43
	56	43
	72، 73	179
	99	188
ـياء	35	09، 11، 17، 19، 23، 135
	51	29
	69 الى 79	30
	57، 58	30
	68	30

السورة	رقم الآية	الصفحة
الأنبياء	41،36	51
	5	55
	83	115
	87	115
	83	121
	84،83	131
	35	135
الحج	40،39	104
	42،10	138
	38	146
	11	166
	13،11	167
	15	168
المؤمنون	30	17
	25	26
	44	139
النور	11	63
	55	179
الفرقان	20	19
	31	22
	88	54
	5	55،61
	41	137
	32	180
	75	185
	42	193

ـورة	رقم الآيــــــة	الصفحــــــة
ـسراء	105	26
	116	26، 142
	111	26
	18، 19، 25	42
	26	42
	28	42
	32، 33	42
	33 الى 36	42
	27	139
	116	141
	92	141
	48، 49	141
ـل	41	17، 135
	15	42
	105	55
	15	135
	40	135
ـص	4، 6	39
	8	40
	9، 15، 16، 21	40
	47	41
	36	42
	58، 59	
ـنكبوت	2، 3	12، 19، 21، 126
	1	19
	15	27
	3	126
	11	126
	8، 9	133
	25	134
	9، 10	167

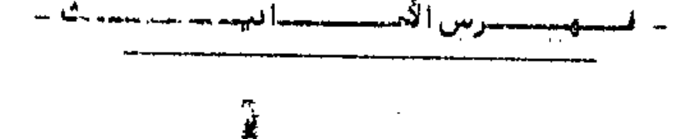
السورة	رقم الاية	الصفحة
العنكبوت	59،58	185
الروم	47	179
	60	[illegible]5
لقمان	17	183
السجدة	24	184
الاحزاب	11	21،17
	72	21
	21	192،47
	11،10	64
	23	69
	35	106
	36	178
	43،41	181
	21	192
سبا	46	52
	8	139،53
	43	55،61
	8	139
الصافات	106	17،10
	162،161	13
	63	19
	101،100	31
	1 02	31
	107،106،105،104	32
	25	55،61

السورة	رقم الآية	الصفحة
الصافات	112،103	121
ص	23	19
	33	19
	3	54
	44،41	131
	4	138
	6	193
الزمر	46	19
	10	119
	10	183
غافر	26	141،43
	51	62
	40	107
	26	141
	60	182
	51	195
فصلت	53	92
الشورى	24	138
	29،28	164
الزخرف	26،25	31
	53	43
	52،51	44
	7،6	137
	54	172

السورة	رقم الآية	الصفحة
الدخان	32	18
محمد	5	18
	32	[illegible]، 18
	7	75
	24	120
	7	1 23
	31	126
	7	176
	10	189
	38	198
الفتح	11	168
الحجرات	3	14، 15، 16، 20
	6	66
الذاريات	13	13
	56	21
	39	42
	52	139
الطور	29	139
القمر	27	20
	9	26
	10	27، 124
	8، 9	139
الحديد	28	178
المجادلة	22	[illegible]3
الحشر	8	147

السورة	رقم الآية	الصفحة
الممتحنة	10	20،15
	6	192
…صف	5	44
	13،10	187
…منافقون	8	178
…تغابن	15،14	20
	15	75
	14	131
…طلاق	5،2	178
	4	178
	7	185
…تحريم	11	97
	6	132
	10	133
…لك	2	18
…قلم	17	18
	51	52
	9،8	58
…ارج	38	168
…وح	21	[illegible]73
الجن	17	20

السورة	رقم الآية	الصفحة
المزمل	10	140
	9،1	181
	11،10	185
الإنسان	2	18
	12	134
النازعات	19،18،17	41
	24	41
التكوير	22	52
المطففين	29	51
الانشقاق	6	184
البروج	10	12
	8	72
	8،5	155
	10،4	190
الفجر	15	135،18،10
	17	135،18
	16،15	135
البلد	4	21
	4	184
الليل	21،17	76
الضحى	8،6	48
الانشراح	6،5	185
العصر	3،1	[illegible]



- فهرس الأحاديث -

الحديث	الدرجة	الصفحة
(الالف)		
ـ احفظ الله تجده امامك	الترمذي : حسن صحيح	ص 186
ـ اذا أحب الله عبدا ابتلاه	النسائي	ص 119
ـ اذا ابتليت عبدي بحبيبتيه	البخاري	ص123و132
ـ اذا مات ولد العبد قال الله تعالى	الترمذي : صحيح	ص 132
ـ أرسلت احدى بنات النبي	متفق عليه : البخاري و مسلم	ص 132
ـ أرأيت هذه الامراض	متفق عليه : البخاري و مسلم	ص 117
ـ أشد الناس بلاء الانبياء	الترمذي : حسن صحيح وابن ماجه .	ص 22
ـ أفضل الصلاة بعد الفريضة	مسلم ـ الترمذي : صحيح	ص 18 1
ـ أفضل نساء أهل الجنة	الترمذي : حسن صحيح	ص 97
ـ أمرنا رسول الله أن نتصدق	الترمذي : حسن صحيح	ص 76
ـ ان أرواح الشهداء في حواصل	ابن ماجه	ص 118
ـ ان امن الناس في صحبته	البخاري و مسلم	ص 76
ـ ان عظم الجزاء مع عظم البلاء	الترمذي : حسن وابن ماجه	ص 120
ـ ان العبد اذا سبقت له منزلة	أحمد	ص 119
ـ ان الله اذا أحب قوما ابتلاهم	ابن ماجه	ص 119
ـ ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدي	البخاري : صحيح	ص 123
ـ ان شئت صبرت	البخاري مسلم	ص 123
ـ انه كان عذابا يبعثه على من يشاء	البخاري : صحيح	ص 118

الحديث	الدرجة	الصفحة
(النســـاء)		
ـ كن مع المسكين	ابن ماجة	ص 65
ـ تنكح المرأة لاربع	ابن ماجة	ص 138
(الحيــــاء)		
ـ حفت الجنة بالمكاره	مسلم ـ الترمذي : حسن غريب	ص 23
(الســـدال)		
ـ دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك	متفق عليه ـ البخاري و مسلم	ص 116
ـ دخلت على النبي وهو يوعك فوضعت يدي على يده	ابن ماجة	ص 134
ـ دخل رسول الله على امرأة	مسلم ـ ابن ماجة	ص 117
ـ الدعاء مخ العبادة	الترمذي ، حسن صحيح ، ابن ماجة	ص 182
(الــــزاء)		
ـ رأى رسول الله شيخا يهادي بين ابنيه	البخاري صحيح وابن ماجة	ص 199
ـ نهى النبي عن ...		
(الشيـــن)		
ـ شكونا الى رسول الله وهو متوسد بردة	البخاري ـ صحيح	ص 152
(الطـــاء)		
ـ الطهور شطر الايمان	مسلم: صحيح الترمذي، حسن صحيح	ص 183

الحديث	الدرجة	الصفحة
(العيـــن)		
عجبا لامر المؤمن ان أمره كله خير	مسلم — صحيح	ص 185
— عرض علي ربي أن يجعل لي	الترمذي	ص 144
— وأعلم أن النصر مع الصبر	الترمذي ، حسن صحيح	ص 105
(الكـــاف)		
— كان ابن أبي طلحة يشتكي	متفق عليه البخاري و مسلم	ص 122
— كان فيمن كان قبلكم	البخاري — أحمد	ص 23
— كان ملك فيمن كان قبلكم	مسلم — صحيح الترمذي = حسن غريبا	ص 101
(الـــلام)		
لقد أوذيت في الله	أحمد — الترمذي حسن صحيح	ص 60
— لقد رأيت رسول الله	ابن ماجة ، مسلم	ص 67
— اللهم عليك بقريش	متفق عليه البخاري و مسلم	ص 59
— لو كنت أنا لأسرعت الاجابة	البخاري و مسلم	ص 36
— ولو لبثت في السجن	البخاري و مسلم	ص 36
(الميـــم)		
— ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع	متفق عليه البخاري و مسلم	ص 116
— ما أطيبك من بلد	الترمذي ، حسن صحيح	ص 62
— المؤمن الذي يخالط الناس	الترمذي — ابن ماجة	ص 67

الحديث	الدرجة	الصفحة
ـ مثل المؤمن كمثل الخامة	مسلم ـ صحيح	ص 124
ـ مثل المؤمن كمثل الزرع	مسلم ـ صحيح	ص 124
ـ ما تعدون الشهداء فيكم	مسلم ـ صحيح	ص 118
ـ ما دعوت أحدا إلى الإسلام	ابن إسحاق	ص 69
ـ من خاف أدلج ومن أدلج	الترمذي : حسن غريب	ص 160
ـ من قال لأخيه يا كافر	البخاري ـ الترمذي صحيح	ص 160
ـ ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه	الترمذي ـ حسن غريب	ص 76
ـ ما من عبد مؤمن أصيب	مسلم ـ صحيح	ص 122
ـ ما من مسلم يصيبه أذى	متفق عليه : البخاري ومسلم	ص 117
ـ ما من نبي إلا قد رعى الغنم	ابن ماجه	ص 48
ـ من يرد الله به خيرا	البخاري : صحيح	ص 180
ـ ومن يتصبر يصبره الله	مسلم ـ الترمذي صحيح	ص 185
ـ ما نفعني مال قط	ابن ماجة ـ أحمد	ص 76
ـ ما يزال البلاء بالمؤمن	الترمذي ـ حسن صحيح	ص 116
ـ ما يصيب المؤمن من نصب	متفق عليه (البخاري [illegible] ومسلم)	ص 116
ـ ما هممت بشيء	النيسابوري : صحيح على شرط مسلم	ص 49
(الهاء)		
ـ هذا الناموس الذي نزل على موسى	البخاري ومسلم	ص 50
(الواو)		
ـ واعلم أن النصر مع الصبر	الترمذي : حسن صحيح	ص 185

الحديث	الدرجة	الصفحة
(الياء)		
ـ يا أم العلاء أبشري	أبو داود	ص 117
ـ يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله	أحمد	ص 58
ـ يا غلام إني أعلمك كلمات	الترمذي حسن صحيح	ص 186
ـ يا عم لو وضعوا الشمس في يميني	الهيثمي	ص 56
ـ يرحم الله موسى	البخاري ومسلم	ص 44
ـ يا رسول الله أي الناس أشد بلاء	الترمذي ـ حسن صحيح وابن ماجة	ص 119
ـ يود أهل العافية	الترمذي ـ حديث غريب	ص 120
ـ يود الناس يوم القيامة	الترمذي ـ مرفوعا	ص 120
ـ يا قبيصة إن المسألة	مسلم ـ صحيح	ص 134
ـ يقول تعالى ما لعبدي المؤمن	البخاري ـ أحمد	ص 132